



جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
الكتاب "١"

موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية

تأليف

الدكتور / أحمد بن محمد بناني

الطبعة الأولى
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م



تمت مناقشة الرسالة بصاله المناقشات بكلية الشريعة والحراسات
الإسلامية بمكة المكرمة بعضوية كل من فضيلة الشيخ / محمد الغزالي
وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور / عبدالعزيز عبدالله عبيد وكانت باشراف
الأستاذ الدكتور محمد يوسف الشيخ

الطبعة الأولى
١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

طُبعت بمطابع شركة دار العلم للطباعة والنشر
ص. ب. ٤٩٧٧ جدة ٢١١٢ - ت. ٢٧١٢١٠٠ المنطقة العربية السعودية



تمهيد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وبعد : فقد أنشئت كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى لتكون صرحا من صروح العلم والمعرفة والدعوة إلى الالتزام بهذا الدين الحنيف ، وقد قامت بحمد الله بخدمة هذه الأهداف الجلية عن طريق التعليم وإعداد الرسائل القيمة والبحوث الجيدة ، ولكن هذه الرسائل والبحوث تبقى فائدتها مقصورة على فئة قليلة من الباحثين ما دامت محفوظة في الجامعة ، ولا تحصل الفائدة المطلوبة منها حتى تنشر في المجتمع على نطاق واسع .

إن المهمة العلمية من كتابة الرسائل لا تنتهى بمناقشتها ونيل الدرجة العلمية عليها بل لابد من نشرها حتى يستفيد القراء والباحثون منها .

وإنه ليسر كلية الدعوة وأصول الدين أن تقدم هذه الرسالة (موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية) للطباعة وهى أول ما تقدمه الكلية من رسائل للنشر باسمها على أمل أن يتبعها بإذن الله رسائل وبحوث عديدة تساهم في نشر العلم النافع الذى يبث الوعى وينير الطريق .

والله أسأل أن يلهمنا الصواب فى القول والعمل وأن يوفقنا الى ما يحبه ويرضاه .

عميد كلية الدعوة وأصول الدين

د . عبدالعزيز الحميدى

تقريظ للكتاب

هذا التقريظ تفضل به أحد رواد الفكر الكبار في العالم الإسلامي أجزل الله له الثواب.

الحمد لله الذي جعل القلوب محلّ نظره من وراء الأعمال، وناط الحساب والجزاء يوم الدين بما فيها من نياتٍ ومقاصدٍ وغاياتٍ، لتقويم ظواهر الأعمال في الطاعات والمعاصي بموازين القسط عنده. وجعل يوم الدين هو اليوم الذي يُحصّل فيه ما في الصدور، وتُبلى فيه السرائر، أي : تُكشفُ للمحاسبة عليها وللجزاء. وجعل أشرف الأعمال وأكملها أعمال القلوب، ذات الآثار في السلوك الظاهر، وفي رأسها الإيمان، ثم لوازمه ومقتضياته.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، الذي أعدّه الله للاصطفاء بالنبوة والرّسالة الخاتمة، فأجرى له مِنْهُ شَقّ الصدر، واستخراج حظّ الشيطان منه، وكملّه بالخلق العظيم، وقوّاه على شيطانه فأسلم له قيادة، وكفّ عنه وساوسه، وسلّم له في طريق الحق والخير والبرّ والإحسان مُرادَه.

فكان صلوات الله عليه أكمل المربين من الناس، يُربّي الإيمان، وفضائل الأخلاق، ومحاسن الآداب، والتزام الشرائع ظاهراً وباطناً، عملاً ونيةً وقصداً وإخلاصاً لله بأقواله وبأفعاله، وبما تدلّ عليه تصرفاته المختلفة ممّا في قلبه ونفسه من كمالٍ وصدق مع الله.

ودلّ بذلك على حقيقة الدين، وحقيقة التدين والصدق مع الله، وأبان صلوات الله عليه أنّ صور الأعمال الصالحة إنّ لم تكن آثاراً صحيحة لإيمان صادق سليم، ونيات صالحات مرضيات لله عزّ وجل والتزام بشريعة الله وسنة رسوله، فهي أعمال تتردّد بين الرّياء والشرك والابتداع المردود، وهي عند الله حابطة لقيمة لها، إذ لم يُقصد بها وجهُ الله عزّ وجل، أو لم يلتزم بها أحكام دينه الذي شرعه لعباده.

وأبان صلوات الله عليه أنَّ ادّعاء صلاح الباطن دون آثار ظاهرة في السلوك ملتزمة بما شرع الله ورسوله، ادّعاء كاذب، أو مستند إلى جهل بدين الله، وانحراف عن منهاجه، أو تغيير في النسب التي يجب فيها إعطاء كل ذي حقّ حقه، كما جاء في بيانات القرآن والسنة.

وينحرف الناس إلى طرفي الغلو في الدين والتفريط فيه، ومع كل غلو في جانب من الجوانب لوازم تفريط من جوانب أخرى، وتدخل بدع ما أنزل الله بها من سلطان، تحل محل الشرائع الربانية والسُنن النبوية. ومع التفريط معاصر تبدأ بالصغائر، وتنتقل إلى الكبائر، ومع الإصرار والاستمرار تُفك آخر عروة من عرى الدين.

وقد دخل على المسلمين بعض مداخل على الأمم السابقة من انحراف عن صراط الإسلام وراء شاطئ اليمين، أو وراء شاطئ الشمال.

فانحرف الغلاة فتعمّقوا وغلّوا ببعض مسائل الدين، وظنوا أنهم قد أحسنوا صنعا، فنجّم عن غلوهم تفريط بمسائل هي من الدين، وركبوا بهذا التفريط معاصي أو تقصيرات، أو ارتكبوا ضلالات في المفاهيم أفسدوا بها حقيقة الدين.

واعتنى بعض الناس بالظواهر، وأهمّلوا إصلاح النيات والسرائر، وإصلاح الأخلاق وحركات النفس الباطنة، فصار الدين عندهم أشكالا ورسوماً ظاهرة، غير موصولة بالصدق مع الله، والتزام فضائل الأخلاق النفسية، وفضائل خلائق القلوب وحركاتها.

وتهاون آخرون بالظواهر وبالسرائر معاً، وأتبعوا خطوات الشياطين.

ويُلَبّس الغالون المتعمّقون بأنهم يلتزمون الحقيقة، ويزعم المعتنون بمجرد الظواهر بأنهم يلتزمون الشريعة، ويهون المهوّنون من شأن الالتزام بالدين كلّه. وتوارد من مختلف الأصناف شبهات وشوائب، يجب أن يتصدّى لتعرية زيوفها وكشف أخطائها وأغاليطها أهل علم وبصيرة.

فقيض الله للمسلمين العلامة النابغة العبري النقيّ التقي، الإمام أحمد بن تيمية، فوقف في وجه الغالين، المعروفين باسم الصوفية، والمتذرّعين بالاهتمام بأعمال القلوب والنفوس. ووقف في وجه علماء الرسوم الذين لا همّ لهم إلّا

الشكليات والظواهر. ووقف في وجه المتهاونين في الدين، فعزى المندسين، ونبه المخطئين الغالطين. وحذر وأنذر المتهاونين.

وفي هذه الدراسة التي قدمها الابن والأخ والزميل العزيز الدكتور «أحمد محمد البناني» عضو هيئة التدريس في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى، ورئيس قسم الإعلام فيها، التي نال بها شهادة الماجستير في العقيدة، تتبع الإمام أحمد بن تيمية عليه رحمه الله ورضوانه، في موقفه من التصوف والصوفية تتبعاً موفقاً حصيفاً.

وهي دراسة جديرة بأن يتنفع منها الباحثون عن الحق في هذا الموضوع المهم، الذي تناوله الإمام ابن تيمية باهتمام بالغ في حركته الإصلاحية التي قام بها، متحدّياً خصوصاً كثيرين، وكان فيها متحرّياً الحق ومنصفاً، ومعتمداً على المفاهيم المقتبسة من كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه السلف الصالح لهذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس.

وإذ أكتب هذه الكلمة تقرّظاً لهذه الرسالة الطيبة أسأل الله العليّ القدير أن ينفع بها، ويجعلها في سجل صالح العمل لكتابها، ويمنحه الأجر والثوبة، ويزيده من فضله في خدمة الإسلام والمسلمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مكة المكرمة

غرة جمادى الأولى ١٤٠٦ هجرية

عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات العليا

بجامعة أم القرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

إلى الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً.
إلى الذين قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون.
إلى الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون.
إلى كل أرباب القلوب الطاهرة المليئة بحب الله عز وجل وخشيته.
أقدم جهدي هذا هدية متواضعة محتسبا التوفيق والأجر عند الله تعالى.

المؤلف :

أحمد محمد البنانى

ملخص الرسالة

هذه الرسالة (موقف الامام ابن تيمية من التصوف والصوفية) تتناول - كما هو واضح من عنوانها - بعضا مما كتبه الصوفية من موضوعات وما جرى بينهم من أبحاث ومناقشات فتعرض ذلك من وجهة نظرهم وما استدلوا به على آرائهم، ثم تبين موقف الامام ابن تيمية في ذلك الموضوع من نقد أو تأييد واجمال أو تفصيل .
وفي أثناء ذلك يتضح رأى الصحيح المستحق للتأييد، من رأى السقيم المستحق للانكار. ومن مجموع كل ذلك يتضح موقف الامام ابن تيمية الاجمالي من التصوف والصوفية .

وقد ظهر لي ان الامام ابن تيمية لم يكن يعادي التصوف على اطلاقه بل أنكر منه مالا يوافق الكتاب والسنة وما لم يكن ماثورا عن أحد من الصحابة والتابعين .
وقد تبين لنا في موضوعات البحث المسماه عند الصوفية بالمقامات والأحوال ان الامام ابن تيمية أكثر علما وأدق تعبيرا وأكثر تفصيلا في بعضها عن غيره ممن كتب في هذه الموضوعات من الصوفية وغيرهم .

ولم يفته التنبيه إلى المعاني الدقيقة واللطائف النادرة التي تظهر له أثناء معالجته لتلك الموضوعات، كما لم يفته الرد على مالا يوافق الكتاب والسنة منها بطريقته العلمية النزيهة التي لاتعصب فيها ولا محاباة بل لقد بين في كثير من الأحيان أسباب الاشتباه في بعض الموضوعات التي دفعت بعض الصوفية الى التصورات الخاطئة فيها .

ثم تبين لي في موضوعات السلوك أن الامام ابن تيمية اختار في السلوك الطريق الصحيح المؤيد بالكتاب والسنة موافقا في ذلك فريقا من المعتدلين من الصوفية ومعارضوا الفريق الآخر الذين اتخذوا طريقا لايتمتع عليها .

ثم بين الامام ان علم السلوك موجود في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، أوضح مما هو في كتب الصوفية وغيرهم وأن تعلمه من القرآن والسنة أسهل من تعلمه

من غيرهما ولذلك فإن تصوير الحاجة إلى الشيخ بالدرجة المبالغ فيها عند الصوفية غير مقبول أصلاً عند الشيخ ابن تيمية، كما أن درجة الطاعة التي يطلبون من المريد لشيخه قد بالغ فيها بعضهم إلى حد غير مقبول وأخيراً أثبت الامام ابن تيمية الكرامات لأولياء الله الصالحين ونفى الالتباس بينها وبين المعجزات من جهة وبينها وبين السحر والشعوذة من جهة أخرى ولكنه نبه إلى عدم الاغترار بظهور الكرامات على يد شخص وادعاء العصمة له فإن العصمة لا تكون إلا للأنبياء ثم بين الامام سوء ماوقع فيه بعض المسلمين من اعتقاد في اناس من المرضى بالأمراض النفسية والعصبية ونحو ذلك وعدهم في جملة الأولياء الصالحين الذين يجب الاقتداء بهم وطاعتهم وعدم الاعتراض عليهم ونحو ذلك فأظهر حقيقة أمر هؤلاء وما يجب أن يعتقد في شأنهم فكشف بذلك عن عقلية جبارة منحها الله له ونفع الله بها الأمة الإسلامية منذ عصره حتى يومنا الحاضر عليه رحمة الله .

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له .

أما بعد فإن التصوف موضوع واسع الجوانب متعدد الصور متشعب المباحث لا يخوض فيه الباحثون إلا بعذر شديد، وذلك لأن الكلام فيه يتعلق من جهة بأولياء الله الصالحين الذين قال الله فيهم في الحديث القدسي :

«من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب» . كما يتعلق من جهة أخرى بأولياء الشيطان الذين حملوا على عواقبهم مهمة اغواء بنى البشر مشاركة لوليهم إبليس اللعين في هذه المهمة الخفية التي نذر نفسه لها وأقسم على ذلك بعزة الله عز وجل «قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين» .

فمن هنا كان على الباحث في هذا الموضوع أن يلتزم جانب الدقة والحذر وأن يتحاشى التطرف والتهجم الذي لا مبرر له وأن ينظر بعين الانصاف في كل مسألة من المسائل المتعددة التي تطرق إليها البحث .

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن أولياء الله الصالحين منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصر صحابته الكرام لم يتسموا باسم صوفية ولا عرفوا هذه التسمية ولقد تطرق البحث إلى فترة ظهور هذه الكلمة وأول من تسمى بها لكن انتساب الصوفية إليهم وتعمدهم ذكر أسماؤهم في سلسلة رجالهم، واستشهادهم بأقوالهم وأحوالهم، وتمسك بعضهم بنسبة التصوف إليهم، جعل من الواجب على الباحث أن يتطرق إلى توضيح الحق في كل ماذكر وأن يثبت ما صحت روايته ويصحح ما غلط الناس في نقله أو فهمه ويرد مالا صحة له أصلا .

ولقد اخترت أن أعرض لكل ذلك من وجهة نظر العلامة الامام المحقق تقي الدين أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية . الذى شهد له القاضي والداني والمحب والكاره بغزارة علمه ودقة فهمه وسعة اطلاعه ونزاهة مناقشاته وكنت قد تقدمت بهذا البحث لنيل درجة الماجستير فى العقيدة الاسلامية من كلية الشريعة والدراسات الاسلامية التابعة انذاك لجامعة الملك عبدالعزيز رحمه الله واجيزت بعد مناقشتها فى عام ١٣٩٨هـ من قبل لجنة المناقشة المكونة من الأستاذ الدكتور محمد يوسف الشيخ مشرفاً على الرسالة وفضيلة الشيخ محمد محمد الغزالي والأستاذ الدكتور عبدالعزيز عبدالله عبيد مناقشان . وقد اختارتها كلية الدعوة وأصول الدين فى جامعة أم القرى لابرازها إلى حيز الوجود وطبعها على نفقة الجامعة ليتنفع بها طلاب العلم إن شاء الله تعالى .

وإنى لأتقدم بخالص الشكر والدعاء لكل من ساعدني فى اعدادها واجازتها وطبعها سائلا المولى عز وجل أن يجعلها مفيدة لكل من يطلع عليها نافعة لمن كتبها وقرأها وأرشد إليها وان يتجاوز بفضلله وكرمه عما قد يكون فيها من زلة قلم أو تقصير فى استقصاء أو فهم والله حسبنا ونعم الوكيل .

الباب الأول

ويشمل على خمسة فصول

- الفصل الأول : في ترجمة الإمام ابن تيمية**
- الفصل الثاني : في اشتقاق كلمة صوفي**
- الفصل الثالث : في التصوف ومفهومه**
- الفصل الرابع : متى ظهرت كلمة صوفي**
- الفصل الخامس : أقسام الصوفية عند ابن تيمية**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّكَ
الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ

الفصل الأول

ترجمة الشيخ ابن تيمية

مولده . لقبه

أسرته . أبوه، جده، إخوته

نشأته وتعليمه

بعض من تلقى عنهم علوم الحديث

جهاده . حادثه قازان، وقعة شقحب

بداية النهاية .

وفاته .

أشهر تلاميذه

مؤلفاته .

الفصل الأول

في ترجمة الامام ابن تيمية

ترجمته :

هو شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية (١).

بعض مصادر ترجمته

ابن تغري بردی	النجوم الزاهرة ٢٧ : ٩
ابن حجر	الدبر الكامنة ١٤٤ : ١
ابن رجب	زيل طبقات الحنابلة ٣٨٧ : ٢
ابن شاکر الکتبی	فوات الوفيات ٦٢ - ٨٢ : ١
ابن عبد الهادی	العقود الدرية
ابن کثیر	البداية والنهاية ١٣٥ : ٤
ابن الالوسي	جلاء العينين ٥
خير الدين الزرکلی	الاعلام ١٤٠ : ١
الذهبي	تذكرة الحفاظ ١٤٦٩ : ٤
زیدان	تاريخ آداب اللغة
السبکی	طبقات الشافعية
السيوطي	طبقات الحفاظ
الشوکانی	الدر الطالع ٦٣
صفی الدين الحنفی	القول الجلي
الکتانی	الرسالة المستطرفة ١٩٣
محمد بن ناصر الدين	الرد الوافر
مرعي بن يوسف الكرعي	الكواكب الدرية

(١) العقود الدرية . ابن عبد الهادی ص ٢

مولده

ولد شيخ الاسلام ابن تيمية يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة احدى وستين وستائة من هجرة المصطفى ﷺ (١).

ويوافق يوم مولده يوم الخامس والعشرين من شهر يناير لعام ١٢٦٣ للميلاد (٢)

لقبه

يقال ان الذي لقب من أجداده بابن تيمية هو جده محمد بن الخضر. ولهذا اللقب قصة رويت بروايات مختلفة.

فالرواية الأولى تقول أن أم محمد بن الخضر كانت تسمى (بتيمية) وكانت واعظة فنسبت العائلة إليها، وعرفت الأسرة بأسرة ابن تيمية (٣).

والرواية الثانية تقول: أن تيمية هي بنت محمد بن الخضر وليست أمه ولقد سماها بذلك حين حج فمر على درب «تباء» (٤) فرأى هناك طفلة اسمها (تيمية) ثم رجع فوجد امرأته ولدت بنتا فسماها (تيمية) (٥)

ويبدو أن (تيمية) سميت بهذا الاسم للسبب الذي ورد في الرواية الثانية فلما كبرت كانت واعظة مشهورة فنسبت إليها العائلة لهذا السبب الأخير فالرواية الثانية تحكي سبب تسميتها والرواية الأولى تحكي سبب انتساب العائلة إليها والله أعلم.

(١) ابن تغري بردى النجوم الزاهرة ج٩ ص ٢٧١، اللوسي. جلاء العين ص ٥

(٢) حسب تقويم دائرة معارف الشعب: العام ١٩٥٩ القاهرة. أما دائرة المعارف الاسلامية ففيها انه يوافق ١٢ يناير من عام ١٢٦٣ م.

(٣) ابن عبد الهادي. العقود الدرية ص ٢، وقارن أبوزهرة. ابن تيمية ص ١٧ وأيضاً البصار. حياة شيخ الاسلام ص ٨

(٤) تباء - مدينة بالقرب من تبوك بالجزيرة العربية.

(٥) ابن عبد الهادي. العقود الدرية. ص ٢، أبوزهرة. ابن تيمية ص ١٧.

أسرته

أبوه

هو شهاب الدين أبوالمحاسن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية ولد سنة ٦٢٧هـ وتوفي سنة ٦٨٢هـ.

كان شهاب الدين رجلا فاضلا وعالما بارعا من كبار العلماء في عصره وقد اسندت إليه مشيخة الحديث في الجامع الكبير بدمشق. وكان له كرسي فيه (١).

جده

هو تقي الدين أبوالبركات عبدالسلام بن عبدالله بن تيمية. ولد سنة ٥٩٦هـ وتوفي سنة ٦٥٢هـ.

كان تقي الدين فقيها محدثا أصوليا نحويا (٢)

أخوته

أشهر من عرف من إخوة الشيخ تقي الدين ابن تيمية هما أخواه شرف الدين عبدالله وزين الدين عبدالرحمن.

عبدالله : ولد سنة ٦٩٦هـ بحران وتوفي سنة ٧٢٧هـ. واشتغل بالعلوم وكان بارعا في الفرائض والحساب ودرس بالحنبلية بدمشق مدة وكان عابدا ورعا (٣). وقد ترجم له الالوسي وابن عبدالحادي وغيرهم وذكروا أن وفاته كانت في جمادى الأولى من سنة سبع وعشرين وسبعمائة وأخوه تقي الدين في السجن وقد حمل إليه في القلعة وصلى عليه هناك.

عبدالرحمن : أما أخوه زين الدين عبدالرحمن فقد شهد وفاة أخيه تقي الدين في السجن بقلعة دمشق كما سيأتي وكان قد رافقه في أكثر سفراته وفي أكثر ما مر به من المحن.

(١) ابن رجب. زيل طبقات الخنابلة ص ٢٤٩ - ٣١١ ج٢ وقارن أبوزهرة - (ابن تيمية) ص ٢٩.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ص ١٨٥ ج ١٣.

(٣) الالوسي: جلاء العينين ص ٢٩، ابن عبدالحادي. العقود الدرية ٣٦١ - ٣٦٣.

نشأته وتعليمه

نشأ شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية في بيت علم وأدب . ومن نسل كبار العلماء ، كما سبق أن عرفنا في ترجمة أبيه وجد .

وقد كان تقي الدين يتمتع من صغر سنه بذكاء وقاد وحافظة واعية وقلب شجاع ولقد قوى من رغبته في طلب العلم والتفرغ له مارآه من حرص أسرته الشديد عليه ، واعتزازهم به ، ثم محافظتهم على مافي أيديهم من كتب العلم في أشد الأوقات خوفا وحرجا .

فقد جاء في قصة خروجهم من حران فارين من التتار انهم قد اهتموا أول ما اهتموا باستخلاص كتبهم من يد التتار ، فحملوها في عجلة يجرونها بأيديهم لعدم وجود الدواب فانغرزت العجلة في الطين وكاد يلحق بهم العدو ، ولكنهم ابتهلوا إلى الله واستغاثوا به فنجوا بما معهم من كتب (١) .

كان هذا الحدث التاريخي المؤثر قد أثر بلاشك في نفسية تقي الدين ابن تيمية وهو ابن ست سنوات حينذاك . ولما وصل إلى دمشق بدأ يتعلم العلم على يد كبار العلماء في عصره ، ومن بينهم والده شرف الدين عبدالحليم بن تيمية .

وهكذا نشأ تقي الدين راشقا من ينابيع العلم ناهلا من رياض المعرفة منذ حداثة سنه . ولايلوى إلى غير المطالعة والاشتغال بمعالي الأمور والترفع عن دنياها .

ولم يزل كذلك خلفا صالحا متألها صينا نقيا ، بارا بأمه رجاءا إلى الله في أمره ونهيه ورعا عفيفا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، ناسكا صواما قواما ذاكرا الله تعالى في كل أمر وعلى كل حال .

بل لاتكاد نفسه تشبع من العلم ولاترتوى من المطالعة ولاتمل من الاشتغال ولاتكمل من البحث . وقل أن يدخل في علم من العلوم من باب إلا وفتح له من ذلك الباب أبواب كثيرة ، كما وصفه بذلك تلميذه المخلص ابن عبدالهادي (٢) قال : وسبب

(١) ابن عبدالهادي . العقود الدرية ص٢ وقارن المراس . مقدمة كتاب الايمان لابن تيمية .

(٢) ابن عبدالهادي . العقود الدرية ص ٥ - ٦ .

ذلك انه كان مقبلا على الله تعالى بصدق وإخلاص حتى انه اذا وقف خاطره في مسألة من المسائل المستعصية يتجه إلى ربه فيستغفر الله ألف مرة أو أكثر حتى ينشرح صدره وينحل اشكال ما اشكل عليه . (١)

ويكفيه شرفا أنه قرأ ونسخ وتعلم الخط والحساب وحفظ القرآن الكريم وأقبل على دراسة الفقه وقرأ العربية وأخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه وأقبل على التفسير فحاز فيه قصب السبق وأحكم أصول الفقه وغير ذلك وهو بعد ابن بضع عشرة سنة (٢) .

ولقد تفاءل له بعض المشائخ بالمستقبل العظيم في مجال العلم والفقه فقد روى أن شيخا من مشائخ حلب لقيه مره وهو خارج من الكتاب ، فقال له : يا ولدي امسح لوحك ، حتى املي عليك شيئا تكتبه ففعل ، فأملى عليه من متون الأحاديث إحدى عشر أو نحوها ، وقال له : اقرأ هذا فما زاد تقي الدين على أن تأمله مرة بعد كتابته اياه ، ثم دفعه إليه وسمعه عليه كأحسن ما يكون . فقال له الشيخ : امسح هذا ففعل كالأول فلما فرغ شيخ الاسلام من تسميعه قام الشيخ وهو يقول : (ان عاش هذا الصبي ليكون له شأن عظيم فإن هذا لم ير مثله) (٣) .

وهذا يفسر لنا شهرة شيخ الاسلام في مجال معرفة الأحاديث وحفظها بأسانيدھا ومعرفة صحيحها من سقيمها ، لأنه كان مبرزا في هذا الفن منذ نعومة أظافره حتى قال بعضهم (أى حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث) .

وهذا القول على ما فيه من المبالغة يدل على مدى اشتهاره بمعرفة الأحاديث . ولقد كان لتلقي شيخ الاسلام تقي الدين العلم على حداثة سنه الفضل في تيسر تلقيه العلوم على أكثر من مائتى شيخ كما يحكى في ترجمته (٤) وذلك في علوم الحديث والفقه والتفسير وغيرها .

(١) المصدر السابق نفسه ص ٤ .

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٣ .

(٣) ابن عبد الهادى . العقود الدرية ص ٤ .

(٤) ابن عبد الهادى . العقود الدرية ص ٣ .

هذا فضلا عما كان له من مجهود شخصي في قراءة كتب علم الكلام والفلسفة وكتب
الباطنية وغيرها، وفهمها بدون حاجة إلى شيخ من الشيوخ .
ولقد كان له في كل فرقة من الفرق الاسلامية وغير الاسلامية ممن كانت لهم آراء
شائعة في عصره كان له معرفة تامة بأرائهم وسبب تمسكهم بها ونقط الضعف التي
كانت تخرجهم عند مناقشته لهم .

لم ينقل لنا التاريخ من سير العلماء والابطال والنبلاء سيرة مجاهد مثل تقي الدين ابن تيمية قضى أكثر من نصف قرن من الزمن في جهاد متواصل لا يفتّر عنه لحظة واحدة.

لقد عرفنا أن تقي الدين ابن تيمية ماكاد يصل إلى سن الشباب إلا وقد جمع غالب العلوم التي في عصره ونبغ فيها وتأهل للتدريس والفتوى برغم أن أُنْداده في السن يعتبرون في مرحلة الطفولة المتأخرة أو (المراهقة). وهي أخطر مراحل العمر وأشدها اضطراباً وأكثرها تعقيداً كما يقول بذلك علماء النفس في المشهور من آرائهم.

ولكن تقي الدين ابن تيمية تأهل في هذه المرحلة بالذات وتياً للقيادة الفكرية في عصره وأصبح هو الراعى والموجه لمن هم في مثل سنه أو أكبر منه سناً وأقدم تجربة. ولو نظرنا إلى حال الطلاب في مثل سنه اليوم وما يعانونه من تعب وإرهاق في حفظ مقرراتهم الدراسية لعلمنا مدى ماكبده تقي الدين من تعب وإرهاق حتى حفظ وسمع كتب السنن الكبيرة مثل صحيح البخارى وصحيح مسلم ومسند الامام أحمد وسنن ابن ماجه وغيرها وغيرها.

وكتب اللغة العربية ككتاب سيبويه، وكتب التاريخ والسير وكتب الفلسفة والمنطق وكتب الفرق والعقائد ورسائل الباطنية وغيرها وفهم ذلك كله واستوعبه. فحق للشباب أن يفخر بمثل تقي الدين ابن تيمية الذى نبغ في كل هذه العلوم وهو ابن بضعة عشرة سنة.

ومن عرف هذا عن تقي الدين ابن تيمية عرف مدى استعداد هذا البطل لمواجهة الأمور الكبار فيما بعد ومدى صبره على الجهاد في سبيل الله بالسيف والقلم، ولم يستنكر من ذلك شيئاً عليه.

ولقد شاء الله تعالى أن يدفعه الى ميدان العمل بعد أن صرف الكثير من جهده ووقته في الاستعداد لنزول ذلك الميدان، وبعد أن أصبح أهلاً لأن ينشر ماعنده من علم على الناس فينفع الله به خلقاً كثيراً.

كان موت والده عام ٦٨٢ عليه رحمة الله هو الحدث الذي حول الشيخ تقي الدين من ميدان الدراسة والتحصيل إلى ميدان التدريس والوعظ والافتاء وغير ذلك . فقد شغل مكان والده في المسجد الذي كان يدرس فيه والتفت الناس الى من يحل محله ولكن كانت الآمال متعلقة بتقي الدين الذي عرفه الناس طالبا ذكيا ورعا فطنا قد شاع ذكره بين زملائه وعرف قدره من بينهم .

وبعد عام واحد من وفاة المرحوم الشيخ عبدالحليم بن تيمية نزل ابنه تقي الدين إلى ميدان التدريس وجلس على كرسي والده (١) .

جلس الشيخ تقي الدين للتدريس وهو في ذلك السن نظيرا لأئمة الحديث الممتازين في ذلك العصر كابن دقيق العيد وغيره (٢) .

وظل الشيخ يلقي دروسه في شتى العلوم ويعظ الناس ويذكرهم الله بأبلغ عبارة وأفصح لسان وأجمل قدوة من نفسه حتى شاع ذكره وذاع صيته وعرفه العلماء وعامة أهل بلاده .

وفي عام (٦٩٨) ورده سؤال من مدينة (حماة) بالشام في العقيدة فأجاب عليه الشيخ في رسالة سماها (الحموية) وذكر فيها معتقد السلف الصالح الخالي من الشبه والتأويلات الشنيعة والخرافات المبتدعة التي ظهرت عند الناس بعد عصر الصحابة والتابعين . فأحدثت هذه الفتوى هزة عنيفة في قلوب القائمين على أمور البدع والخرافات في العالم الاسلامي والمتتبعين من انتشارها بين المسلمين .

شعر هؤلاء أن بطلا جديدا قد بدأ يظهر في العالم الإسلامي وسيكون على يديه كشف أمرهم وهتك سترهم وبيان عوارهم . لذلك فقد رأوا أن يبادروا إلى الشوشرة عليه وإشاعة الشائعات ضده وإثارة الناس عليه حتى لا يجد كلامه قبولا في نفوس الناس بعد ذلك .

(١) ابن كثير. البداية والنهاية ص ٣٠٣ ج ١٤ .

(٢) ابن دقيق العيد هو الحافظ تقي الدين القشيري المصري المولود سنة ٦٢٥ والمتوفى سنة ٧٠٢هـ .

قام بعض هؤلاء باشاعة الشغب والفوضى في البلد احتجاجا على هذه الفتوى وأدوا الشيخ وبعض أتباعه ولكن الله نصره عليهم فهيا له أميرا يدعى (سيف الدين جاعان) أخذ على يد هؤلاء وضرب من ضرب منهم وأرسل في طلب من هرب فاخفقوا وسكتت هذه الفتنة. (١)

خمدت الفتنة بحمد الله خاصة وإن الشيخ اجتمع بعد ذلك بجماعة الفضلاء والقضاة وبحثوا في الحموية وناقشوها وانتهى الأمر على خير وقد اسكت الشيخ تقى الدين كل من حاول أن يطعن فيها بشيء بالنقاش المفحم (٢).

ثم نفع الله الشيخ بما جرى في هذه الفتنة، فقد ظهر أمره وارتفعت مكانته عند الناس أكثر من ذي قبل، وعلم بفضل القاصي والداني، وعرف اسمه في أرجاء البلاد فنفعه ذلك كثيرا في قبول كلامه لدى الناس والاستماع إلى نصائحه والأخذ بآرائه الصائبة.

(١) ابن كثير. البداية والنهاية ص ٤ ج ١٤.

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

حادثة قازان

في سنة ٦٩٩ تسع وتسعين وستمائة جاء التتار في هجمة من هجمات المتواليه إلى الشام وهزموا عساكر الملك الناصر محمد بن قلاوون الذي جاء على رأس جنده من مصر. فهرب جند مصر الذين كانوا معه وولوا الأدبار ولحقهم جند الشام، وصار التتار على أبواب دمشق.

ذعر أهل دمشق وفر منهم من العلماء والأعيان عدد كبير. ولكن شيخ الاسلام ابن تيمية وقف موقف الابطال في هذه الظروف وكان له في قلوب الناس من التعظيم والاحلال ما الله اعلم به فاستطاع أن يجمع بسهولة أعيان البلاد واتفق معهم على ضبط الأمور فيها ثم شخص بنفسه إلى ملك التتار على رأس وفد من أهل دمشق يطلب لهم الأمان.

دخل الشيخ على ملك التتار (قازان) (١) فحدث معه ما يشبه المعجزة فقد أكرم الله الشيخ ابن تيمية بقذف الرعب والهيبه في قلب ذلك الملك الظالم فانصاع لطلبات الشيخ بدون أى اعتراض.

كان الشيخ ابن تيمية يتحدث إلى قازان ملك التتار بمنطق القوة والبأس على خلاف العادة فيمن يأتي إلى ملك منتصر ليفاوض في طلب الأمان وليس وراءه جيش ولا عتاد. ولكن قوة الشيخ لم تكن في اعتماده على جيش وراءه ويهدد به ويتوعد وإنما كانت قوته في إيمانه العميق ووثوقه بما أعد الله للمخلصين في سبيله من نصر (وما النصر إلا من عند الله).

طلب الشيخ من قازان ملك التتار الأمان لدمشق فوافق الملك على طلبه وأعلن الأمان وبعد أن غادر الشيخ المكان سأل عنه الملك مبهوراً فقال (من هذا الشيخ؟ إنى لم أر مثله، ولا أثبت قلباً منه. ولا أوقع من حديثه في قلبى، ولا رأيتنى أعظم انقيادا لأحد منه) (٢)

(١) يقرأ هذا الاسم قازان - أو - غازان. انظر ابن كثير البداية والنهاية ص ١٤ ج ١٤

(٢) أبوزهرة: ابن تيمية ص ٣٧ عن القول الجلى.

ولما رجع الشيخ الى دمشق وعلم أن التتار برغم ما أعطوه من أمان للبلاد يطالبون بالقلعة الحصينة في البلاد. بعث الشيخ لصاحب القلعة يقول له (لو لم يبق فيها إلا حجر واحد فلا تسلمهم ذلك إن استطعت)(١).

ولقد أخذ الرجل بنصيحة الشيخ فعجز التتار عن اقتحام القلعة، وحاولوا نصب (المنجنيق)(٢) في المسجد لضرب القلعة، فأخذ صاحب القلعة يرسل من يكسر أخشاب (المنجنيق) على حين غفلة من التتار.

وأخيرا توجه قازان من الشام إلى العراق، فلما انصرف هو وجنوده من حول دمشق وترك نائبه فيها جاءت البشائر بأن الجيش المصرى خرج من مصر إلى الشام وظهر لابن تيمية هنا موقف نبيل آخر فقد طلب من صاحب القلعة من الناس أن يحفظوا الأسوار حتى يصل الجيش المصرى، فكان شيخ الاسلام ابن تيمية يدور كل ليلة على الأسوار يحرض الناس على الصبر والقتال إن أحوج الأمر، ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط حتى انتهت نوبة قازان هذه وحفظ الله المسلمين من شر كبير(٣).

ولم تكن جميع هذه الأعمال الجليلة من تقي الدين ابن تيمية إلا مقدمات لما جاء بعدها من أعمال عظام، فقد سجل التاريخ لشيخ الاسلام ابن تيمية أنه هو الرجل الأول من المسلمين فى معركة (شقحب)(٤) التى تلت حادثة قازان هذه.

(١) ابن كثير. البداية والنهاية ص ٧ ج ١٤.

(٢) آلة حربية. انظر المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(٣) ابن كثير. البداية والنهاية ص ١١ ج ١٤.

(٤) شقحب عين ماء جنوب دمشق وقد حدثت هذه المعركة سنة ٧٠٢ هـ.

كانت الأحداث السياسية المتتابعة في دار الخلافة بمصر في عهد الحاكم بأمر الله ابو العباس احمد العباسي (١) وابنه سليمان من أهم العوامل التي اضعفت قوة الدولة الاسلامية (في ذلك العهد) فقد كان الخليفة منهم شبه معزول عن الأحداث. وكان -سلطان البلاد- هو لقب الملك المتصرف فعلا في الحكم.

كان هذا السلطان يتغير ويتبدل بين الفينة والفينة بسبب الثورات الداخلية والدسائس والانقلابات التي كان يحكيها السلاطين لبعضهم البعض فما يكاد يستقر سلطان على عرش البلاد إلا وقد دبر له الأمراء دسيسة لخلعه أو قتله ليتولى واحد منهم مكانه.

وهكذا أصبحت الدولة الإسلامية في اضطراب سياسي عظيم، ولم تكن والحالة هذه الفرصة سانحة للاعداد لمحاربة التتار محاربة جادة شاملة.

وكيف تكون هذه الفرصة مواتية في مثل هذه الظروف؟

ولقد زاد الامر سوءاً ما حدث من هزيمة المسلمين عام ٦٩٩ كما سبق أن عرفنا فقد زادت هذه الهزيمة من هيبة التتار في قلوب جيش المسلمين.

في هذه الظروف شاع عند الناس أن التتار قد عزموا على القضاء على الدولة الإسلامية في الشام ومصر وإنهم يعدون العدة لذلك. وما كاد ينتشر هذا الخبر حتى انتشر الرعب والفرع في الناس وظهر الارتباك في الدولة بأسرها حتى أن السلطان تردد كثيرا في الخروج للملاقاة التتار وجاءت الأخبار بذلك من مصر إلى الشام.

في هذه الاثناء ظهر ابن تيمية كرجل دولة ممتاز لا مثيل له، ولا غرابة فقد كان عالما جليلا وإماماً عظيماً وقائداً شجاعاً وخطيباً بارعاً ومجاهداً فحلاً.

(١) أحد الخلفاء في دولة المماليك بوبع بالخلافة عام ٦٦١ وتوفي عام ٧٠١ وخلفه ابنه أبو الربيع سليمان انظر ابن كثير. البداية والنهاية ص ٢١ ج ١٤.

ولم يكن الأمر هينا هذه المرة فقد كان المطلب الملح في هذه الظروف هو إعادة الثقة والطمأنينة في قلوب المسلمين وتحديد العزم عندهم على الجهاد والوثوق بالنصر ولم يكن هذا المطلب صعبا في يوم من الأيام أكثر مما كان في ذلك الوقت .

لذلك لم يترك ابن تيمية طريقة يثبت فيها للناس انهم يستطيعون ملاقاته التتار والانتصار عليهم إلا وفعلها .

ولقد سجل له التاريخ هنا انه خرج إلى نائب الشام فثبته وقوى من جأشه وطيب قلوب الجند ووعدهم النصر والظفر بالأعداء . وتلا عليهم قوله تعالى ﴿ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور﴾ (١) وبات عند الجيش ليلة ثم عاد إلى دمشق . (٢)

ولم يهدأ بال الشيخ بل سار إلى مصر ليستحث السلطان للمجيء بعساكره إلى الشام ويوعده بالنصر من عند الله في هذه المرة ويحذره مغبة التهاون في مثل هذه الأمور . وكان مما قاله له حينذاك : (لو قدر انكم لستم حكام الشام ولا ملوكه واستنصركم أهله وجب عليكم النصر . فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه وهم رعاياكم . وأنتم مسؤولون عنهم) (٣)

ولم يضيع الشيخ الوقت فرجع من مصر قاصدا قلعة دمشق فمكث فيها ثمانية أيام يحثهم فيها على الجهاد والخروج للأعداء .

ولم يلبث أن خرج السلطان من مصر لملاقاة التتار متأثراً بنصائح هذا الشيخ الفاضل وحماسه ، ولقد استمر الشيخ في الاجتماع بكل جيش من جيوش المسلمين على حدة في مكانه يعظهم ويشجعهم على القتال ويوعدهم النصر . ويحلف لهم بالله أنكم في هذه المرة منصورون فيقول له بعض الأمراء : قل إن شاء الله فيقول : (إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا) (٤) .

(١) آية ٦٠ سورة الحج .

(٢) ابن كثير . البداية والنهاية ص ١٥ ج ١٤ .

(٣) ابن كثير . البداية والنهاية ص ١٥ ج ١٤ .

(٤) ابن كثير . البداية والنهاية ص ٢٣ ج ١٤ .

ولم تفلح في وجه الشيخ ابن تيمية كل المحاولات التي حاولها المرجفون لمنع المسلمين من دخول هذه المعركة مع التتار حتى قال بعضهم : إن هؤلاء التتار يظهرون الاسلام ، وليسوا بغاة على الامام ، إذ لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه فكيف نقاتلهم؟ فرد عليهم الشيخ هذا القول وبين أن هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على الامامين على ومعاوية رضي الله عنهما ورأوا أنهم أحق بالأمر منهما . ثم بين أن هؤلاء يزعمون إنهم أحق بإقامة الحق من المسلمين ويعيبون على المسلمين ما هم فيه من المعاصي وهم متلبسون بما هو أعظم منه باضعاف مضاعفة .

وزيادة في إنكار هذا الرأي الشاذ من المرجفين قال الشيخ : (لو رأيتموني من ذلك الجانب وعلى رأسي مصحف فاقتلوني) (١) .

وبهذا الجهد المشكور من الشيخ ابن تيمية انقمعت كافة الأراجيف والمخاوف وعزم الجميع على ملاقات التتار ومحاربتهم مهما كلف الأمر .

وفي شهر رمضان المبارك التقى الجيشان والتحم الفريقان وارتفعت الاكف لله عز وجل بالدعاء للمسلمين بالنصر .

وهنا دخل الشيخ وأخوه وأصحابه في جملة المقاتلين بعد أن دعى الناس طويلاً لهذا اللقاء . فأراد أن يعطيهم القدوة من نفسه وصال وجال بسيفه كما قد صال وجال بقلمه وبلسانه (٢) .

ثم تحقق النصر بحمد الله على التتار وظهر الشيخ ابن تيمية بحق كرجل المعركة الأول وسطع نجمه أكثر من ذي قبل مما أوجد له حسادا كثيرين ممن لم يستطع أن يبلغ شأوه أو يحقق شيئا مما حققه .

(١) ابن كثير . البداية والنهاية ص ٢٤ ج ١٤ .

(٢) ابن عبد الهادي . العقود الدرية ص ١٧٧ .

ولا يفوتنا أن نسجل هنا أن مما حققه الشيخ ابن تيمية في مصلحة المسلمين أن طلب من ولاة الأمر بعثه على رأس جيش لقتال أهل جبل كسروان . وهم الذين بغوا وخرجوا على الامام واخافوا السبل وعارضوا المارين بهم من الجيش بكل سوء . فقام الشيخ بهذه المهمة خير قيام حتى أناله الله منهم وأراح من شرهم (١) .

جهاد الحساد

كان قد كتب على الشيخ ابن تيمية أن يعيش حياته كلها جهاداً متواصلاً كما ذكرنا لا يفتر عنه لحظة واحدة . ولعل ذلك من أعظم ما من الله به عليه - فما كادت تحمد نيران الحرب التي قادها بكل ما في وسعه من قوة وعزيمة ضد التتار ومن شايعهم ، وما كاد يظهر فضله بين قرنائه من العلماء الذين لم يسعوا سعيه ولا جاهدوا ولا نالوا مما ناله من المنزلة شيئاً . حتى حسدوه واضمروا له الحقد والبغضاء . وأرادوا رميه لدى السلطان بما يؤذيه ويقلل من منزلته العظيمة عنده وعند بقية الأمراء وولاة الأمر .

ولقد كان على رأس فريق الحساد المذكورين عدد من الصوفية المنحرفين الذين اتخذوا من التصوف تجارة أو مصلحة أو مكانة لدى الحكام واعتمدوا على الشعوذة والحيل والكسب الرخيص بطريقة المحتالين والمشعوذين . وذلك لأن الشيخ ابن تيمية لم يغفل عنهم وعن سمومهم التي ينشرونها بين المسلمين لتشويه الصورة الكاملة للدين في النفوس . فكان له معهم مواقف مشهورة منها ما نشره في جميع كتبه ورسائله من تحقيق في المسائل التي يدعونها ويخلطون فيها بين الحق والباطل .

ولقد اشتكاه فريق من الصوفية الأحمدية لنائب السلطنة حتى يوقف هجومه عليهم . فاجتمع بهم الشيخ عند نائب السلطنة وناقشهم فيما يفعلونه من الأعيب وتحذاهم أن يدخلوا النار أمامه بعد أن يغسل أحدهم جسده جيداً فقد عرف أنهم

(١) ابن عبد الهادي . العقود الدرية ص ١٧٩ .

يطلون أجسادهم بمواد مانعة للاشتعال فيما يبدو. ثم بين الشيخ أن أحدهم لو دخل النار ولم يصبه شيء فلا يدل هذا على صلاحه لأن الصلاح له علامات غير هذه الخيل السخيفة.

وانتهى الأمر بأخذ التعهد عليهم بأن من خالف الكتاب والسنة تضرب عنقه (١). حصل هذا بين الشيخ وبعض صوفية دمشق ولكن أنصار الصوفية الجهلاء شايعوه وحقدوا على الشيخ بدون علم ولا هدى وساعدهم بعض المغرضين من غير الصوفية ليرموا الشيخ بفرية كبيرة لدى السلطان عسى نجمه يأفل وسيفه يثلم ولسانه يتوقف عن فضح أمورهم وهتك عوراتهم وكشفهم لدى الجماهير.

وصادف أن استولى الملك الظاهر بيبرس الجاشنكير على الملك في غياب الملك الناصر محمد بن قلاوون. وكان لهذا الملك الجديد صداقة مع الشيخ نصر المنبجي أحد كبار الصوفية في مصر في ذلك العصر ومن خصه شيخ الاسلام برسائل عتاب ومناقشة ونصح وإرشاد - ولكن الغرور أخذ من هذا الشيخ الصوفي مأخذا عظيما وحمله التعصب الأعمى على الايقاع بين الشيخ ابن تيمية وبين هذا الملك الجديد. وكان مما نسبته المغرضون للشيخ انه يرغب في الاستيلاء على الملك (٢).

ثم حاولوا جاهدين اتهمه في عقيدته ونسبوا له الزرع والضلال ظلما وافتراء ، فطلب الشيخ الى القاهرة بأمر السلطان سنة ٧٠٥ وعقد له مجلس هناك وكان هذا المجلس اشبه بمحكمة عسكرية ظالمة لا تريد مناقشة امر ولا استماعا الى دفاع ولا حجة بل تريد أن تقرر ما سبق ان حكمت به غيابيا على المتهم ثم تودعه السجن ، وما كان عقد المجلس له الا أمرا شكليا لا حقيقيا.

علم الشيخ الفطن نية القوم وهو الذكي الألعى فلم يتح للقوم فرصة التشفى فيه كما أرادوا بل غاظهم غيظا أعظم مما كانوا قد أعدوا له من الغيظ وذلك بأن اعرض

(١) ابن عبد الهادي . العقود الدرية ص ١٩٤ .

(٢) الألويس . جلاء العبين ص ٨ .

عن جواب اسئلتهم وقال لهم مستفسرا: من الحكم في؟ فأشاروا إلى القاضي ابن مخلوف - أحد كبار حساد ابن تيمية - فقال له الشيخ: أنت خصمي فكيف تحكم في؟ (١)

ولم يتكلم الشيخ بشيء في هذا المجلس فاغتاظ الجميع منه وأخذوه إلى السجن بدون حكم.

ولقد كان سفر الشيخ ابن تيمية إلى مصر هذه المرة صفحة جديدة من الجهاد في حياة الشيخ خارج حدود بلده الأصلي الشام. فحقق الله له بذلك من الخير ما لم يكن أحد يتوقعه ولا شيخ الإسلام نفسه.

فبرغم ما عاناه من سجن وتعذيب هو واتباعه إلا أن دخوله السجن ظلما وعدوانا دون صدور حكم عليه لفت انتباه الناس إلى أن الحق لا بد معه لأن أخصامه لو كانوا أصحاب حق وعدل لما تجرؤوا على سجن عالم مشهور مثل هذا الشيخ بدون جريمة واضحة ولا سبب مباشر.

وهكذا أطلع الله أهل مصر على خصائص هذا الولي الطاهر من أوليائه وفتح قلوب أهل الحق له. ففي السجن أخذ الشيخ يلقي دروس الوعظ والارشاد ونشر كثيرا من المبادئ السليمة وبين كثيرا من الأمور المشتبه فيها ونص على مواضع الخطأ والصواب فيها حتى تحول السجن إلى مدرسة عظيمة تشع بضياء العلم والمعرفة والحماس للحق.

وعبثا حاول أعداؤه أن يخرجوه من السجن حين علموا بما فعل في السجن ولكن ليس حبا في اطلاق سراحه بل كانوا يريدون ان يقيدوا حريته بشروط قاسية تقيد حريته في الكلام والافتاء خارج السجن فرفض ذلك رفضاً جازماً واختار الحرية الفكرية في السجن على القيد والشروط مع حرية البدن خارج السجن.

(١) ابن عبد الهادي العقود الدرية ص ١٩٧.

فتر أعداؤه من محاولات الكيد له حتى في السجن بعد أن علموا أنهم لم يتمكنوا من حبس حريته الفكرية ولن يتمكنوا من ذلك أبداً وهو في القاهرة والناس تسامعت به وتوافدت عليه في سجنه . فطلبوا من الحاكم إبعاده في الاسكندرية . ولكن لم يعلموا أنهم بذلك قد وسعوا دائرة المعجبين بالشيخ والمستفيدين من علمه وشجاعته وفضله وأعطوه فرصة جديدة لنشر دعوته ضدهم وضد كل ضلال في الاسكندرية أيضا بالإضافة إلى القاهرة والشام .

ظل الشيخ ابن تيمية في السجن بين مصر والاسكندرية من عام ٧٠٥ حين جاء إلى القاهرة إلى عام ٧٠٩ لم يتخللها إلا فترة إفراج واحدة لم تدم أكثر من شهر حيث قد سعى لاختراجه أحد الأمراء فما كاد يخرج من السجن حتى قدم الصوفية المتحاملون شكوى جديدة فيه على وجه السرعة خشية أن يفلت من يدهم الأمر فلا يقدرون عليه بعد ذلك وأعيد بسبب ذلك للسجن مرة أخرى .

وفي عام ٧٠٩ رجع الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى الحكم وانتصر على خصمه الملك الظاهر بيبرس الجاشنكير . فكان أول عمل قام به هذا الملك الهمام ان توجه إلى سجن الشيخ ابن تيمية واخرجه منه معزراً مكرمًا .

ولقد حاول الملك الناصر أن يتشفى لنفسه ولصديقه من علماء السوء الذين تمثالوا عليه واعلنوا عزله عن الملك وباعوا الملك الظاهر بدلا منه وفي أعناقهم له بيعة لم يخشوا الله فيها . وأراد الملك أن يكون انتقامه من هؤلاء له ولصديقه الشيخ ابن تيمية الذي رافقه في معركة الانتصار على التتار التي سلف ذكرها والذي لم ير منه إلا كل خير وصلاح وتقوى . فطلب من الشيخ أن يفتيه بقتل أولئك العلماء الذين أذوهما معا . ولكن شيخ الاسلام ابن تيمية وقف في هذا الظرف الحرج موقفا أشبه ما يكون بمواقف الصحابة الكبار والأولياء الصالحين الذين لا ينظرون إلى مصالحهم الخاصة مطلقا في مقابل النظر في مصلحة جمهور المسلمين . فقال الشيخ للملك الناصر : (إنك إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم) ، فقال له الملك : إنهم قد آذوك وأرادوا قتلك مرارا ، فقال الشيخ : (من آذاني فهو في حل ومن آذى الله ورسوله ﷺ) فالله

ينتقم منه ، وأنا لا انتصر لنفسي)(١).

وهكذا كان الشيخ ابن تيمية سلفي الاخلاق والعقيدة متأسيا بخير الوري (ﷺ) حين عفا عن مشركي قريش في فتح مكة بعد أن لقي منهم ما لقي .

وهكذا كان الشيخ ابن تيمية رحمه الله لا ينظر إلى مصلحته الشخصية ولكنه كان ينظر إلى مصلحة الأمة الاسلامية فيفعل كل ما يراه مصلحة لها ولو كان ذلك على حساب مصالحه الذاتية . فهو حين جاءه الفرغ من الله على يد الملك واتيح له أن يرجع إلى بلاده معززا مكرما وأن يعود الى أهله وذويه بعد الغيبة الطويلة التي قضاه في سجون مصر والاسكندرية تجاهل مصالحه الشخصية أيضا ورأى أن المصلحة في بقاءه في مصر مدة أطول لأنه فطن الى حكمة الله عز وجل التي نقلته من بلاد الشام إلى مصر فاتاحت للملايين من الناس معرفة الحق والبعد عن الباطل الذي كان مستشريا في هذه البلاد ولا أحد يجرؤ على مقاومته ومحاربته .

ظل الشيخ ابن تيمية في مصر إلى عام ٧١٢ وهو يؤدي مهمة نشر المذهب السلفي القويم الخالي من البدع والخرافات والأباطيل . ثم سافر عائدا إلى دمشق بعد أن قضى في مصر نحو سبع سنوات كلها جهاد وعمل ووعظ وإرشاد . وعكف الشيخ على نشر العلم والاجابة على الاسئلة التي كانت ترد إليه من أنحاء العالم الاسلامي . ولقد كان آية في سعة المعلومات وحضور البديهة وجودة الحفظ حتى كان يؤلف الرسالة ويحجج على المسئلة بكثير من التفصيل والاسهاب مع استحضار الشواهد من القرآن والسنة والتاريخ من ذهنه فيكتب في الجلسة الواحدة ما يعجز عن كتابة مثله كبار العلماء في أيام وشهور . (٢)

(١) ابن كثير . البداية والنهاية ص ٥٤ ج ١٤ .

(٢) حكى أن الشيخ ألف العقيدة الواسطية - وهي جواب على سؤال ورد من مدينة واسط - في جلسة بعد العصر .

لكل شخص نهاية ولكل أمر خاتمة . ولقد اختار الله عز وجل لهذا الشيخ الجليل تقي الدين ابن تيمية نهاية عظيمة كما كانت بدايته عظيمة حقاً .

فقد ختم الله حياة هذا الشيخ بالجهاد كما بدأها بالجهاد . قد يقال : كيف تأتي المتاعب لابن تيمية بعد أن ظهر على أعدائه وأصبح العالم المشار إليه بالبنان فلا منازع ولا منافس وقد جمع الله له من الهيبة في قلوب الأمراء وفي قلب السلطان ومن الحب له ما لا يتصور معه أن يواجه بعد ذلك منهم شيئاً مما يكرهه .

فالسُلطان في مصر صديقه الذي سارع في إخراجه من السجن أول ما رجع إليه ملكه ثم استشاره في قتل أعدائه كما تقدم ، ثم استمرت الصلة بينهما قوية متينة . صلة عالم فاضل بملك صالح ورع . كل هذا يوحي بأن حياة ابن تيمية ليس فيها ما يكدر الخاطر أو يجلب المتاعب بعد هذا كله .

ولكن حين أراد الله عز وجل أن تكون نهاية هذا الشيخ في الجهاد والمصابرة أخذ حساد الشيخ يتحرون الفرصة لزعزعة الثقة بين الشيخ وبين صديقه السلطان ليتمكنون من التقاط أنفاسهم ويضربون ضربتهم .

وفي سنة ٧١٨ أفتى الشيخ في مسألة الحلف بالطلاق بما أراه الله فيها من رأي وكان هذا أمراً عادياً عند إمام بلغ درجة الاجتهاد . ولكن علماء عصره الذين خالفوه الرأي في هذه المسألة رأوا أن من الأصلح عدم الافتاء بما يخالف رأي الجمهور في ذلك الوقت . فاجتمعوا به ونصحوه بترك الافتاء في هذه المسألة فأجابهم الشيخ إلى مطلبهم رعاية لخواطرهم . (١)

(١) ابن كثير . البداية والنهاية ص ٨٧ ج ١٤ .

كانت هذه حادثة عابرة ولكن الحساد طاروا بها إلى السلطان في مصر . وطلبوا منه أن يصدر مرسوما سلطانيا بمنع الشيخ من الافتاء في هذه المسألة . وهم يعلمون أن الشيخ توقف عن الافتاء فيها، ولكن كانت هذه فرصتهم الوحيدة التي يبدؤون منها التنغيص على الشيخ بعد أن طال انتظارهم وطال تربصهم به .

ثم ورد البريد في جمادى الأولى من تلك السنة بكتاب من السلطان فيه منع الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الافتاء في هذه المسألة . (١)

وكان يمكن أن يعتبر مرسوم السلطان تحصيل حاصل لأن الشيخ قد توقف فعلا عن الافتاء في هذه المسألة . ولكن حساسية الشيخ المرهفة وشعوره بأن الواجب عليه أن يكون قدوة العلماء في إظهار الحق وعدم كتمانها مهما كلف الأمر جعله يعاود الافتاء في هذه المسألة كلما جدت حاجة المسلمين إلى ذلك . غير عابىء بمنع السلطان له من ذلك . وتوالت المراسيم من السلطان بالمنع وعقدت للشيخ مجالس بأمر السلطان بحضرة القضاة وأعيان البلاد من الفقهاء والأمراء وقرىء عليهم كتاب السلطان بمنع الشيخ من الافتاء في هذه المسألة . فلما تكرر منه ذلك عقد له مجلس في سنة ٧٢٠ إنتهوا فيه إلى أن يحبس الشيخ في القلعة بدمشق لاصراره على معاودة الافتاء . فحبس مدة خمسة أشهر وثمانية عشر يوما ثم ورد مرسوم من السلطان بإخراجه في أول سنة ٧٢١هـ . (٢)

كان سجن الشيخ من قبل صديقه الملك الناصر، فرصة للأعداء كي يجتمعوا ويخططوا للكيد للشيخ في غيبته وهم مستبشرون ببداية الواقعة بينه وبين السلطان المذكور.

ولم يظفر الحساد بشيء يمكن أن يعيد الشيخ إلى السجن ويحبس حريته التي طالما استعملها في فضحهم وإظهار عوازمهم، فعمدوا إلى كلام له قديم في مسألة شد الرحال إلى قبور الصالحين فأخذوا كلامه وزادوا عليه وأوصلوه إلى السلطان في مصر .

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ص ٨٧ ج ١٤ .

(٢) ابن كثير . البداية والنهاية ص ٩٣ - ٩٧ ج ١٤ .

وما زالوا بالسلطان حتى يثيروا غضبه عليه . وكانت الفترة قد طالت بين لقاء الشيخ ابن تيمية بالسلطان واجتماعه به وتأثره بشخصيته ووثوقه بأرائه وبغزارة علمه ونزاهته عن مثل هذه الأكاذيب التي لفقها له اعداؤه ، وكان أقرب حدث يتذكره جيدا هو امتناع الشيخ عن تنفيذ مراسيم السلطان المتعددة بمنعه من الفتيا في مسألة الحلف بالطلاق التي تسببت في سجنه الذي نوهنا عنه . كل ذلك سهل على السلطان أن يتخذ قرارا بسجن الشيخ في شعبان سنة ٧٢٦هـ في قلعة دمشق . فاعتقل في يوم الاثنين سادس عشر شعبان من هذه السنة فوضع الشيخ بالقلعة واخليت له قاعة واجرى إليها الماء ورسم له بالاقامة فيها وإقامة أخيه زين الدين في خدمته بإذن من السلطان (١).

ولم يغتم الشيخ بالسجن على عادته بل زاد هذه المرة في إظهار الفرح والسرور بهذا الحدث وقال : (أنا كنت منتظرا لذلك . وهذا فيه خير كثير ومصلحة كبيرة) (٢) .

وفي السجن أقبل الشيخ كعادته على الكتابة في المسائل التي سجن من أجلها ليبين مدى ما افتراه الناس عليه ومدى الخلط الذي حصل عند الناس بين الحق والباطل في هذه المسائل وأمطر أعداءه بوابل من الحجج والبراهين التي تحق الحق وتدحض الباطل بأمر الله .

ولما وصلت رسائل الشيخ وحججه الباهرة إلى الناس وعرف الحق من الباطل وانكشف أمر الحساد شعر هؤلاء الحساد أن استمرار الشيخ في الكتابة والتأليف في داخل السجن سيقضي على ثمرة مجهوداتهم الدنيئة . لذلك سعوا عند السلطان للتضييق على الشيخ ومنعه من الكتابة مطلقا ومصادرة كتبه وأوراقه وأقلامه . فنفذ لهم السلطان مطلبهم هذا للأسف الشديد .

فأدخل بذلك الغم إلى القلب الذي لم يعرف الغم طيلة حياته التي استمرت سبعة وستين عاما كلها جهاد متواصل وعمل مضني .

(١) المصدر نفسه ص ١٢٣ ج ١٤ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة .

وكتب شيخ الإسلام بعض رسائله بالفحم على الورق المتناثر في حجرته كمحاولة
أخيرة لإظهار عدم الاستسلام للاختصاص . ولكن ما لبث أن نزل به المرض فأنهك
جسمه الضعيف ولم ينل من قلبه وهمته شيئا .

وفاته

توفي شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية في ليلة الاثنين الموافق للعشرين من شهر
ذى القعدة من عام ٧٢٨ بعد أن عكف على تلاوة القرآن والتعبد به ليل نهار صابرا
محتسبا أجره على الله .

أشهر تلاميذه

إن تلاميذ الشيخ تقي الدين ابن تيمية من الكثرة بحيث يتعسر بل يتعذر حصرهم والتحدث عنهم في هذه الترجمة. ولكن يكفي أن نذكر منهم بعض من اشتهر بين العلماء ذكره. كابن القيم، وابن كثير، وابن عبد الهادي والحافظ الذهبي.

١- ابن القيم. هو الإمام العلامة شمس الدين أبوبكر بن قيم الجوزية ولد سنة ٦٩١هـ وتوفي سنة ٧٥١هـ وله مؤلفات كثيرة مفيدة مشهورة لدى العلماء، وقد لازم الشيخ تقي الدين حتى في أيام المحن كلها ولم يتزلزل ولم يخضع لنوائب الدهر وصبر على العذاب والسجن مع شيخه حتى أزاح الله عنها وعن بقية أصحابها الكرب. (١)
٢- ابن كثير. هو الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصري ثم الدمشقي ولد سنة ٧٠٠هـ وتوفي سنة ٧٧٤هـ وله مؤلفات كثيرة أشهرها التفسير المشهور له وكتاب البداية والنهاية وغيره، وكان متمسكا بآراء شيخه ابن تيمية وأوذى كثيرا بسبب ذلك ولكنه صبر واحتسب. (٢)

٣- ابن عبد الهادي. هو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدس الحنبلي ولد في سنة ٧٠٤هـ وتوفي سنة ٧٤٤هـ وألف مؤلفات كثيرة نافعة ورد على بعض خصوم شيخه تقي الدين ابن تيمية واهتم بترجمته في مؤلف خاص به سماه (العقود الدرية من مناقب شيخ الاسلام أحمد بن تيمية) (٣).

٤- الحافظ الذهبي. هو الامام الحافظ شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان التركماني ولد سنة ٦٧٣هـ وتوفي ٧٤٨هـ.

(١) انظر ترجمته في كتاب الألوسي. جلاء العينين ص ٣٠.

(٢) انظر ترجمته في كتاب الألوسي. جلاء العينين ص ٣٠.

(٣) انظر ترجمته في مقدمة كتابه (العقود الدرية) منقولة من طبقات الحنابلة لابن رجب نقلها المرحوم محمد حامد الفقي.

وقد ألف المؤلفات الكبيرة المفيدة وبعض المختصرات ومنها مختصر لكتاب شيخه تقي الدين ابن تيمية في الرد على الرافضة وألف كتباً كثيرة في الصفات ودافع فيها عن مذهب السلف الذي تبناه شيخه تقي الدين ابن تيمية فمن ذلك كتابه (العلو للعلو الغفار) وغيره (١).

(١) انظر ترجمته في مقدمة كتاب الألوسي جلاء العينين ص ٣٢. وكتابه (العلو للعلو الغفار) مطبوع مشهور لدى العلماء.

مؤلفاته

ألف شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية الكثير من الكتب الكبار والمتوسطة وأجاب على كثير من الأسئلة التي كانت ترد عليه من أنحاء العالم الاسلامي كما سبق أن نوهنا في رسائل مختلفة الأحجام والموضوعات. وأفتى في كثير من الأمور الشرعية فحفظ شيء كثير من ذلك بتوفيق الله تعالى وحفظه.

فقد هيا الله تعالى من أهل العلم والفضل من اعتنى بطبع الكثير منها ونشره لتعم الفائدة بها في كل عصر وكل مكان بعد أن نفع الله بها من شاء له الخير في ذلك الزمان.

ويحتمل أن الذي فاتنا من مؤلفات هذا العالم الجليل يقارب ما نقل إلينا منها لكثرتها المتناهية، يقول تلميذه ابن عبد الهادي: (وكان يكتب الجواب، فان حضر من يبيضه. وإلا أخذ السائل خطه وذهب ويكتب قواعد كثيرة في فنون العلم. . فإن وجد من نقل خطه وإلا لم يشتهر ولم يعرف وربما أخذه بعض أصحابه. فلا يقدر على نقله ولا يرد إليه فيذهب)(١).

ثم قال ابن عبد الهادي: وما كفى هذا إلا أنه لما حبس تفرق أتباعه وتفرقت كتبه، وخوفوا أصحابه من أن يظهروا كتبه. فبقي هذا يهرب ما عنده وهذا يبيعه أو يهبه وهذا يخفيه ويودعه، حتى أن منهم من تسرق كتبه أو تجحد فلا يستطيع أن يطلبها ولا يقدر على تخليصها)(٢).

إلا أنه في هذا العصر وفق الله رجلا من أهل العلم والفضل هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي وابنه الشيخ محمد إلى جمع سائر ما عرف من كتب الشيخ تقي الدين ابن تيمية وفتاويه مما هو مطبوع بمفرده أو في مجموعة أو مخطوط لم يطبع بعد. فجمعنا ذلك كله في خمسة وثلاثين مجلدا ضخما ثم اتبعناه بمجلدين فهارس وسميا المجموعة (مجموع فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية)(٣).

(١) ابن عبد الهادي. العقود الدرية ص ٦٥.

(٢) ابن عبد الهادي. العقود الدرية ص ٦٥.

(٣) بدأت طباعة هذه المجموعة في عام ١٣٧٤هـ وانتهت في عام ١٣٨٦هـ بمطبعة الحكومة بالملكة العربية السعودية.

كتب الامام ابن تيمية ورسائله المشهورة حسب الترتيب الأبجدي

- ١- أبطال وحدة الوجود والرد على القائلين بها :
 - نشرت ضمن مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية تحقيق محمد رشيد رضا .
 - نشر لجنة التراث العربي ولم يذكر تاريخ الطبع وتسمى بالرسائل المنيرة .
- ٢- إثبات المعاد والرد على ابن سينا
 - ذكره الألويسي في كتابه (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين)
 - طبعة المدني عام ١٣٨١هـ .
- ٣- الاحتجاج بالقدر
 - نشرت هذه الرسالة ضمن مجموعة الرسائل الكبرى التي طبعها محمد علي .
 - صبيح عام ١٣٨٥هـ القاهرة وهي الرسالة السادسة بالجزء الثاني .
 - وقد سبق أن طبعت مستقلة بطبعة أنصار السنة عام ١٣٨٢هـ بمراجعة وتعليق محمد عبدالله السمان .
- ٤- الاختبارات العلمية
 - هو كتاب مؤلف على طريقة كتب الفقه وأبوابه مع إضافات أخرى وقد نشر ضمن الفتاوي الكبرى لابن تيمية المسماة بالفتاوي المصرية في الجزء الخامس منها .
- ٥- الارادة والأمر
 - رسالة لطيفة نشرت ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقا وهي الرسالة الثانية بالجزء الأول .
- ٦- أربعون حديثا
 - نشرت ضمن مجموع فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية جمع وترتيب عبدالرحمن النجدي وابنه محمد طبعت بمطبعة الحكومة بالمملكة العربية السعودية وأعيد طبعها لنفاد الطبعة الأولى في عام ١٣٩٨هـ .
- ٧- الاستغاثة
 - نشرت ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقا وهي الرسالة الثانية عشرة بالجزء الأول .

٨- الاستقامة

- نشر الجزء الاول منه على نفقة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض بتحقيق محمد رشاد سالم عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ويقع في ٤٧٠ صفحة.

٩- الأفعال الاختيارية

- نشر ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور سابقا.

١٠- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم

- طبع عدة طبعات منها الطبعة الثانية بتحقيق محمد حامد الفقي عام ١٣٦٩هـ بالقاهرة

- ومنها طبعة في مطبعة الحكومة السعودية عام ١٣٨٩هـ.

١١- أقوم ما قيل في المشيئة والحكمة والقضاء والقدر والتعليل وبطلان الجبر والتعطيل

- نشر ضمن مجموعة الرسائل والمسائل المنيرية المذكورة سابقا.

١٢- الاكليل في المتشابه والتاويل

- نشر ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقا وهي الرسالة الأولى بالجزء الثاني.

١٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

- رسالة لطيفة نشرت ضمن مجموعة «شذرات البلاتين» الجزء الاول بتحقيق محمد حامد الفقي طبعت بمطبعة السنة المحمدية عام ١٣٧٥هـ بالقاهرة.

١٤- أهل الصفة والأباطيل فيهم

- نشرت ضمن مجموعة الرسائل والمسائل المنيرية المذكورة سابقا وهي الرسالة الثالثة.

١٥- الايمان

- ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور سابقا

- وأيضاً طبع طبعات مستقلة منها دار الطباعة المحمدية بتعليق محمد خليل هراس بدون إشارة إلى تاريخ الطبعة .

١٦- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ، المسمى (السبعينية)

- نشر ضمن الفتاوى الكبرى (المصرية) المذكورة سابقاً بالجزء الخامس منها .

١٧- البيان في نزول القرآن

- نشر ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ط محمد علي صبيح عام ١٣٨٥هـ الجزء

الاول الرسالة الثالثة .

١٨- بيان الهدى من الضلال في أمر الهلال

- نشر ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية المذكور سابقاً .

١٩- التحفة العراقية في الأعمال القلبية

نشر ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور

سابقاً .

٢٠- تحقيق التوكل

- رسالة لطيفة نشرت ضمن جامع الرسائل ، المجموعة الأولى بتحقيق محمد رشاد

سالم الرسالة الخامسة ، مطبعة المدنى بالقاهرة ولا توجد إشارة إلى تاريخ الطبع .

٢١- تحقيق الشكر

- رسالة في حجم الرسالة السابقة مع نفس المجموعة وهي الرسالة السادسة .

٢٢- تحقيق مسألة علم الله

- رسالة لطيفة في حجم الرسالتين السابقتين ومع نفس المجموعة وهي الرسالة

العاشرة .

٢٣- التسعينية

- نشرت ضمن مجموع الفتاوى الكبرى المصرية ط كردستان بالقاهرة عام

١٣٢٩هـ بالجزء الخامس .

٢٤- تفسير آية الوضوء

- نشرت ضمن مجموعة شذرات البلاتين ط السنة المحمدية عام ١٣٧٥هـ بتحقيق محمد حامد الفقي .

٢٥- تفسير سورة الاخلاص

- نشر ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور سابقا

- وأيضا طبعت مستقلة بدار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة بدون تاريخ .

٢٦- تفسير سورة سبح

- نشرت ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور سابقا .

٢٧- تفسير المعوذتين

- نشرت ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقا الرسالة العاشرة بالجزء الثاني

٢٨- تفسير سورة النور

- نشرت ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور سابقا

- وأيضا طبعت مستقلة بدار ومطابع الشعب بتحقيق صلاح عزام عام ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م .

٢٩- تفصيل الاجال فيما يجب لله من صفات الكمال

- نشرت ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (المنيرية) وهي الرسالة الثانية .

٣٠- تفضيل الائمة الاربعة

- ذكره خيرالدين بن الألويسي عند ترجمته للامام ابن تيمية في كتابه (جلاء العينين)

- ص ٦ مطبعة المدني بالقاهرة عام ١٣٨١هـ ١٩٦١م ولم اجده بهذا الاسم في غيره .

٣١- تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية

- ذكره زين الدين بن رجب في ذيل طبقات الحنابلة مطبعة السنة المحمدية عام ١٣٧٢هـ.

٣٢- التوبة

- نشرت ضمن جامع الرسائل طه المديني بتحقيق محمد رشاد سالم المذكور سابقا وهي الرسالة الثالثة عشرة.

٣٣- التوسل والوسيلة

- نشر ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور سابقا

- وأيضا طبعة مستقلة بمطابع دار الأيتام الاسلامية بالقدس عام ١٣٨٥هـ.

٣٤- جواب أهل العلم والايان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن (قل هو الله أحد - تعدل ثلث القرآن) .

- نشرت ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور سابقا.

- وطبعت مستقلة بدار البيان بدمشق عام ١٣٨٧هـ وطبعة ثانية بدار الكتب العلمية ببيروت عام ١٣٩٤هـ.

٣٥- الجواب الباهر

- نشر ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور سابقا.

٣٦- جواب من قال أن معجزات الأنبياء قوى نفسانية

- ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة المذكور سابقا.

٣٧- جواب من يقول أن صفات الرب نسب وإضافات

- نشر ضمن جامع الرسائل المذكور سابقا، الرسالة التاسعة.

٣٨- حروف القرآن وأصواتنا بها

- نشرت ضمن (شذرات البلاتين) المذكور سابقا.

- نشر ضمن (شذرات البلاتين) المذكور سابقا، وطبعة مستقلة بمطابع المدني بالقاهرة عام ١٩٧٢م بتحقيق محمد حامد الفقي .

٤٠- حقيقة مذهب الاتحاديين (أو وحدة الوجود)

- نشر ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي .

٤١- الحلاج هل هو صديق أو زنديق؟

- نشر ضمن جامع الرسائل المذكور سابقا الرسالة الحادية عشرة

٤٢- دخول الجنة

- نشر ضمن جامع الرسائل المذكور سابقا، الرسالة الثامنة .

٤٣- درء تعارض العقل والنقل، ويسمى (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول)

- نشر بهذا الاسم الأخير بهامش كتاب (منهاج السنة النبوية) لنفس المؤلف نشر

مكتبة الرياض في ثلاث مجلدات كبار ولا توجد إشارة إلى تاريخ الطباعة، كما طبع

مستقلا بالاسم الأول في مطبعة دار الكتب بالقاهرة عام ١٩٧١م بتحقيق محمد رشاد

سالم .

٤٤- الدليل على فضل العرب

- نشر ضمن جامع الرسائل المذكور سابقا، الرسالة الخامسة عشرة .

٤٥- رأس الحسين

- نشرت ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي،

وأیضا ضمن مجموعة رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية طبعت بمطبعة السنة المحمدية

عام ١٣٦٨هـ على نفقة محمد نصيف بتحقيق محمد حامد الفقي .

٤٦- الرد الأقوم على ما في كتاب فصوص الحكم

- نشرت ضمن مجموعة رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية المذكورة سابقا .

٤٧- الرد على ابن عربي في دعوى إيمان فرعون

- نشرت ضمن جامع الرسائل المذكور سابقا، الرسالة الثانية عشرة .

٤٨- الرد على أهل كسروان الروافض

- ذكره ابن رجب الحنبلي في ذيل طبقات الحنابلة ولم أجد له ذكر في غيره وكتاب ابن رجب سبق ذكر طبعته .

٤٩- الرد على تأسيس التقديس للرازي

- ذكره الألوسي في كتابه (جلاء العينين) الذي سبق ذكره ولم أجد له في غيره .

٥٠- الرد على المنطقيين ، ويسمى (نقض المنطق)

- نشر ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور سابقا .

- وطبع مستقلا بالمطبعة القيمة بومباي عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م وأعيد طبعه في مطبعة معارف لاهور عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م بمعرفة إدارة ترجمان السنة بلاهور باكستان .

٥١- الرسالة البغدادية

- ذكرها الألوسي في كتابه (جلاء العينين) المذكور سابقا .

٥٢- الرسالة التدمرية

- نشرت ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور سابقا .

٥٣- الرسالة الحموية الكبرى

- نشرت ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام المذكورة سابقا ، وطبعت طبعة مستقلة في مطبعة المدني بالقاهرة باسم (رسالة الفتوى الحموية الكبرى) وبذيلها رسالة أخرى للامام ابن تيمية نفسه هي الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله ، وقد نشرت الرسالة الحموية الكبرى ضمن مجموعة الرسائل الكبرى أيضا التي مر ذكرها وهي الرسالة الحادية عشرة بالجزء الأول منها .

٥- الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله تعالى

- نشرت في ذيل الرسالة الحموية الكبرى المذكورة سابقا طبعة المدني ، وأيضاً ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور سابقا ، وأيضاً

طبعت طبعة مستقلة بمطبعة أنصار السنة المحمدية عام ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م .

٥٤- الرسالة العرشية

- نشرت ضمن مجموع الرسائل الكبرى المذكورة سابقا وهي الرسالة السادسة بالجزء الاول منها وأيضا ضمن مجموعة الرسائل والمسائل المنيرية المذكورة سابقا، وطبعة مستقلة بمطبعة حجازى بالقاهرة بدون تاريخ للطبع .

٥٥- رسالة في أن دين الأنبياء واحد

- نشرت ضمن جامع الرسائل المذكور سابقا، الرسالة الرابعة عشرة

٥٦- رسالة في الجواب عن قول القائل أكل الحلال متعذر

- نشرت ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقا وهي الرسالة الثانية بالجزء الثاني .

٥٧- رسالة في قوله صلى الله عليه وسلم «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»

- نشرت ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقا وهي الرسالة الثالثة بالجزء الثاني .

٥٨- رسالة في قوله تعالى «واستعينوا بالصبر والصلاة»

- نشرت ضمن جامع الرسائل المذكور سابقا وهي الرسالة الرابعة .

٥٩- رسالة في فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

- ذكرها الألوسي في كتابه جلاء العينين المذكور سابقا .

٦٠- الرسالة القبرصية

- نشرت ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدى المذكور سابقا .

٦١- رفع الملام عن الائمة الأعلام

- طبع بمطبعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة بتحقيق محمد حامد الفقي عام

١٣٧٨هـ .

٦٢- الرقص والسماع

- نشرت ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقا وهي الرسالة الثالثة عشرة بالجزء الثاني .

٦٣- سنة الجمعة

- نشرت ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة وهي الرسالة التاسعة بالجزء الثاني .

٦٤- السياسة الشرعية

- نشرت ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور سابقا وأيضا طبعت طبعة مستقلة بالمطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٨٧هـ بعناية قصي محب الدين الخطيب .

٦٥- شرح أول المحصل للرازي

- ذكره ابن رجب الحنبلي في ذيل طبقات الحنابلة المذكور سابقا .

٦٦- شرح حديث أبي ذر رضي الله عنه

- ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور سابقا .

٦٧- شرح حديث إنما الأعمال بالنيات

- ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية المذكور سابقا ، وأيضا طبع مستقلا بمطبعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة بدون تاريخ للطبع .

٦٨- شرح حديث عمران بن حصين رضي الله عنه (كان الله ولم يكن شيء معه)

- ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقا ، الرسالة السادسة

٦٩- شرح العقيدة الأصفهانية

- ضمن مجموع الفتاوى الكبرى (المصرية) الجزء الخامس

٧٠- شرح العمدة في الفقه

- ذكره الألوسي في (جلاء العينين) المذكور سابقا .

٧١- الشفاعة الشرعية والتوسل إلى الله بالأعمال والأشخاص .

- ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (المنيرية)، الرسالة الثانية.

٧٢ - الصارم المسلول على شاتمي الرسول صلى الله عليه وسلم
- ذكره الألوسي في كتابه (جلاء العينين) المذكور سابقا.

٧٣ - صحيح الكلم الطيب

- رسالة صغيرة مختصرة من رسالة لشيخ الاسلام ابن تيمية باسم (الكلم الطيب)
اختصرها محمد ناصر الدين الألباني ونشرها المكتب الاسلامي ببيروت عام ١٣٩١هـ.

٧٤ - صفات الله تعالى وعلوه على خلقه

- ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (المنيرية)، الرسالة الثامنة.

٧٥ - الصوفية والفقراء

- ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور
سابقا.

٧٦ - الطلاق الثلاث وما يترتب عليه

- ضمن مجموعة شذرات البلاتين المذكورة سابقا.

٧٧ - العبادات الشرعية والفرق بينها وبين البدعية

- ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (المنيرية)، الرسالة الثالثة.

٧٨ - العبودية

- ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور
سابقا وايضا طبع طبعة مستقلة في مطبعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة عام
١٣٦٦هـ بتحقيق محمد حامد الفقي.

٧٩ - العقود المحرمة

- نشرت ضمن مجموعة الرسائل الكبرى طبعة محمد علي صبيح المذكورة سابقا.

٨٠ - العقيدة الواسطية

- ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور
سابقا وايضا ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقا، الرسالة التاسعة بالجزء

الاول وأيضاً لها طبعات مستقلة كثيرة منها طبعات مشروحة كشرح محمد خليل هراس وغيره .

٨١ - فتاوى فقهية أخلاقية تصوفية

- ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (المنيرية)، الرسالة التاسعة.

٨٢ - الفتاوى الكبرى المصرية

- هي مجموعة فتاوى لابن تيمية وبعض الكتب والرسائل جمعت جميعها في كتاب واحد يقع في خمسة أجزاء من القطع الكبير وطبعت بمطبعة كردستان بمصر عام ١٣٢٦هـ.

٨٣ - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

- ضمن مجموع فتاوى ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور سابقاً وأيضاً طبع - مستقلاً عدة مرات منها طبعة بالقاهرة نشر قصي محب الدين الخطيب عام ١٣٨٧هـ -
- طبعة دار الكتب العلمية ببيروت بدون تاريخ للطبع .

٨٤ - الفرقان بين الحق والباطل -

- ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقاً، الرسالة الأولى بالجزء الأول .

٨٥ - الفرق بين الطلاق الحلال والحرام -

- ضمن مجموعة شذرات البلاتين المذكورة سابقاً .

٨٦ - فتيا في مسألة الغيبة -

- ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (المنيرية) المذكورة سابقاً، الرسالة الرابعة .

٨٧ - قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات .

- ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (المنيرية) المذكورة سابقاً، الرسالة السابعة .

٨٩ - قتال الكفار -

- ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقاً بالجزء الثاني .

٩٠ - القضاء والقدر -

- ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقاً الجزء الثاني الرسالة السابعة .

٩١ - قنوت الأشياء كلها لله -

- ضمن جامع الرسائل طبعة المدني المذكورة سابقا الرسالة الأولى .
- ٩٢ - القواعد النورانية -
- ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور سابقا .
- ٩٣ - كتاب إقامة الدليل على أبطال التحليل .
- ضمن مجموع الفتاوى الكبرى المصرية المذكورة سابقا بالجزء الثالث .
- ٩٤ - كتاب إلى الشيخ نصر المنبجي شيخ الصوفية .
- ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (المنيرية) المذكورة سابقا الرسالة السابعة .
- ٩٥ - كتاب القاعدة الجليلة فيما يتعلق بأحكام السفر والاقامة -
- ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (المنيرية) المذكورة سابقا .
- ٩٦ - كتاب مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم -
- ضمن مجموعة الرسائل والمسائل المنيرية المذكورة سابقا .
- ٩٧ - الكلام على رفع الامام الحنفي يديه في الصلاة -
- ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقا، الرسالة السادسة عشرة الجزء الثاني .
- ٩٨ - الكلام على الفطرة .
- ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقا، الرسالة الرابعة عشرة الجزء الثاني .
- ٩٩ - الكلام على القصاص -
- ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقا، الرسالة الخامسة عشرة الجزء الثاني .
- ١٠٠ - لباس الفتوة عند الصوفية -
- ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (المنيرية) الرسالة السادسة .
- ١٠١ - لفظ السنة في القرآن -
- ضمن جامع الرسائل طبع المدني المذكور سابقا الرسالة الثانية .
- ١٠٢ - مذهب أهل المدينة -

- ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور سابقا -
- وطبع مستقلا بعنوان (صحة أصول أهل المدينة) بمطبعة الامام بالقاهرة بتعليق -
- زكريا على يوسف بدون ذكر لتاريخ الطبع ولكن في المقدمة مايدل على أنها طبعت - عام ١٣٩٢هـ - والله أعلم .
- ١٠٣ - محنة الامام ابن تيمية -
- هو رسالة لطيفة كتبها الامام عن نفسه وجدت بخط أخيه شرف الدين ونشرت مع مجموعة علمية -
- ١٠٤ - مراتب الارادة - بتحقيق محمد حامد الفقي بمطبعة أنصار السنة عام ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م .
- ضمن مجموع الرسائل الكبرى المذكورة، الرسالة الرابعة الجزء الثاني .
- ١٠٥ - المسائل الاسكندرانية -
- ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة المذكور سابقا .
- ١٠٦ - مسائل الطلاق ومتعلقاته -
- ضمن مجموع الفتاوى الكبرى المصرية المذكورة سابقا .
- ١٠٧ - المسائل الماردينية -
- ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي وأيضا طبعت مستقلة -
- بمطبعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة بتحقيق محمد حامد ألفقي عام ١٣٦٧هـ .
- ١٠٨ - مسائل متفرقة والجواب عليها -
- ضمن مجموع الفتاوى الكبرى المصرية المذكورة سابقا .
- ١٠٩ - مسألة وضع الجوائح -
- ضمن مجموعة الرسائل والمسائل المنيرية، الرسالة الثامنة .
- ١١٠ - معارج الوصول إلى معرفة أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول ﷺ -

- نشرت ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقا، الرسالة الثانية الجزء الأول -
وطبعت مستقلة نشر مكتبة دار البيان بدمشق عام ١٣٨٧هـ.
- ١١١ - معنى القياس -
- ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقا الرسالة الثانية عشرة بالجزء الثاني .
- ١١٢ - معنى كون الرب عادلا -
- طبعت ضمن جامع الرسائل ط المدني المذكور سابقا، الرسالة السابعة .
- ١١٣ - المعاني المستنبطة من سورة الانسان -
- ضمن جامع الرسائل المذكور سابقا - الرسالة الثالثة .
- ١١٤ - مقدمة في أصول التفسير -
- ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور سابقا
وأیضا -
- طبعت مستقلة بمطبعة السلف بالقاهرة عام ١٣٨٥هـ .
- ١١٥ - مناسك الحج -
- ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ط المدني المذكورة سابقا، الرسالة السابعة عشرة
الجزء الثاني وأيضا ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام جمع عبدالرحمن النجدي
المذكور سابقا .
- ١١٦ - مناظرة الدجاجة البطائحية الرفاعية -
- ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (النيرية) المذكورة سابقا، الرسالة الخامسة .
- ١١٧ - المناظرة في العقيدة الواسطية -
- ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ط المدني المذكورة سابقا، الرسالة العاشرة بالجزء
الأول .
- ١١٨ - منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية -
- هو كتاب كبير يقع في ثلاث مجلدات كبار نشرته مكتبة الرياض الحديثة ومهامشه كتاب
موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول الذى سبق ذكره في رقم ٤٣ من هذا البيان
دون - إشارة إلى تاريخ الطبع .

- ١١٩ - النبوات -
- هو كتاب متوسط الحجم يقع في مجلد واحد نشرته مكتبة الرياض الحديثة دون إشارة إلى تاريخ الطبع.
- ١٢٠ - نقد مراتب الاجماع -
- ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جمع عبدالرحمن النجدي المذكور سابقا.
- ١٢١ - نظرية العقد -
- نشر ضمن مجموع فتاوى شيخ الاسلام جمع عبدالرحمن النقدي المذكور سابقا.
- ١٢٢ - النية -
- ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ط المديني المذكورة سابقا الرسالة الخامسة الجزء الأول.
- ١٢٣ - الهجر الجميل والصفح الجميل والصبر الجميل -
- ضمن مجموعة الرسائل والمسائل (المنيرية) المذكورة سابقا الرسالة.
- ١٢٤ - الوصية الصغرى -
- ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ط المديني المذكورة سابقا، الرسالة الرابعة الجزء الأول.
- ١٢٥ - الوصية الكبرى -
- ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ط المديني المذكورة سابقا الرسالة السابعة الجزء الأول.
- ١٢٦ - الواسطة بين الحق والخلق -
- رسالة صغيرة نشرت عدة مرات فكانت الطبعة الأولى بدمشق عام ١٣٨١هـ ثم طبعت ببيروت - ثلاث طبعات فكانت الطبعة الرابعة لها عام ١٣٩٩هـ نشر المكتب الاسلامي لصاحبه زهير شاويش.
- ١٢٧ - رسائل من السجن -
- جمعها وحققها محمد العبدية وطبعت بدار الأرقم بالكويت الطبعة الثانية عام ١٤٠١هـ.

الفصل الثانى

اشتقاق كلمة صوفى

الفصل الثاني في اشتقاق كلمة صوفي

إن الذين كتبوا عن هذا الموضوع اختلفوا في هذه الكلمة (صوفي) هل هي مشتقة من الصوف أو من الصفة أو من الصفاء أو من الصف ونحو ذلك ، فاختار بعضهم انها مشتقة من احدى هذه الكلمات دون غيرها بينما قال آخرون إنها تصلح أن تكون مشتقة منها جميعا لأن لها من كل كلمة منها معنى يصح انصرافها إليه فمن نسبها إلى الصوف لاحظ كثرة لبسهم له ، ومن نسبها إلى الصفة لاحظ محاولتهم التشبه بأهل الصفة رضي الله عنهم ، ومن نسبها إلى الصفاء لاحظ صفاء سريرتهم ، ومن نسبها إلى الصف لاحظ حرصهم على الصف الأول . الخ

هذا ولكن اللغة لاتسعفنا في تصحيح اشتقاقها من كل هذه الكلمات فقد بين الامام القشيري وكذلك الامام ابن تيمية خطأ من قال باشتقاقها من أكثر هذه الكلمات .

النسبة إلى الصفة

الصفة هي الموضع الذي بني لايواء جماعة من المسلمين بالمسجد النبوي الشريف لم يكن لهم أهل بالمدينة المنورة ولا منازل لهم بها وقد كان عامتهم من الفقراء المهاجرين ، فرأى بعض الصوفية أن الكلمة منسوبة في الأصل إلى هذه الصفة ، ولكن الامام القشيري يعترض على صحة هذه النسبة بقوله : (فالنسبة إلى الصفة لاتبجىء على نحو صوفي)(١)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية (من قال انه نسبة إلى الصفة قيل له كان حقه أن يقال صفية)(٢)

(١) القشيري . الرسالة . ص ٢١٧

(٢) ابن تيمية . مجموع الفتاوى ص ٣٦٩ ج ١٠ .

النسبة إلى الصفاء

الصفاء المقصود هنا هو صفاء الروح وصفاء السريرة . فالصفوية ينسبون أنفسهم إلى الصفاء لما فيه من معان سامية رفيعة .

ولكن النسبة إلى الصفاء لاتصح من حيث اللغة . يقول الامام القشيري : (ومن قال انه من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة) (١) ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية : (ومن قال هي نسبة إلى الصفاء قيل له كان حقه أن يقال صفائية ، ولو كان مقصورا لقيل صفوية) (٢)

النسبة إلى الصف

قد يقصدون بالصف هنا معاني كثيرة منها الصف الأول في الصلاة ومنها الصف المقدم بين يدي الله عموما . ولكن اللغة أيضا لاتسعنا في إضافة كلمة (صوفي) الى هذا الاسم . يقول الامام القشيري : (وقول من قال إنه مشتق من الصف . فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة مع الله تعالى فالمعنى صحيح ولكن اللغة لاتقتضي هذه النسبة إلى الصف) (٣) .

وقال الشيخ ابن تيمية : (ومن قال نسبة إلى الصف المقدم بين يدي الله . قيل له كان حقه أن يقال صَفِيَّة) (٤)

هذا وقد نسبها بعض العلماء الى قبيلة من العرب تسمى (صوفه) . فقد ورد في بعض الاحتمالات عن أصل كلمة (صوفي) انها نسبة إلى قبيلة من العرب كانت تنسب إلى رجل منها يقال له (صوفة) واسمه الغوث بن مر - وسبب نسبة الصوفية اليه - على حد قول الراوي - أنهم رأوا أن أول من انفرد بخدمة الله سبحانه

(١) القشيري . الرسالة ص ٢١٧ .

(٢) ابن تيمية . مجموع الفتاوى ص ٣٦٩ ج ١٠ .

(٣) القشيري . الرسالة ص ٢١٧ .

(٤) ابن تيمية . مجموع الفتاوى ص ٣٦٩ ج ١٠ .

وتعالى عند بيته الحرام هو هذا الرجل الذى يدعى (صوفة) (١)

ولقد تكلم شيخ الاسلام عن هذه النسبة إلى (صوفة) المذكور فأجاز وقوعها من حيث اللغة. (٢)

ولم يتعرض الامام القشيري لهذه النسبة. إلا أن الامام ابن تيمية بعد أن صحح هذه النسبة من حيث اللغة بالقياس على كلمة (كوفة) فإن النسبة منها (كوفي) فكذلك (صوفة) النسبة منها (صوفي). ضعف صحة هذه النسبة من حيث علاقة الصوفية بهذه القبيلة من العرب وذلك لاستبعاد أن ينتسب بعض الزهاد من المسلمين إلى قبيلة من العرب كانت تعبد الله على جهل بل يجزم الشيخ بأن غالب من تكلم باسم الصوفي لا يعرف هذه القبيلة، ولا يرضى أن يكون مضافا إلى قبيلة في الجاهلية لوجود لها في الاسلام (٣).

الصوفية ولبس الصوف

إذا كنا قد أيدنا رأى القائل بأن اشتقاق كلمة (صوفي) من (الصوف) فيقال تصوف إذا لبس الصوف كما يقال تقمص إذا لبس القميص وتبرقعت المرأة إذا لبست البرقع ونحو هذا. إذا قلنا بهذا فعلينا أن نستوثق من أمر مهم هنا. وهو سبب تخصيص الصوفية بالانتساب إلى الصوف.

يبرز هنا رأيان مختلفان للعلماء الرأى الأول: وهو رأى الامام القشيري يقول: أن الصوفية ليسوا مختصين بلبس الصوف دون غيرهم (٤)، أي أن كافة الناس قد يلبسون الصوف في وقت ويتركونه في وقت ومنهم الصوفية، فما الداعي لتخصيص الصوفية به حتى ينسبون إليه دون غيرهم؟ علما بأن النسبة إلى الصوف صحيحة عنده من حيث اللغة كما تقدم.

(١) ابن الجوزي، تلبس إبليس ص ١٨١. ولا يسلم له قوله انه أول من انفرد بذلك.

(٢) ابن تيمية. مجموع الفتاوى ص ٦ ج ١١

(٣) ابن تيمية. مجموع الفتاوى ص ٦ ج ١١

(٤) القشيري. الرسالة ص ٢١٧.

الرأي الثاني : وهو رأي العلامة ابن خلدون وهو يجيب فيه على الاعتراض المذكور من الامام القشيري من ناحيتين :

الناحية الأولى : إنه لو استعرضنا طوائف الناس كالصناع والزراع والعمال لانجد أن طائفة منهم يغلب على أفرادها لبس الصوف كما غلب في طائفة الصوفية .
الناحية الثانية : ان هذه الطائفة كانت تلبس الصوف زهدا وتورعا عن لبس فاخر الثياب . أما سائر الناس من غيرهم فيلبسونه لا لهذا الغرض الذي ينشده الصوفي ، وحينئذ يكون تميزهم بلبس الصوف أمرا واضحا (١) . وهذا تحقيق جيد من العلامة ابن خلدون وهو الذي نختاره والله أعلم .

(١) ابن خلدون . المقدمة ص ٣٣٤ .

الفصل الثالث

الفصل الثالث

التصوف ومفهومه

لقد أصبح من المعروف لدى العلماء الذين كتبوا عن التصوف أن تعريف التصوف بعبارة واحدة جامعة مانعة إن لم يكن متعذرا فهو متعسر جدا .
يقول الدكتور قاسم غني - صاحب كتاب تاريخ التصوف في الاسلام :
(هذا وان لم يكن تعريف التصوف غير ممكن فلا أقل من أن نقول إن تعريفه صعب عسير) (١) .

وهذا سببه كثرة ماورد من التعاريف المختلفة للتصوف على لسان كثير من كبار الصوفية ، بل قد يرد عن الشخص الواحد كثير من التعاريف تتراوح بين الاختصار والاسهاب . وتختلف عن بعضها في تصوير معنى التصوف .
ولقد رد الامام القشيري هذا الاضطراب والتعدد في تعريف التصوف حتى عن الشخص الواحد بأن كل واحد يتكلم بحكم الوقت والحال الذي هو فيه فإذا تغير الوقت والحال تكلم بحكم وقته وحاله الجديد . (٢)

نماذج من تعريف الصوفية للتصوف

١ - قال سهل بن عبدالله التستري (*) : (الصوفي من صفا من الكدر ، وامتلأ من الفكر ، وانقطع إلى الله من البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر) (٣)

(١) قاسم غني : تاريخ التصوف في الاسلام . ص ٢٦٩ ط النهضة بمصر ١٩٧٠

(٢) القشيري الرسالة ص ٢١٧ .

(*) هو أبو محمد سهل بن عبدالله بن يونس القشيري توفي عام ٢٨٣ هـ انظر أبو عبد الرحمن السلمي طبقات الصوفية ص ٢٠٦

(٣) الكلاباذي . التعرف ص ٩ .

- ٢ - وقال أبوالحسين النوري(*) : (التصوف ترك كل حظ للنفس) (١)
- ٣ - وقال الجنيد بن محمد(*) : (التصوف هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة) (٢)

وقال أيضا (التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع) (٣) وقال أيضا: (تصفية القلب عن مواقف البرية، ومفارقة الاخلاص الطبيعية، واخذ الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بالعلوم الحقيقية واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة واتباع الرسول في الشريعة) (٤)

وقال أبو محمد الجريري(*) : (التصوف هو الدخول في كل خلق سني، - والخروج من كل خلق دني) (٥)

وقال أيضا: (التصوف مراقبة الأحوال ولزوم الأدب) (٦)

ملاحظات على هذه التعاريف:

هذه جملة من تعاريف التصوف عند القوم . وعليها ملاحظات مختلفة فمثلا نجد الصبغة العامة فيها هي الغموض والتعبيرات الاصطلاحية، والتعريف بالغاية أكثر من أى شيء آخر.

كما نجد أن التعريف الوارد عن سهل بن عبد الله فيه عبارات عامة ومنمقة ملاحظ فيها موضوع الفواصل اللغوية أكثر من أى شيء آخر.

فما هو الكدر الذى صفا منه الصوفي؟ هل هو كدر الخلق أو كدر النفس أو غير

(*) هو أحمد بن محمد النوري بغدادى المنشأ توفي عام ٢٩٥هـ انظر طبقات الصوفية للسلمي ص ١٦٤ .

(١) الكلاباذي . التعرف ص ٩ .

(*) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز توفي عام ٢٩٧هـ انظر طبقات الصوفية للسلمي ص ١٥٥ .

(٢) الكلاباذي . التعرف ص ٩ .

(٣) الكلاباذي . التعرف ص ٩ .

(٤) المصدر نفسه ص ٩ .

(*) هو أحمد بن محمد بن الحسين الجريري توفي عام ٣١١هـ . طبقات الصوفية للسلمي ص ٢٥٩ .

(٥) أبونصر السراج . اللمع ص ٤٥

(٦) القشيري : الرسالة ص ٢١٩

ذلك وماهي الفكرة التي امتلأ منها فإن الفكر جمع فكرة والفكرة قد تكون حسنة وقد تكون غير ذلك وكيف ينقطع إلى الله من البشر؟ هل بالانعزال التام عن الناس ، أو بمعاملة الناس بما طلبه الله منه ومايرضي الله ورسوله . وماهو مدى تأثير هذا الانقطاع على تكوين الأمة المسلمة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك .

وقوله (استوى عنده الذهب والمدر)(*) لا يكفي لظهار معنى التصوف . فقد يستوى الذهب وغيره عند كثير من الناس لأسباب مختلفة منها عدم انشغال القلب بالدنيا طلبا فيما عند الله ومنها أن يكون الشخص سفيها لايعرف الفرق بينهما من جهة النفع ومنها غير ذلك .

وفي تعريف النوري اختصار مخل بالمعنى المطلوب فإن عبارته (ترك كل حظ للنفس) عامة في كل مايصلح أن يكون حظا للنفس من خير أو شر في الدنيا والآخرة ، ولم يحدد المعرف نوع الحظوظ التي يتركها الصوفي والتي لا يتركها ، أما إذا قصد ترك كل الحظوظ على اطلاقها فهذا لايعتبر مبدأ إسلاميا اطلاقا إذ ليس من الاسلام أن يترفع المرء عن طلب رضى الله ومحبته ونحو ذلك وهذه من حظوظ النفس إذ فيها غاية السعادة لها .

أما أقوال الجنيد ففي التعريف الأول له عموم وإبهام بل هو تعريف قاصر . فإنه يتحدث عن الغاية الأخيرة للتصوف فيصور التصوف في غايته الأخيرة . كما نجد في التعريف الثاني تصويرا ببعض مظاهره الحسنة التي يريد المعرف أن ينه الصوفية إليها لأن فيهم من لا يتمسك بها .

ولعل المراد بالذكر مع الاجتماع أن لا يذكر الله تعالى وفي ادراكه شيء آخر فهو يذكر الله ناسيا كل شيء غيره . كما يفيد مساجلات بعض الصوفية وعباراتهم .

ويريد بالوجد مع الاستماع أن يكون وجده متمشيا مع ماجاء في الشريعة الاسلامية فلا يخرج في وجده إلى منكر تنكره الشريعة كمن يقول (أنا الله) ونحو ذلك . ويريد بقوله (عمل مع اتباع) أن يكون عمله موافقا للشريعة وهذه الجملة الأخيرة كالتأكيد للثانية وايضاح لها .

(*) قال في مختار الصحاح : (المدرّة) واحدة (المدر) والعرب تسمي القرية (مدرّة).

ومع هذا فلم نخرج من هذا التعريف بصورة متكاملة عن التصوف يمكن أن تعتبر (حدا) جامعا مانعا في تعريف التصوف .

وكذلك في تعريفه الثالث أسهب إسهابا مملأ واهتم بالفواصل ونحو ذلك وأكثر العبارات الغامضة التي لا يخرج القارئ منها بمعنى سهل واضح كما هو المطلوب في التعريف الجيد .

أما تعريف أبي محمد الجريري الأول ففيه عدم تمييز للصوفية عن غيرهم لأن مسألة الدخول في كل خلق سني . والخروج من كل خلق دني مسألة نطالب بها كل مسلم وليست خاصة بالصوفية فكيف تصلح للتعريف بهم دون غيرهم .

وقوله في التعريف الثاني (مراقبة الأحوال ولزوم الأدب) فهذا فضلا عن إنه لم يبين ما المراد بالأحوال التي يراقبها الشخص ولا يبين نوع الآداب التي يلزمها الصوفي فهو كلام عام لا يعطي فكرة واضحة عن التصوف .

كلام ابن خلدون في تعريف التصوف

يقول العلامة ابن خلدون عن التصوف وطريقته التي كثر الاختلاف فيها عند الناس (وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد في الخلوة للعبادة)(١)

ونرى في هذا التعريف تصويرا عاما للتصوف يكاد يتناول كل خطواته مميذا للتصوف والمتصوفين إلى حد كبير عن غيرهم . وإن كان لم يفرق بينهم وبين الزهاد والذين يصدق عليهم نفس هذا الوصف الذي ذكره وهم أقدم وجودا من الصوفية .

كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في تعريف التصوف

لقد عرض شيخ الاسلام ابن تيمية إلى تعريف التصوف فاستعرض أولا شيئا مما ذكره الصوفية من التعاريف فنقل تعريف سهل بن عبدالله المتقدم بنصه عدا كلمة

(١) ابن خلدون . المقدمة ص ٣٣٣ نشر دار المصنف بالقاهرة .

(مدر) فإنها مبدلة بكلمة (حجر) والمعنى واحد(١).

ثم نبه الشيخ على المعنى الذى يحاول الصوفية أن يصلوا إليه فقال (وهم يسرون بالصوفي إلى معنى الصديق)(٢).

وحيث إن الصديقين هم أفضل الخلق بعد الأنبياء كما هو مأخوذ من قوله تعالى ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ الآية. فذكر الصديقين بعد النبيين مباشرة فإن الشيخ ابن تيمية لا يسلم للصوفية هذا الذي يريدون اثباته في كل تعاريفهم للتصوف على إطلاقه، فإن هذه دعوى عريضة يجب التدقيق والتثبت فيها.

يقول الشيخ ابن تيمية (لكن هو في الحقيقة نوع من الصديقين فهو- أى الصوفي - الصديق الذى اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذى اجتهدوا فيه فكان الصديق من أهل هذه الطريقة، كما يقال: صديقو العلماء، وصديقو الأمراء. فهو أخص من الصديق المطلق ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم)(٣)

وخلاصة قول ابن تيمية أن (الصديقية) وهي الدرجة العالية التي تحيىء بعد (النوبة) في الترتيب. هذه الدرجة يطلبها الصوفية كما يطلبها بقية أفراد المجتمع المسلم من علماء أو صناع وأمراء ونحوهم كل بما اختص به من طريق يطلب به مرضاة الله. ولا يصح أن يعتبر الصوفي هو الصديق مطلقا كما لا يصح أن يقتصر الوصول إلى درجة الصديقية على سلوك طريق التصوف وحده وهذا يعنى أن يقتصر الوصول إلى درجة الصديقية على سلوك طريق التصوف وحده وهذا يعنى أن للتصوف معنى محددا في ذهن الشيخ وإن كان لم يشرحه في عبارة واضحة محددة.

(١) ابن تيمية. مجموع الفتاوى ص ١٦ ج ١١.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) المصدر نفسه ص ١٧ ج ١١.

الفصل الرابع

الفصل الرابع

متى ظهرت كلمة صوفي ؟

إن الذين كتبوا عن هذا الموضوع اختلفوا في العصر الذى ظهر فيه هذا الاسم هل كان فى الجاهلية قبل الاسلام ، ثم تجدد ظهوره فى عصر الاسلام ؟ أو أن هذا الاسم لم يظهر إلا فى عهد الاسلام ؟ .

ويمكن توضيح ذلك فى استعراض موقف فريقين من العلماء .

الفريق الأول

إن الفريق الأول وعلى رأسهم أبو الفرج بن الجوزي . يؤيد الرواية القائلة بأن رجلا فى الجاهلية كان يدعى (الغوث بن من) نذرت أمه حيث لم يكن قد عاش لها ولد أن تعلق برأسه صوفة أو تجعله ربيط الكعبة . ففعلت ففيل له صوفة ولولده من بعده (١) . وفى رواية أخرى إن أم هذا الرجل كانت لاتلد الذكور فقالت : (لله على إن ولدت غلاما لاعبدنه للبيت) . فلما ولدته ربطته عند البيت فأصابه الحر ، فمرت عليه وقد سقط واسترخى ، فقالت : (ما صار ابنى إلا صوفة) فسمي صوفة (٢) .

ويعتبر الامام ابن الجوزي أن فى هاتين الروايتين دليلا كافيا على أن أصل مولد الكلمة كان قبل الاسلام عند عرب الجاهلية . وإن من تعلق بالزهد من المسلمين فيما بعد وانقطع للعبادة فقد انتسب إلى صوفة هذا .

ويمكن أن نناقش الامام ابن الجوزي فى دعواه هذه ونردها من عدة وجوه .

الوجه الأول:

إن هذه القبيلة من العرب غير مشهورة ولا معروفة عند أكثر النساك كما قرر ذلك الامام ابن تيمية وقد نوهنا عنه (١)

بل إن غالب من تكلم باسم التصوف لا يرضى أن يكون مضافا إلى قبيلة فى الجاهلية لا وجود لها فى الاسلام كما قرر ذلك الشيخ ابن تيمية أيضا وهو محق فيه .

(١) ابن الجوزي . تلييس إبليس ص ١٨١ .

(٢) المصدر نفسه .

الوجه الثاني

ان كلا الروائيتين انما تثبتان إن صحتا أن امرأة ما علقت في رقبة طفلها علامة وهي قطعة من الصوف ، أو أن امرأة شبهت ابنها بالصوف لما رأته منهوك القوى غير متماسك كما هو حال الصوف . وانه سمي لذلك (صوفة).

ولادخل لهذا في ظهور فئة في الاسلام تسمى (بالصوفية) إذ لم تدل على وجود كلمة (صوفية) ولا كلمة (صوفي) بهذه الصيغة ولا بهذا المعنى قبل الاسلام .

وما أورده ابن الجوزي من أنهم كانوا يقولون لهذه القبيلة (صوفة) و(صوفان) وانهم كانوا يقولون عند دفع الناس من منى أو من عرفات (أجز صوفة) أى يطلبون من أحد أفراد هذه القبيلة أن يجيزهم في الدفع من تلك الأماكن تقديرا لهم باعتبار أنهم من سدة البيت (٢) .

فكل هذا لا يبرر تحول الكلمة من (صوفة) أو (صوفان) إلى كلمة (صوفي) و(صوفية) ولا يدل على وجود هذه الكلمة بهذه الصيغة قبل الاسلام .

الوجه الثالث

لا يعقل أن يكون المسلمون قد استمدوا مبادئ تصوفهم من عرب الجاهلية الذين كانوا يتخبطون في ظلمات الجهل . ولا أن يكونوا قد اختاروا شعار الجاهلية أو أسماء الجاهلية وفضلوها على ماسأهم الله به من طيب الأسماء .

الفريق الثاني

الرأي الثاني الذى تبناه الفريق الثاني أن هذا الاسم حدث في عصر الاسلام ولكن أفراد هذا الفريق اختلفوا في فترة ظهوره في الاسلام على قولين .

القول الأول:

يزعم أصحاب القول الأول أن هذا الاسم وجد في القرن الأول من هجرة المصطفى ﷺ وعلى رأس هؤلاء أبونصر السراج صاحب كتاب اللمع في التصوف وقد حاول أن يستدل على ذلك بمشهدين أوردهما في كتابه المذكور .

(١) انظر ابن تيمية . مجموع الفتاوى ص ٦ ج ١١ وارجع ص ٣٦ من نفس البحث .

(٢) ابن الجوزي : تلبس ابليس ص ١٨١ .

المشهد الأول: (ان الحسن البصري رحمه الله رأى صوفيا في الطواف فعرض عليه شيئا من المال فلم يأخذه)(١) وكان السراج يريد أن يقول إن ورود هذه الرواية عن الحسن البصري رحمه الله وهو من مواليد عام ٢٠ للهجرة. يدل على وجود التصوف في عهد مبكر في الاسلام.

ويرد على هذه الرواية بأن الحسن البصري رحمه الله وان كان قد ولد عام ٢٠ هجرية إلا أنه عاش حتى عام (١١٠) هجري(٢) - أي إنه عاش عشرة أعوام في بداية القرن الثاني الهجري فيحتمل أنه رأى هذا الصوفي في آخر حياته أي في بداية القرن الثاني الهجري. وليس في أولها ولا مرجح لأحد الاحتمالين على الآخر.

المشهد الثاني: (أن سفيان الثوري قال: لولا أبوهاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء)(٣).

ولم يبين الامام أبونصر السراج وجه الدلالة في هذه الرواية على أن التصوف وجد في عهد مبكر في الاسلام، بل هي دليل على خلاف مراده. فإن سفيان الثوري رحمه الله ولد سنة (٩٧) هجرية(٤) وهذا يدل على أن التقاءه بأبي هاشم الصوفي لا يمكن أن يكون في القرن الأول - إطلاقا. علما بأن أبا هاشم الصوفي توفي عام (١٥٠) هجرية(٥). فلا بد، أن لقاءهما كان في أثناء المائة الثانية للهجرة إن صحت الرواية بذلك.

القول الثاني

هذا هو القول الثاني للفريق الثاني الذين قالوا بأن اسم التصوف ظهر في عصر

(١) السراج . اللمع ص ٤٢ .

(٢) انظر ترجمته وتاريخ وفاته عند أبي الفيض المتوفى ١٨٧هـ جمهرة الأولياء ص ٨٠ - ٨٥ ج٢ ط الحلبي . لاقاهرة. وترجم له أبونعيم في الحلية ص ١٣١ ج١ ط الأولى . مطبعة السعادة . القاهرة.

(٣) أبونصر السراج . اللمع ص ٤٢ .

(٤) أبو الفيض المتوفى ١٨٧هـ . جمهرة الأولياء ص ١١٥ ج٢ قال وتوفي سنة ١٦١ بالبصرة .

(٥) نيكلسون . في التصوف الاسلامي ص ٣ .

الاسلام ، وخلاصته أن هذا الاسم ظهر في بداية القرن الثاني الهجري وقد ذكر هذا الامام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله وكثير من العلماء .

قال الشيخ ابن تيمية (في أثناء المائة الثانية صاروا يعبرون عن ذلك - أى عن الزهد - بلفظ (الصوفي) لأن لبس الصوف كثر في الزهاد) (١)

ولقد عبر كتاب التراجم الصوفية عن تبنيهم لهذا الرأى تعبيرا عمليا فقد اعتبروا الطبقة الأولى من طبقات الصوفية هي طبقة الفضيل بن عياض* وذى النون المصري(*) وإبراهيم بن أدهم(*) ، وشفيق البلخي(*) ونحو هؤلاء ممن كانت وفاتهم في أثناء القرن الثاني ومابعده (٢)

ومما ظهر يتبين لنا أن أكثر الآراء قوة وأعظمها أنصارا هو القول الثاني للفريق الثاني الذي قالوا ان ظهور كلمة (تصوف) في أثناء المائة الثانية للهجرة .

(١) ابن تيمية . مجموع الفتاوى ص ٢٩ - ج ١١ .

(*) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي يكنى بأبى علي توفي عام ١٨٧ انظر أبو عبد الرحمن السلمى . طبقات الصوفية ص ٨ .

(*) أبو الفيص ويقال له ثوبان بن ابراهيم ت عام ٢٤٥ أنظر طبقات الصوفية للسلمى ص ٦٦ .

(*) أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم من أهل بلخ وتوفي عام ١٦١ انظر ابن الملقن طبقات الأولياء ص ٦ .

(*) هو شفيق بن ابراهيم البلخي مات سنة ١٩٤ أو سنة ١٥٣ على اختلاف الروايات انظر ابن الملقن . طبقات الأولياء ص ١٢ - ١٣ .

(٢) انظر طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمى ط دار الكتاب العربى بالقاهرة . وقارن طبقات الأولياء لابن الملقن سراج الدين أبوحفص توفي عام ٨٠٤هـ . ط دار التأليف بالقاهرة تحقيق نور الدين شريعة وأيضا قارن الرسالة القشيرية . لأبي القاسم القشيري المتوفى عام ٤٦٥ ط . محمد علي صبيح بالقاهرة .

أول من سمي بهذا الاسم عند المسلمين

عرفنا أن ظهور كلمة (صوفي) كان في أثناء المائة الثانية للهجرة. ولكن لم نعرف على من ظهرت هذه الكلمة في البداية.

لقد دار البحث هنا حول ثلاثة أشخاص كلهم عاش في نفس هذه الفترة الزمنية، وهم جابر بن حيان، وأبوهاشم الصوفي، وعبدك الصوفي.

١. جابر بن حيان

هو أبو موسى جابر بن حيان الكوفي، تلميذ الامام جعفر الصادق، وقيل انه مولى له وتعلمذ على يديه فاشتهر بمعرفة علم الكيمياء والطلسمات وروي ان له كتابا في البحث في صنعة الطلسمات. (١)

وقد ادعى الشيعة أن جابر هذا كان شيعيا لاتصاله بالامام جعفر ^{جميع} وتعلمذه عليه (٢) والغريب في الأمر أن جابر هذا لم يرد عنه أنه كان صاحب مجاهدة أو خوف، ولا نطق بأقوال زهدية على مايقول الدكتور كامل الشيبى (٣) ولكن المروي عنه أنه كان مشغلا بالكيمياء كما نقل عنه مشارب اسماعيلية في مجموعة الرسائل المنسوبة إليه والتي أخرجها المستشرق كرواسي (٤).

ويعلل بعض الكتاب تسمية جابر بن حيان بالصوفي بسبب لايمت الى الزهد والتصوف بصلة ولا إلى لبس الصوف كما تقدم ولكن الى كلمة (سوفيا) اليونانية بمعنى الحكمة. (٥)

ولم يثبت هذا القول عند كثير من الباحثين والمحققين في أصل هذه الكلمة. (٦)

(١) الشيبى . الصلة بين التصوف والتشيع ص ٢٨٨ ج٢ .

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٢٨٦ ج٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢٨٨ ج٢ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة السابقة . وقارن دائرة المعارف الاسلامية مادة (جابر)

(٥) الشيبى . الصلة ص ٢٨٨ ج٢ .

(٦) انظر (اشتقاق لفظ صوفي ومعناه) عند المستشرق نيكلسون . في التصوف الاسلامي وتاريخه ص ٦٧ ط ١٩٤٧ م ترجمة أبو العلا عفيفي .

ويلخص لنا الدكتور. كامل الشيبى العقبات التى تواجه اطلاق القول بأن جابر بن حيان هو أول من أطلق عليه لفظ صوفي في عقبتين هما كمايلي :-

العقبة الأولى :

ان جابر بن حيان لم يكن زاهدا بالمعنى الذى تعورف عليه بما فيه من ترك الدنيا والاعراض عن المادة وعدم الانشغال بها، فقد كان هذا خلافا لما اشتهر عنه من اشتغال بالمادة بل ونبوغ في هذا المجال أكثر من أي شيء آخر.

العقبة الثانية :

إن هناك شكاً في هذه الشخصية من الأساس، ويؤيد ذلك خلو كتب الشيعة وكتب الصوفية من ذكر اسمه ضمن تراجم علمائهم. ويندفع الدكتور الشيبى تحت تأثير هذه الأقوال إلى القول بأن شخصية جابر بن حيان كانت شخصية اسطورية. (١)

والظاهر أن د. الشيبى وإن كان قد أصاب في استبعاد أن يكون جابر هذا هو أول من ظهر عليه اسم صوفي لبعده عن الاشتغال بما سمي تصوفا فيما بعد إلا انه قد أجحف وجانب الصواب في انكاره وجود هذه الشخصية من الأساس. فإن جابر بن حيان قد ثبت وجوده فعلا بما قدمه للبشرية من مجهود جبار في علم الكيمياء، لو أن غيره هو الذي قدمه لما رضى أن يضاف إلى غير اسمه فمن ذلك مايلى :-

(١) اكتشافه لماء الذهب وهو الماء الوحيد الذى ينحل فيه الذهب.

(٢) صناعته لحامض الكبريت.

(٣) صناعته لحامض الأزوتيك.

(٤) صناعته لنترات الفضة.

وغير ذلك من الأعمال المجيدة. (٢)

(١) الشيبى . الصلة ص ٢٨٨ ج ٢ .

(٢) انظر دائرة المعارف الاسلامية مادة (جابر)

٢- أبو هاشم الصوفي

هو أبو هاشم عثمان بن شريك الكوفي الصوفي. (١) كانت وفاته عام ١٥٠ (٢). والحديث عنه لا يقل في اضطرابه وتناقضه عما ذكر في شأن جابر بن حيان. ولنتعرض إلى النقاط التي حصل فيها الاضطراب بالتفصيل.

عقيدته: يقول الدكتور محمد جلال شرف إن بعض المؤرخين حاول نسبته إلى التشيع. بل حاول بعضهم أن ينسبه إلى القول بالحلول والاتحاد. في حين أن البعض الآخر قالوا: انه كان أمويا وجبريا في الظاهر وباطنيا ودهريا في الباطن وانه طعن كثيرا في الأئمة المعصومين (٣)

ويؤكد أخيرا أن أبا هاشم ماكان إلا متصوفا سنيا وهو أول من تسمى بالصوفي من أهل السنة. (٤) ولاندري ماهي الأدلة التي بنى عليها تأكيد هذا ولم يذكر كل هؤلاء مستندا على ما قالوا.

أعماله: يحكى عن أبي هاشم انه أول من بنى خانقاه للصوفية في الرملة بفلسطين (٥). ولكن نيكلون ينقل عن (جامي) (*) أن أول خانقاه بنيت في الرملة للصوفية أسسها جبر مسيحي (٦).

نسبته إلى التصوف: يقول د. شرف: إن بعض الكتاب قد علل تسمية أبي هاشم بالصوفي، لأنه كان يلبس لباسا طويلا من الصوف كفعل الرهبان (٧).

(١) الشيبى. الصلة ص ٢٨٩ ج٢.

(٢) نيكلسون. في التصوف الاسلامي ص ٣ وقارن دائرة المعارف الاسلامية مادة (تصوف) وفيها ان وفاته عام ٧٧٣ م.

(٣) محمد جلال شرف. التصوف في مدرسة بغداد ص ٨٠ - ٨١.

(٤) المصدر السابق نفسه والصفحة.

(٥) الشيبى. الصلة ص ٢٨٩ ج٢.

(*) صاحب كتاب نفحات الانس في التصوف.

(٦) انظر نيكلسون في التصوف الاسلامي ص ٣.

(٧) راجع د. شرف. التصوف في مدرسة بغداد ص ٨٠.

أقول لقد نبهنا على مافي هذه الأقوال من الاضطراب والخلو عن السند المؤيد لها لكن المرجح أنه كان صوفيا مخلصا ويلبس الصوف .

يؤيد هذا ما ذكره سفيان الثوري عن هذه الشخصية كما سبق .
ونذكر عبارة أخرى عن سفيان الثوري في هذا المقام نقلها د . شرف عنه يقول فيها (مازلت أرائي وأنا لا أشعر حتى جالست أبا هاشم فأخذت منه ترك الرياء) وبهذا يمكننا أن ندفع التناقض فيما نقل عن أبي هاشم .
الجمع بين الأقوال التي نقلت عنه :

يبدو والله أعلم أن أبا هاشم كان فعلا يلبس الصوف ولكنه لم يكن يرائي به وقد عرف ذلك منه سفيان الثوري فمدحه في مجال عدم المراءات وذم من يلبس الصوف رياءً لا مطلق من لبس صوفاً .

وبهذا يكون أبو هاشم أجدر من جابر بن حيان بهذا الاسم وأقرب منه إلى التصوف وأولى بأن يكون هو أول من سمي (صوفيا) ولقد ترجم له أبو نعيم في الحلية . (٢)

٣ . عبدك الصوفي

اسمه عبدالكريم ، وأصله من الكوفة وتوفي ببغداد حوالي عام ٢١٠ هـ وقيل إنه كان على رأس فرقه صوفيه شيعية نشأت بالكوفة (٣) ولكن وجد من قال إنه كان أول

(١) د . جلال شرف . التصوف في مدرسة بغداد ص ٨٥

(٢) أبونعيم . حلية الأولياء ص ٢٥٥ جـ ١٠

(٣) انظر الشيبني . الصلة ص ٢٩٢ جـ ٢ وقارن دائرة المعارف الاسلامية مادة (تصوف) .

من سمي بـ (صوفي) ببغداد وليس بالكوفة (١).

وقيل إن الفرقة التي كان يرأسها فرقة من الزنادقة الذين زعموا أن الدنيا كلها حرام محرم لا يحل الأخذ منها بشيء إلا القوت. (٢) وقيل إنه كان ممن حرم على نفسه أكل اللحم. (٣)

فكل ما ورد في سيرة عبدك هذا لا يدل على أنه كان رجلا مرموقا ومشهورا بالصلاح ولا بالتقوى أو الزهد المباح وإنما كان رجلا متطرفا يرأس فرقة من المتطرفين الذين لم تقم لهم شوكة ولم يظهر لهم شأن كما هو الحال بالنسبة للصوفية فهذا الذي جاء في سيرته يبعده عن أن يكون صوفيا فضلا عن أن يكون هو أول صوفي.

استنتاج

كما سبق اتضح لنا أن (جابر بن حيان) لم يرد ذكره في كتب التراجم الصوفية على أنه منهم، وأنه لم يرد عنه أنه اشتغل بما يطلق عليه (تصوف) في الوقت الحاضر، وإنما كان جل اهتمامه بالمادة وخاصة الكيمياء.

وعرفنا أخيرا أن (عبدك) لم تصلح سيرته التي شاعت لأن تؤهله لأن يكون هو أول من سمي (صوفيا).

ولم يبق لدينا إلا أبو هاشم. فقد ترجم له بعض الصوفية وذكروا اتصاله بسفيان الثوري ومدحه على ماسبق استعراضه من الروايات.

ويؤيد مذهبنا إليه من أن أبا هاشم أحق بأن يكون أول من سمي (صوفيا) من بين المذكورين. يؤيد ذلك ما قرره د. كامل الشيبلي من أن الشيعة يسمون أبا هاشم (مخترع الصوفية) (٤). وهذا بلا شك يدل على أن عندهم ما يستندون عليه في إطلاق هذا القول على أبي هاشم وإن كان لم يبلغنا ذلك.

(١) انظر الشيبلي. الصلة ص ٢٩٢.

(٢) د. محمد جلال شرف. التصوف في مدرسة بغداد ص ٧٩.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية مادة (تصوف).

(٤) الشيبلي. الصلة ص ٢٩١ ج ٢.

هذا الذى رجحناه مبني على افتراض أن اسم (صوفي) ظهر على شخص واحد في البداية ثم انتشر وشمل عددا من الناس ثم تعددت الجماعات التى أطلق عليها هذا الاسم .

ولكن الحق الذى نميل إليه هو أن كلمة (صوفي) و(صوفية) لم تظهر على شخص واحد في البداية على ما قدمنا . ولكن ظهرت حين كثر لبس الصوف في جماعة من الزهاد فقيل إنهم جماعة تصوفوا - أي لبسوا الصوف - فسموا (صوفية) وقيل لواحد هم (صوفي) .

التصوف بين الكوفة والبصرة

اختلف الباحثون في أن التصوف أول مظهر هل ظهر في الكوفة أو البصرة؟

الكوفة

إن بعض الباحثين ومن بينهم د. كامل الشيبى يؤكدون على أن التصوف أول مظهر في الكوفة (١). وسبب ذلك في نظرهم أن الكوفيين قد تأثروا بموجة الزهد الذي اتخذ معارضته للأمويين من لباسه فخالفهم إلى لبس ملابس الزهاد والرهبان (٢).

ولقد بنى د. كامل الشيبى - رأيه هذا على دراسة أجراها حول الزهد الاسلامي في الكوفة. الذى تحول فيما بعد إلى تصوف مرتبط بالتشيع إذ أن من أكبر الأسباب التى أظهرت هذا النوع من التنسك في نظره هو ما آل إليه حال هذه المدينة - الكوفة - من اضطراب سياسي وهزيمة نفسية من جراء الأحداث التى نزلت بساحتها ومنها فشلها في مناصرة الامام علي بن أبي طالب (رضى الله عنه) وعجز أهلها عن القتال مع الحسين حتى قتل بين ظهرانهم رضى الله عنه فرجعوا على أنفسهم بشعور المفرط في عقيدته تفريطا عظيما فتحوّل بذلك طاقتهم المادية إلى طاقة روحية عارمة (٣). وفي هذه الظروف القاسية ظهر التصوف بالكوفة كمظهر من مظاهر هذه الطاقة الروحية المذكورة.

(١) الشيبى . الصلة ص ٢٨٤ ج ٢ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) نفس المصدر ص ٢٦٨ - ٣٠٦ ج ٢ بتصرف .

البصرة

ينص شيخ الاسلام ابن تيمية في رسالته (الصوفية والفقراء) على أن أول مظهر التصوف في البصرة. فقد كان بالبصرة - كما يقول شيخ الاسلام كثير من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف مالم يكن في سائر الأمصار (١).

ولقد أورد الشيخ ابن تيمية عدة مشاهد لتأييد رأيه هذا منها مايلي :

١ - قصة زرار بن أبي أوفى (*) - قاضي البصرة - قرأ في الصلاة قوله تعالى (فإذا نقر في الناقور) فخرميتا (٢).

٢ - قصة أبي جهير الأعمى . قرأ عليه صالح المري (*) شيئاً من القرآن فمات (٣).

٣ - إن أول من بنى دويرة للصوفية هم بعض أصحاب عبدالواحد بن زيد (***). وهو بصري ، وكل هذه الشواهد التي ذكرها الشيخ تدل على أن جماعة البصرة كانت سبابة إلى الزهد والتصوف قبل غيرها .

تعقيب

ونحن اذ نوازن بين أدلة الرأيين نجد أن ماساقه الفريق الأول كما ذكره الشيبى لايقوم سنداً على دعواهم لأن ماذكره أصحاب الرأى الأول إنما يفيد أن في الكوفة تصوفاً لا أنه أول تصوف ظهر. وهذا ظاهر من كلامهم لا يحتاج إلى بحث وتدقيق لأن كل ماقالوه في التعليل ليس إلا أن أهل الكوفة كانوا من أنصار الامام على (رضى) فلما لحقتهم الهزيمة أمام الأمويين تركوا المظاهر من القتال والدعوة إلى خلافة علي وذريته ولجأوا إلى الزهد وطريقة التصوف. . فهل مجرد هذا يدل على أنهم أول

(١) ابن تيمية . مجموع الفتاوى ص ٦ ج ١١ .

(**) هو صالح بن بشر المري البصري . مات سنة ١٧٢هـ . المناوى . الكواكب الدرية ص ١٢٤ .

(*) هو زرار بن أوفى الحرشى . قال عنه المناوى : (صالح عبادته لا تنكر . . صلى يوماً في المسجد فقرأ «فإذا نقر في

الناقور» فخر ميتاً مات سنة ١٩٣هـ . المناوى . الكواكب الدرية ص ١١٢ ج ١

(***) هو عبدالواحد بن زيد البصري . توفي عام ١٧٧ . المناوى الكواكب الدرية ص ١٣٥ ج ١ .

(٢) ابن تيمية . مجموع الفتاوى ص ٧ ج ١١ .

(٣) نفس المصدر السابق والصفحة .

المتصوفة . لا بل إنما يدل فقط على أنهم تصوفوا . وأما ما ذكره ابن تيمية تعليلا للرأي الثاني فيرد عليه أن مذكره من الشواهد الثلاثة لا يفيد أن التصوف ظهر أول مظهر في البصرة لأن تواريخ وفاتهم جميعا في القرن الثاني الهجري فالأول توفي سنة ١٩٣ والثاني توفي سنة ١٧٢ والثالث توفي سنة ١٧٧ فإذا ما قارنا ما ذكره ابن تيمية وما ذكره من الشواهد على ما اختاره نجد أن ظهور التصوف في الكوفة معللا بما قاله أصحاب الرأي الأول سابق على ظهوره في البصرة لأن تصوف فلول اتباع علي وابنه الحسين رضى الله عنهما كانت في القرن الأول فيكون تصوفهم قبل زمن أولئك الذين استشهد بهم ابن تيمية . وبعد : فالمشهور كما كتبه المؤرخون للتصوف أن التصوف قد ظهر في أثناء القرن الثاني الهجري فمثل ذلك يصح أن يكون اعتراضا على ما اخترناه ويؤيد ما ذهب إليه ابن تيمية .

لكننا نقول ردا على ذلك إن هذا المشهود في ظهور التصوف يمكن حمله على أن التصوف كمذهب له شخصيته وتميزه عن باقي المذاهب إنما كان ذلك في القرن الثاني فلا ينافي أنه ظهر وليدا لم يكتمل ولم تتكون شخصيته المذهبية في القرن الأول والله أعلم .

الفصل الخامس

الفصل الخامس

أقسام الصوفية كما قسمهم الإمام ابن تيمية

كان التصوف في العصر الذي عاش فيه شيخ الإسلام ابن تيمية قد انتشر في أنحاء العالم الإسلامي وعرف لدى جماهير المسلمين . وكان الناس قد اعتقدوا أن الصوفية هم أفاضل الناس وأخيارهم . ولكن هذا لم يحدث دفعة واحدة فقد دخل الصوفية في خلاف شديد مع الفقهاء في أول ظهورهم حتى رمي كل منهم الطرف الآخر بالجهل والضلال .

وكانت وجهة الصوفية أن الفقهاء هم علماء الظاهر . وانهم بعكوفهم على دراسة ظواهر الأحكام الشرعية قد ابتعدوا عن اصلاح نفوسهم . وتطهيرها من أمراضها الداخلية ولم يعلموا بما يسمونه (علم الباطن) الذي هو روح الدين في نظرهم ، ويدعون أنه أشرف من علم الأحكام الشرعية الظاهرة .

وكانت وجهة نظر الفقهاء هي أن الصوفية قوم ضلال : لأنهم لم يعترفوا بفضل الأحكام الشرعية الظاهرة التي بينها الله لعباده وطالبهم بتنفيذها معتمدين على مايدعون من أمور باطنة يصعب التحكم فيها والحكم على صحتها من فسادها . واستمر الحال كذلك حتى دخل عدد من كبار الفقهاء من مختلف المذاهب في جملة الصوفية . فجمعوا بين علم الظاهر وعلم الباطن ، وحاولوا اقناع الناس بأن التصوف لايتعارض مع التفقه .

فمن هؤلاء الجنيد بن محمد البغدادي . الذي كان يدرس الفقه على مذهب الإمام أبي ثور وهو من كبار الصوفية المشهورين .

ومنهم الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي درس الفقه على المذهب الحنبلي ومنهم الإمام محمد الغزالي . الذي درس الفقه على مذهب الإمام الشافعي .

فكان هؤلاء وأمثالهم فضل كبير في إعادة الثقة في الصوفية لدى عامة الناس وخاصتهم ، مع أن فئات من الصوفية ظلت على مبادئها ومعتقداتها حتى العصر الذي عاش

فيه الشيخ ابن تيمية، فاضطر لذلك أن يصنف الصوفية إلى أصناف مختلفة لكي يسهل التمييز بين كل صنف منهم والصنف الآخر. خاصة وأن الناس حين وثقت في التصوف وفي الصوفية واعتقدت أنهم أهل صلاح وتقوى أغدقت عليهم بالأموال تقربا إلى الله وأوقفت عليهم الأوقاف. فأغرى هذا الوضع الجديد بعض الناس لا علاقة لهم بالتصوف ولا معرفة لهم به أن يتظاهروا بالتصوف طمعا فيما يصل إلى أيديهم من المال. بالإضافة إلى ما يحصل لهم من منزلة مرموقة ومكانة عالية في نفوس الناس الذين لا يعرفون حقيقة أمرهم.

لم يخف مثل هؤلاء على شيخ الاسلام ابن تيمية فأشار إليهم وإلى بقية الأصناف التي كانت في عهده تمثل جمهور الصوفية. فقسمهم إلى ثلاثة أقسام:

١ - صوفية الحقائق

٢ - صوفية الأرزاق

٣ - صوفية الرسم.

صوفية الحقائق :

لقد شرح الشيخ ابن تيمية معنى قوله (صوفية الحقائق) فقال أنهم قوم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله. ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أصحاب اليمين. وفي كل من الصنفين - أي السابق والمقتصد - من قد يجتهد فيخطيء ومنهم أي من صوفية الحقائق أيضا - من يذنب فيتوب أو لا يتوب.

ثم يبين الشيخ أن من الناس من انتسب إلى هذا الصنف من الصوفية بالذات وهو عند التحقيق ليس منهم (١)

صوفية الأرزاق :

وشرح الشيخ ابن تيمية معنى صوفية الأرزاق الذي سمي به الصنف الثاني من الصوفية فقال: (هم الذين وقفت عليهم الوقوف - أي المستفيدين من دخل الأوقاف

(١) ابن تيمية. مجموع الفتاوى ص ١٨ ج ١١ .

الموقفه على الصوفية فحسب - فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق فإن هذا عزيز(١)

ثم بين الشيخ ابن تيمية أن هذا الصنف من الصوفية إذا كان لا بد من وجوده واستفادته من ريع الأوقاف التي وقفت عليهم فإن لذلك ثلاثة شروط(٢)

١ - العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويحبتون المحارم .

٢ - التأدب بالآداب الشرعية في غالب الأوقات .

٣ - أن لا يكون أحدهم متمسكا بفضول الدنيا - أى حتى يعتبر من الفقراء المستحقين .

صوفية الرسم :

لقد عرف الشيخ هذا الصنف الثالث من الصوفية بأنهم هم المقتصرون على النسبة فاهتمامهم منحصر في اللباس والآداب الوضعية ونحو ذلك .

وقال ان هؤلاء في الصوفية بمنزلة الذي يقتصر على زى أهل العلم وزى أهل الجهاد ونوع ما من أقوالهم وأعمالهم بحيث يظن الجاهل أمره انه منهم وهو ليس منهم(٣)

ومن هذا يتبين لنا من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في هذه الأصناف الثلاثة المذكورة أن الشيخ قد اعتبر الصنف الأول هم الصوفية الذين بحثوا في موضوعات التصوف وتكلموا فيها ولهم حقائق يحاولون توضيحها وشرحها للناس .

وحيث أن الصنفين الآخرين مجرد أتباع وأذئاب لهذا الصنف المذكور (أي الصنف الأول) - فلا حاجة لكثرة التحدث عنهم خاصة وأن خطرهم على المجتمع يزول بزيادة نسبة الثقافة والفهم فيه ، وتحسن أحوال المجتمع المادية أما الصنف الأول فإنه يحتاج إلى زيادة توضيح وبيان ، فقد تحدث عنه الشيخ في موضع آخر بأسهاب لأنهم هم

(١) ابن تيمية . مجموع الفتاوى ص ١٩ ج ١١

(٢) ابن تيمية مجموع الفتاوى ص ١٩ ج ١١ .

(٣) المصدر نفسه ص ٢١ .

المقصودون بالصوفية كما أسلفنا، ولقد بين شيخ الإسلام اننا يمكن أن نقسم الصنف الأول المذكور إلى ثلاثة أصناف أيضا هي كما يلي:

- (أ) (صنف لهم عبادة وزهد فيما هم فيه، وهم يحسبون أنهم على حق، وهم يقرون ظاهرا وباطنا بأن محمدا رسول الله وأنه أفضل الخلق ولكنهم لا يفهمون حقيقة قول مشائخهم ممن دون علم التصوف، وميزه عن غيره من العلوم) (١)
- (ب) (وصنف قد تكلموا في خصائص الإيثار والدين ويوجد فيما يأترونه عن قبلهم وفيما يذكرونه معتقدين له شيء كبير وأمر عظيم من الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسوله، ويوجد أحيانا عندهم من جنس الروايات الباطلة والضعيفة ومن جنس الآراء والأذواق الفاسدة والمحتملة شيء كثير) (٢).

فهذا الصنف هم المعول عليهم في اظهار التصوف على الوجه الموافق للسنّة الصحيحة والتميز بعمق الفهم والشعور وبصدق المشاعر والأذواق وإن كان لا يستبعد أن يحصل لأحدهم من الأذواق الفاسدة أو المشاعر غير الصادقة ما يدل على عدم عصمتهم كغيرهم من البشر فكل بني آدم معرض للخطأ مهما بلغ من العلم والمعرفة والولاية، إلا الأنبياء.

وهؤلاء فيما أحسب هم الذين أعطوا للتصوف الصورة الحسنة لدى الجمهور من أجلهم فقط كان موقف شيخ الإسلام ابن تيمية المهاد للتصوف والمعرف بأن في الصوفية من يستحق الاحترام والتكريم والاشادة بما وصلوا إليه في عمق تفكيرهم من حكم عالية ومواعظ مؤثرة ومعاني سامية ونكت لطيفة لم يتيسر لغيرهم التنبيه عليها والعناية بها كما كان ذلك منهم.

ومع هذا رأينا أن شيخ الإسلام ابن تيمية لم يأخذ الإعجاب هؤلاء إلى حد تبرير كل ما قالوه وتصحيح كل ما نقلوه بل نبه بشدة إلى أنه يوجد عندهم أيضا من جنس الروايات الباطلة والضعيفة والآراء - والأذواق الفاسدة والمحتملة شيء كثير.

(١) ابن تيمية مجموعة الرسائل الكبرى ص ١٢١ في رسالة الفرقان بين الحق والباطل.

(٢) ابن تيمية مجموعة الرسائل الكبرى ص ١٤٢ وأنظر مجموع الفتاوى ص ٤٣ ج ١١.

(ج) (وصنف يقولون مايقوله ابن عربي ونحوه) (١)

وهؤلاء هم المتفلسفة الذين انتسبوا إلى التصوف وهم في الحقيقة إنما يصوغون مبادئ ومذاهب فلسفية غريبة عن الاسلام وسبق وجودها في أديان ومذاهب قديمة يونانية وبرهمية وغير ذلك. فصاغوا كل ذلك بعبارات صوفية فخرجوا بالتصوف إلى مزالق الكفر والالحاد (٢)

وإن خفى هذا الصنف على كثير من العلماء والكتاب فاعتبروهم من الصوفية المحققين أو ممن قال بنظريات جديدة في التصوف لها في زعمهم أساس في الشريعة الاسلامية فإنهم لم يخفوا على شيخ الاسلام ابن تيمية ولم يشتبه أمرهم عليه كغيره بل كان له الفضل الأكبر في إظهار حقيقة أقوالهم وارجاع نظرياتهم إلى أصولها الغريبة عن الاسلام وسيأتي تبين ذلك إن شاء الله وبالجمله فإن موقف الشيخ ابن تيمية كما تبين لنا من خلال الدراسة السابقة هو موقف العالم المحقق والباحث الهام الذي يتعب نفسه في تقصي الحقائق لئلا يقع في المزالق التي وقع فيها كثير غيره فهاجموا التصوف بلا علم ولاتحقيق، أو دافعوا عنه بلا وعي ولا إنصاف ففقد كلامهم القيمة العلمية التي يطلبها الباحث عن الحق في مثل هذه الأمور وما أسهل أن يكيل المرء الاتهامات بلا مبرر أو أن يكيل المدح بلا مناسبة ولكن صدق الشاعر الذي قال:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
وسيأتي في بقية فصول البحث إن شاء الله تصديق مانوهنا عنه من تحري شيخ الإسلام وتدقيقه الرائع ووضعه النقاط على الحروف وعدم تحامله على أحد إلا بعد ثبوت الحجة عليه.

(١) ابن تيمية . مجموعة الرسائل الكبرى ص ١٤٢ رسالة الفرقان بين الحق والباطل .

(٢) سيأتي نقاش مبادئهم في فصول لاحقة إن شاء الله .

الباب الثاني

المقامات والأحوال

وفيه ثمانية فصول

تمهيد معنى المقامات والأحوال

الفقر والغنى

الزهد

التوكل

التوبة

الذكر والسماع

الفناء

الطول والإتحاد

الفصل الأول :

الفصل الثاني :

الفصل الثالث :

الفصل الرابع :

الفصل الخامس :

الفصل السادس :

الفصل السابع :

الفصل الثامن :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِلْ
وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

الفصل الأول من الباب الثاني

(تمهيد في معنى المقامات والأحوال)

الفصل الأول

تمهيد :

المقامات والأحوال مثل التوبة والتوكل والصبر، والشكر والخوف، والرجاء، والورع والرضا وغيرها. وقد تكرر ذكرها كثيرا في كتب الصوفية، بل لا يخلو كتاب في التصوف من التطرق إليها، لذلك يتوجب علينا معرفة المقصود منها عند الصوفية.

المقامات في اللغة:

المقامات جمع مقام وهو موضع القيام وهو إما أن يراد به أمر حسي كما قال تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) * قال المفسرون: مقام إبراهيم. الحجر الذي فيه أثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر (١). فهذا مقام حسي.

وقد يراد بالمقام أمر معنوي كما في قوله تعالى (عسى أن يعثلك ربك مقاما محمودا) ** قال في تفسير الجلالين: (وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء) (٢) فهذا مقام معنوي.

المقام عند الصوفية

استعمل الصوفية كلمة مقام لتدل على مرحلة من مراحل التعمق في العبادة وفي ذلك يقول الجرجاني في التعريفات (هو ما يتوصل إليه بنوع تصرف ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف). (٣)

وقد شرح هذا المعنى بعبارة أوضح ابونصر السراج فقال (فان قيل ما معنى المقامات؟ يقال: معناه مقام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقام فيه من العبادات

* الآية ١٢٥ من سورة البقرة.

(١) الزغشري: تفسير الكشاف ص ٣١٠ ج ١

** الآية ٧٩ من سورة الاسراء

(٢) الجلالين: التفسير ص ٢٢٥ ط بمصر عام ١٣٧٠ هـ بهامش المصحف الكريم.

(٣) الجرجاني: التعريفات ص ٢٠٣.

والمجاهدات والرياضات والانقطاع الى الله عز وجل(١).

وهذا يعني أن الصوفية استعملوا كلمة مقام بمعناها المعنوي . فالسالك عندهم يبدأ بمقام التوبة مثلا وهو مقام معنوي ثم قد ينتقل إلى مقامات أخرى كالتركيز والصبر والشكر ونحو ذلك وكلها من المقامات المعنوية .

الأحوال:

الأحوال جمع حال والحال في اللغة . ما عليه الإنسان من خير أو شر(٢) وقد استعمل الصوفية هذه الكلمة للدلالة على ما يمر بالسالك من صفات متغيرة كالخوف والرجاء والحزن والطرب ونحو ذلك . يقول ابونصر السراج (وأما معنى الأحوال فهو ما يحل بالقلب أو تحل به القلوب من صفاء وكدر(٣)

ويقول القشيري (هو معنى يرد على القلب من غير تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب)(٤) .

وهذا يوضح لنا أن المراد بالأحوال عندهم معاني ترد على السالك من غير تكلف منه ولا تعمد، خلافا للمقامات التي سبق أن عرفنا أنها مراحل من التعمق في العبادة يصل إليها المرء بجهد ومثابرته . وهذا هو معنى قولهم (الأحوال تأتي من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود)(٥)

تعدد المقامات والأحوال وتداخلها

في الواقع أن المقامات والأحوال ليس متفق على عددها عند الصوفية . كما أنها قد تتداخل بحيث يصعب التمييز بينها وذلك لأن القواعد التي وضعوها للتمييز بين المقامات والأحوال هي في الحقيقة غير مضطردة فيما ذكروه من الأحوال والمقامات مثال ذلك أنهم يقررون أن المقامات لها صفة الديمومة بينما الأحوال لها صفة التغير

(١) ابونصر السراج . اللمع ص ٦٥ .

(٢) محمد محي الدين عبد الحميد . منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل . ص ٦٢٥ ج ١ ط الرابعة عام ١٣٨٤ هـ .

(٣) ابونصر السراج . اللمع ص ٦٦ .

(٤) القشيري : الرسالة ص ٥٤ .

(٥) المصدر نفسه والصفحة .

المستمر. يقول القشيري : وصاحب المقام ممكن في مقامه ، وصاحب الحال مترق عن حاله (١) . ومع هذا فان منهم من أشار إلى بقاء الأحوال ودوامها كما يقول القشيري نفسه : (واشار قوم الى بقاء الأحوال ودوامها) (٢) .

ثم ان قولهم ان المقام له صفة الديمومة معارض بقولهم ان المرء يترقى من مقام الى مقام وبهذا تنتفي صفة الثبات المذكورة .

وأيضاً نرى أن بعض الصوفية يعتبر بعض الأمور كالخوف من المقامات كما ورد ذلك عن أبي طالب المكي (٣) بينما يعتبره غيره من الأحوال كما ورد ذلك عن أبي نصر السراج (٤) . واعتبر القشيري الرضا من ضمن الأحوال (٥) بينما اعتبر أبو نصر السراج الرضا من ضمن المقامات (٦) .

والرأى الجامع للرأين السابقين هو أن الحال كان في بدايته معنى يطرأ ويزول فلا استقرار له لكنه بالتكرار قد يصير معنى راسخاً لا يزول .

ومن هنا يمكن أن يصبح ذلك المعنى مقاما عند صاحبه في النهاية . مع أنه كان في بدايته حالاً يطرأ ويزول . وقد مثلوا لهذا بحال المراقبة الذي يطرأ ويزول مرات عديدة عند السالك ثم يصبح مقاماً لصاحبه وذلك حين يغلب عليه مراقبة الله في جميع أعماله وأحواله . وهذا هو الرأي السديد الذي يحل المشكلة من أساسها وقد ذكره السهروردي وأبو الفيض المنوفي (٧) .

(١) القشيري . الرسالة ص ٥٤ .

(٢) المصدر نفسه السابق والصفحة .

(٣) ابوطالب المكي . قوت القلوب ص ٣٦٤ ج ١

(٤) ابونصر السراج . اللمع ص ٨٩ .

(٥) القشيري : الرسالة ص ٥٤ .

(٦) ابونصر السراج . اللمع ص ٦٥ .

(٧) انظر السهروردي . عوارف المعارف ص ٤٦٩ وقارن ابو الفيض المنوفي . جبهة الأولياء ص ١٩٢ ج ١ .

الفصل الثانی من الباب الثانی

الفقر والفنى

الفصل الثاني

الفقر والغنى

من أهم الموضوعات التي أوضح فيها الشيخ ابن تيمية رأيه وبان فيها نبوغه في التفكير ومقدرته على وضع الأمور في نصابها الصحيح مسألة الفقر والغنى وهل الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر؟ وما مدى علاقة الفقر بالزهد؟ وهل الزهد يقتضى معانقة الفقر واختياره؟.

يقول الشيخ ان الأغنياء والفقراء كانوا يستون في مقاعدهم عند النبي ﷺ وفي الاصطفا خلفه في الصلاة. وفي غير ذلك من الأمور. وأن من اغنياء الصحابة كعثمان وطلحة والزبير وسعد بن معاذ ونحوهم من له منزلة ليست لغيرهم من الفقراء (١).

وهذا هو العدل والقسط الذي جاء به الكتاب والسنة كما يراه الشيخ ابن تيمية ويحكيه عن الخليفة عمر بن عبدالعزيز واليث بن سعد وابن المبارك ومالك واحمد بن حنبل وغيرهم في معاملتهم للأغنياء والفقراء (٢).

وليس هذا هو رأى الكثير من الصوفية. فان اكثر الصوفية يقررون ان الفقر مقام شريف وأن الفقراء أفضل من الأغنياء على كل حال ونحو ذلك. (٣)

ولقد نبه الشيخ إلى موقع الالتباس في هذه المسألة فبين أن الزهد يكثر عند الفقراء فعلا وهذا ما دفع الناس إلى الاعتقاد بأن الفقر مقام شريف كما يدعون. والحقيقة أن الزهد يكثر في الفقراء لأن من العصمة أن لا يجد المرء ما يدفعه إلى حب الدنيا، ولكن الحقيقة عند الشيخ ابن تيمية أن الزهد عند الأغنياء كما هو عند الفقراء بل هو عند الأغنياء أكمل منه عند الفقراء وإن كان عند الفقراء أكثر منه عند الأغنياء. فليس للفقر أي ميزة على الغنى ولا شك أن هذا الذي قرره الشيخ ابن تيمية صحيح لأن

(١) ابن تيمية. مجموع الفتاوى ص ١٢٥ - ١٢٦ ج ١١

(٢) المصدر نفسه والصفحة .

(٣) أبونصر السراج. اللمع ص ٧٥ وقارن مقام الفقر عند الغزالي في الاحياء.

الفقر ابتلاء وليس مقاما من المقامات مثله . مثل الغنى كما قال تعالى : ﴿فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن ، وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن﴾ (١) .

هذا هو الحق الواضح وانه لا فضيلة للفقر على الغنى ، وليس الفقر مقاما من المقامات كما زعمه كثير من الصوفية . فقد زعم كثير من الصوفية أن الفقر أمر محمود لذاته ، وإنه مقام شريف من مقامات الوصول إلى الولاية (٢) . حتى قال الامام الغزالي في كتاب الاحياء (بيان فضيلة الفقر مطلقا) (٣) .

والفقر في اللغة يطلق على قلة المال وعدمه كما يطلق ويراد به افتقار المخلوق لخالقه جل وعلا .

فان أراد الصوفية تمجيد الفقر بالمعنى الأول وهو قلة ذات اليد فهذا خطأ على اطلاقه . لأن الفقر نازلة تنزل بالعبد كغيرها من النوازل فمن صبر عليها وشكر نال الأجر والثواب وكان فقره سببا في ارتقائه أعلى الدرجات ولكن لا يقال هنا ان المحمود هو الفقر بل هو حسن الصبر عليه وعدم اظهار الضجر منه واحتساب ذلك كله عند الله . وقد مدح الله هذا الصنف من الفقراء فقال تعالى : ﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم﴾ (٤) .

فالممدوح في هؤلاء الفقراء هو كونهم متعففون يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وليس المحمود هو اتصافهم بالفقر مطلقا كما قال بعض الصوفية وهذا أمر واضح لمن كانت له بصيرة .

وإن أرادوا تمجيد الفقر بالمعنى الثاني وهو افتقار المخلوق إلى خالقه فهذا أيضا لا يؤخذ على اطلاقه لأن جنس الافتقار موجود عند جميع المخلوقات سواء اعترفوا به أو لم

(١) الآية ١٦ من سورة الفجر .

(٢) انظر القشيري . الرسالة ص ٢٠٩ وقارن الغزالي : الاحياء ص ٢٩٣ ج ٤ .

(٣) الغزالي . الاحياء ص ١٩٣ ج ٤ .

(٤) الآية ٢٧٣ من سورة البقرة .

يعترفوا به حتى الجهاد والحيوان مفتقر في خلقه واستمرار وجوده الى خالقه فهذا الافتقار من حيث هو ليس بموضع مدح ولا ذم .

ولكن المحمود هو استشعار هذا الفقر وتذكر نعمة الله دائما .

أما الكافر فلا يشعر بافتقاره الى الله عز وجل فيطغى ويتكبر كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاطِغٍ﴾ (١) .

ولنأخذ مثالا واحدا من حياة الصحابة رضی الله عنهم وهو (أبوهريرة رضي الله عنه) الذي كان من أفقر الصحابة رضي الله تعالى عنهم حتى كان يربط على بطنه الحجر من الجوع ثم لما فتح الله الرزق على المسلمين تولى الامارة في عهد عمر بن الخطاب(٢) وان كان توليه الامارة لا يعنى انه انكب على الدنيا انكبابا ولكن لا يدل على بقاءه على حالة الفقر التي كان فيها . بل يدل دلالة واضحة على أن تلك الحالة كانت طارئة غير مطلوبة لذاتها . أما شعوره هو وغيره من الصحابة بالافتقار إلى الله عز وجل فهذا مالا يجب أن يتخلى عنه المؤمن لحظة واحدة .

بل في هذا سر الخشوع والطاعة التي تظهر على المؤمنين وتملئ بها قلوبهم .

(١) الآيتين ٦ ، ٧ من سورة العلق .

(٢) انظر ما روي في ترجمته في أسد الغابة ط الشعب .

الفصل الثالث من الباب الثاني

الزهد

الفصل الثالث

مسألة الزهد

مع ما يشتمل عليه التصوف من مسائل كثيرة مثل التقوى والورع والفقر وغير ذلك فان الزهد يعتبر من أهم المسائل في التصوف على الاطلاق .

يقول الامام ابونصر السراج : (والزهد مقام شريف ، وهو أساس الأحوال المرضية والمراتب السنية ، وهو أول ما قدم للقاصدين الى الله عز وجل) (١) .

ويقول أيضا : (فمن لم يحكم أساسه في الزهد لم يصح له شيء مما بعده) (٢) ومن هنا يجب على الباحث في التصوف أن يتبين الزهد الصحيح من الزهد الزائف حتى يكون الراغب في التصوف (المريد) على بصيرة من أمره في الخطوة الأولى والأساس الأول . فيتبين الزهد الصحيح من غيره .

فان الزهد عند الصوفية أخذ صورا متفاوتة في البعد والقرب عن المنهج الاسلامي فمن أقوالهم الحسنة في ذلك قولهم : الزهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف (٣) . وقولهم أيضا : (الزهد خلو القلب مما خلت منه اليد) (٤) .

فهذا تصوير للزهد بمعنى حسن هو عدم اشتغال القلب بالدنيا والتكلف بها . أما ما يروونه من مبالغات في هذا الشأن مثل قولهم عن أبي علي الدقاق (الزهد أن تترك الدنيا كما هي لا تقول ابني رباطا أو اعمر مسجدا) (٥) .

ومثل قولهم على لسان يحيى بن معاذ (**) حين سأله رجل (متى ادخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد واقعد مع الزاهدين ؟ فقال : إذا صرت من رياضتك لنفسك

(١) ابونصر السراج . اللمع ص ٧٢ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة .

(٣) القشيري . الرسالة ص ٩٤ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة .

(٥) ربها هو أبوعلى الزقاق نسبة الى (الزق) المناوى الكواب ص ١٨ ج ٢ .

(**) هو يحيى بن معاذ الرازي مات بنيسابور عام ٢٥٨ هـ انظر المناوى . الكواكب الدرية ص ٢٧٢ ج ١ .

في السر الى حد لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف نفسك فاما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ثم لا آمن عليك ان تفتضح (١).

فان في الرواية الأولى من المبالغة في الزهد إلى حد ترك فعل الخيرات وعمارة المساجد ونحو ذلك فلا يقتصر حد الزهد على ترك المعاصي أو المباحات ونحو هذا. بل يصل إلى ترك الحسنات. وهذا مذموم.

وفي الرواية الثانية دعوى من لم يبلغ من الجهد والمصابرة والصبر على الجوع مدة ثلاثة أيام مع عدم إظهار ما هو فيه من مشقة فانه لا يبلغ حد الزهد، وليس هذا بصحيح لأن الزهد يصدق على ترك القليل كما يصدق على ترك الكثير، ولا يجب أن يشترط لتحقيقه مثل هذه الشروط القاسية.

رأى ابن تيمية في الزهد:

يرى شيخ الاسلام ابن تيمية ان الزهد منه مشروع ومنه غير مشروع فالزهد المشروع (ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة). (٢)
وأما ترك كل ما يستعين به العبد على طاعة الله فليس ذلك من الزهد المشروع. (٣)

إذا فالامام ابن تيمية يحدد المعنى الصحيح خلافا للمتطرفين من الصوفية الذين يغربون في معنى الزهد ولا يضعون حدا فاصلا بين الزهد الصحيح المشروع وغير المشروع.

تعقيب

يتبين بوضوح من كل ما ذكره الامام ابن تيمية وما ذكره الصوفية أن ما ذكره ابن تيمية فيه وضوح لحقيقة الزهد وفيه ربط للزهد بغاية شرعية حيث يقول عنه أنه ترك ما لا ينفع في الآخرة. فقد ربط الزهد بغاية شرعية وهي الافادة في الآخرة مع وضوح

(١) القشيري: الرسالة ص ٩٦.

(٢) ابن تيمية + مجموع الفتاوى ص ٢٨ ج ١١

(٣) المصدر نفسه والصفحة .

العبرة وعدم المبالغة للذين لا تجدهما في عبارات المتصوفة السابقة. ويشهد لما قاله ابن تيمية : أولا : قوله تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ (١).

ثانيا : قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ . . .﴾ (٢) الخ . (٢)
فالزهد الصحيح ليس هو تحريم ما أحل الله لعباده لنهى الشرع عن ذلك ولكنه امتناع شخصي وعزوف من النفس عما لا يفيد في الآخرة فإذا ما اضطرب الشخص إلى شيء مما امتنع عنه من المباحات لعدم توفر غيرها أقدم عليها وأخذ منها ما يفي بحاجته منها .

وهنا فرق كبير بين الزهد الصحيح الاسلامي وبين الزهد الباطل .

(١) الآية ٧٧ من سورة القصص

(٢) الآية ٣٢ من سورة الاعراف .

الفصل الرابع من الباب الثانى

التوكـل

الفصل الرابع

تعريف التوكل :

عرف الامام الغزالي التوكل فقال: التوكل مشتق من الوكالة. وهو عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده (١) وعرفه الامام ابن القيم فقال: والتوكل: حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله عز وجل والايان بتفرد به بالخلق والتدبير، والضر، والنفع، والعطاء، والمنع. وإنه ماشاء الله كان وان لم يشأ الناس. وما لم يشأ لم يكن وإن شاء الناس. (٢)

فما تقدم يتضح لنا أن التوكل ليس هو نفس الايمان بالقضاء والقدر بل التوكل ثمرة هذا الايمان ونتيجته. ولهذا فان التوكل عقيدة تفتقر بالعمل. فحين يعزم المرء على عمل ما وقد آمن بالقضاء والقدر يجد في نفسه اعتمادا على الله عز وجل واستعانة به على انجاز ذلك العمل، وعدم خوف أو رهبة من غيره لأنه يعلم أن غير الله عز وجل لا يملك له ضرا ولا نفعاً.

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ *

التوكل. دلالة الكتاب والسنة عليه

لقد أشار القرآن الكريم إلى التوكل كمبدأ إسلامي عظيم ورفع من شأن المتوكلين في كثير من الآيات الكريمة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ * وقرن التوكل بالايان المقبول عنده. قال تعالى ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ ***. وبين منزلة المتوكلين عنده فقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنْ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ****. والقرآن مليء بالحث على التوكل والاشادة بمن صدق من المتوكلين.

(١) محمد الغزالي. الاحياء. ص ٢٥٩ ج ٤.

(٢) ابن القيم. مدارج السالكين. ص ٨٢ ج ١

* الآية ٤٩ من سورة يونس

* الآية ٣ سورة الطلاق.

** الآية ٨٤ سورة يونس.

*** الآية ١٥٩ سورة آل عمران.

وفي الحديث الشريف عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
(يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون
وعلى ربهم يتوكلون)(١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات .

المغالاة في التوكل عند بعض الصوفية

لقد بين بعض أئمة التصوف أن التوكل مقام ينتظم ثلاثة أشياء علم، وحال،
وعمل . فالعلم هو الأصل ، والعمل هو الثمرة والحال هو المراد باسم التوكل ، وقد
ذكر هذا التفصيل الغزالي في الاحياء(٢) .

ولكن بعض الصوفية آثر عنهم عبارات غامضة لا يفهم منها إلا تفسيرهم للتوكل
بأنه أمر متناف مع العمل أو هو عمل سلبي أكثر من أي شيء آخر .
فمن ذلك قولهم (التوكل أن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل
يقبله كيف يشاء لا يكون له حركة ولا تدبير) . (٣)

فالتوكل عندهم يتعارض مع العمل . وان كانوا لا يخرجون غير التوكل من عموم
المؤمنين . ولكنهم يرون أن التوكل درجة يلتزم بها من يستطيعها من الصوفية بالطريقة
السلبية المذكورة آنفا وإن لم يستطع أن يلتزمها يجوز له الاتجاه إلى العمل والتكسب
ولكنه في هذه الحالة لا يكون في عداد المتوكلين .

توضح هذه الفكرة عند الصوفية النصوص التالية التي وردت في الرسالة
القشيرية .

- ١- روى عن أبي تراب النخشي أنه نظر إلى صوفي مد يده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد
ثلاثة أيام فقال له : لا يصلح لك التصوف الزم السوق . (٤)
- ٢- قال بعضهم (إذا قال الفقير بعد خمسة أيام أنا جائع فالزموه بالسوق ومروه بالعمل
والكسب)(٥) .

(١) محمد ابن اسماعيل البخاري . صحيح البخاري ص ١٢٥ ج ٤ .

(٢) الغزالي . الاحياء ص ٢٤٥ ج ٢ .

(٣) القشيري . الرسالة ص ١٢٩ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٣٤ .

(٥) المصدر نفسه والصفحة .

والحق أنه لا تنافي بين التوكل ومزاولة العمل والتكسب ونحو ذلك فقد أمر الله تعالى بالعمل كما أمر بالتوكل ولا يمكن أن يأتي في الكتاب الكريم والتشريع الإلهي العظيم ما فيه تناقض . فان الشخص إذا عمل يصح أن يشعر بأحد أمرين : إما أن يعمل ويعتقد أن العمل هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى النتائج . وأما أن يعمل ويعتقد أن العمل أمر دعا الله إليه ، ولكنه لا يوجب شيئاً من النتائج بذاته . إنما النتيجة وخصولها مرهونة بإرادة الله وحده .

فالعامل في الحالة الأولى غير متوكل على الله إنما هو متوكل على عمله بحيث يعتقد أنه بجهد الخاص يستطيع أن يجلب لنفسه الخير ويبعد عن نفسه الشر وإن ذلك من ثمرات عمله الأكيدة : فهو بهذا يتجاهل حقيقة القضاء والقدر التي شملت كل حركة وسكون في الكون . فليس في الكون حركة ولا سكون إلا بتقدير الله عز وجل وتسهيله وتوفيقه . وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

وقد لاحظ الناس ان مثل هذا العامل كثيراً ما ينتج له عمله عكس ما ينتظره من نتائج وانه يبوء في النهاية بسوء العاقبة .

أما العامل في الحالة الثانية . يعمل وهو لا يعتقد ان العمل وحده هو المؤثر . إنما العمل أمر مطلوب منه شرعاً فهو يعمل امتثالاً لما أمر الله به من مباشرة للعمل . قال تعالى ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً﴾* وقال أيضاً ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾*** .

فهذا يكون قد جمع بين الايمان بالقضاء والقدر وإيكال النتائج إلى الله عز وجل وبين تنفيذ ما أمر الله به من العمل .

وهذا يتضح أن عقيدة التوكل عقيدة عملية وليست عقيدة سلبية . وان العاملين صنفان صنف غير متوكل . وصنف متوكل . أما من ترك العمل إطلاقاً فهذا لم يفهم التوكل على وجهه الصحيح . ألا ترى أن من يملك أرضاً ويريد أن يحصل منها على نتاج زراعي يحتاج إلى حرث الأرض وربها وهكذا من سائر أعمال الفلاحة . فلو قعد

* الآية ١١٠ من سورة الكهف ** الآية ١٠٥ من سورة التوبة .

في بيته وهو لا يعمل شيئاً ودعى الله تعالى أن يأتيه بالنتائج والمحاصيل الزراعية إلى بيته فهل يقر هذا الشرع أو العقل؟ . . إذا فلا بد للحصول على النتائج أن يذهب إلى الحقل فيشقه ويزرعه كما يشق الناس أرضهم ويزرعونها . ويتوكل على الله في النتائج فهذا هو الذى يقره الشرع والعقل ، وهذا هو التوكل الحق .

وأخيراً نقول أن الشريعة قررت في جوهرها وكتلياتها وجزئياتها وجوب العمل بالاضافة إلى ما أمرت به من لزوم الاعتماد على الله عز وجل في النتائج والعواقب بالتوكل الصادق عليه .

بحث في فائدة التوكل للمؤمنين

لقد أثار الامام ابن تيمية بحثاً طريفاً مفيداً غاية الفائدة في موضوع التوكل يهدف هذا البحث إلى الدعوة إلى زيادة التمسك بالتوكل من قبل المؤمنين . وموضوع هذا البحث هو الرد على الشبهة التي قد ترد في ذهن بعض الناس في أن التوكل لا يستفاد منه بشيء في تغيير ما قد قدر على المرء من خير أو شر وشقاء أو سعادة .

وبين الشيخ ابن تيمية أن التوكل له فائدة عظمى لا تتحقق بدونه يقول ابن تيمية : (وقد ظن طائفة ممن تكلم في أعمال القلوب أن التوكل لا يحصل به جلب منفعة ولا دفع مضرة . بل ما كان مقدراً بدون التوكل فهو مقدر مع التوكل . ولكن التوكل عبادة يثاب عليها من جنس الرضا بالقضاء)(١) .

ويرد الشيخ على القائلين بذلك فيقول (فإذا كان سبحانه وصف نفسه بأنه كفى به وكيلاً) علم أنه يفعل بالتوكل عليه مالا يحتاج معه إلى غيره في جلب المنافع ودفع المضار(٢) . ومعنى ذلك أن الشيخ يرى أن التوكل أمر مختص بمن استعمله دون غيره ، وإذا كان كذلك فكيف يكون حال من استعمله كحال غيره مع ما تقدم من تخصيص الله عز وجل للمتوكل بأنه سيكفيه في جلب المنافع ودفع المضار مالا يكفى فيه غيره .

ويقرن الشيخ هنا بين التوكل والدعاء في مسألة الاختصاص بالمنفعة فإن التوكل كالدعاء يختصان بمن يستعملها ولا بد لمن استعملها من حصوله على منافع مختصة به دون من لم يستعملها .

يقول الشيخ موضحاً ذلك (فلا يقال هو حسب غير المتوكل كما هو حسب المتوكل لانه علق هذه الجملة تعليق الجزاء على الشرط . فيمتنع في مثل ذاك أن يكون وجود الشرط كعدمه) . (٣)

(١) ابن تيمية . جامع الرسائل . ص ٧٨ .

(٢) ابن تيمية . جامع الرسائل ص ٩٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ٨٨ .

ثم أن من الأدلة التي استدلل بها الشيخ ابن تيمية على ما قدمه ما جاء في القرآن الكريم من ترغيب في التوكل . فلو لم يحصل للمتوكل من الكفاية مالا يحصل لغيره لم يكن ذلك مرغبا في التوكل . (١)

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ *** ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ *** يبين الشيخ أن الحسب امر مختص لا مشترك ، والتوكل سبب ذلك الاختصاص ، والله تعالى إذا وعد على العمل بوعد أو خص أهله بكرامة فلا بد أن يكون وجود ذلك العمل وعدمه فرقا في حصول تلك الكرامة .

والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم﴾ *** .

فهذه الآية عقببت الجزاء والحكم على الوصف والعمل بحرف الفاء ، وهى تفيد السبب فدل ذلك على أن ذلك التوكل هو سبب هذا الانقلاب بنعمة من الله وفضل وإن هذا الجزاء على ذلك العمل . (٢)

* الآية ٣٨ من سورة الزمر .

** الآية ٣ من سورة الطلاق .

(١) ابن تيمية . جامع الرسائل ص ٨٨ .

*** الآية ١٧٣ ، ١٧٤ آل عمران

(٢) ابن تيمية . جامع الرسائل ص ٩٠ .

الخلاصة

وخلاصة القول في التوكل ، أن التوكل اعتقاد وعمل . فالاعتقاد هو أن الله عز وجل هو المالك والمتصرف الحقيقي في الكون وحده وانه هو الرزاق وهو النافع الضار وهو المحي المميت وانه لا أحد يملك في هذا الكون مثقال ذرة ولا أقل من ذلك ولا يملك أن يتصرف في شيء منها من عند نفسه ما لم يأذن الله في ذلك وييسره له . قال تعالى ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾* . وهذا الاعتقاد يورث في نفس صاحبه الثقة والقوة في النفس فينطلق إلى ما يريد من أعمال وهو واثق كل الثقة من أن أمره بيد الله عز وجل وحده وان أحداً لا يستطيع أن يضره ولا أن ينفعه إلا بإذن الله . وفي الحديث (من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله) (١) . فالتوكل يعطى المؤمن الجرأة على العمل . وكل من توكل على الله في شيء من أمور دينه ودنياه كان أحرى أن يقدم على ذلك العمل بلا تهيّب ولا تردد . وكان أجدر أن يحصل على ثمرة ذلك العمل .

* الآيات ٦ - ٩ من سورة الليل .

(١) المناوى . فيض القدير ص ١٤٩ عن ابن عباس (رضي الله عنه) .

الفصل الخامس من الباب الثانى

الفصل الخامس

التوبة

مقام التوبة

التوبة في اللغة الرجوع عن الذنب. وهى عند الفقهاء ندم، وإقلاع وعزم أن لا يعود(١).

وقد اتفقت أقوال العلماء على أن التوبة من أول المقامات الحميدة التى يعرفها السالك. ولكن هل مقام التوبة مقام عابر يمر به السالك ثم ينتقل عنه الى غيره من المقامات؟ أو مقام يستمر مع السالك طول عمره؟ قال بعضهم بالأول. وقال غيرهم: أن التوبة هي أول المنازل وأوسطها وآخرها. فلا يفارقها العبد السالك ولا يزال فيها إلى الممات. وإن انتقل الى مقام آخر انتقل بها واستصحبها(٢).

ودليل أصحاب هذا رأى الأخير أولا: ان الله عز وجل خاطب أهل الايمان وخيار خلقه بقوله: ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾(*) فهذه الآية من سورة مدنية هي سورة (النور) وقد خاطب الله فيها عباده بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم. فهذا يعنى أن التوبة تستمر مع المؤمن طول حياته مهما عمل من أعمال صالحة(٣).

ثانيا: أن قوله تعالى: ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾(**) فهذه الآية قد قسم الله عز وجل فيها العباد الى تائب وظالم فقط وأوقع اسم الظالم على من لم يتب.

(١) انظر تقي الدين الفتحي. منتهى الارادات ص ٦٦٠ ق ١ ط ١ القاهرة دار العروبة عام ١٣٨١هـ بتحقيق عبد الغنى عبد الخالق.

(٢) ابن القيم. مدارج السالكين ص ١٣٨ ص ١٣٨ ج ١

(*) الآية ٣١ من سورة النور.

(٣) ابن القيم. مدارج السالكين ص ١٧٨ ج ١.

(**) الآية ١١ من سورة الحجرات.

فهذا يعنى أن كل مؤمن تائب وفي الحديث ان رسول الله ﷺ قال : (يا أيها الناس توبوا الى الله . فوالله انى لا توب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة) (١) وكل ذلك دليل على استمرار التوبة .

مناقشة الأدلة:

ويمصح أن يناقش أصحاب هذا الرأى فى أدلتهم المذكورة سابقا بما يلى :
أولا : ان قوله تعالى : ﴿وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ ليس فيه مطالبة باستمرار التوبة . ولكن فيه مطالبة بفعل التوبة . وهذا واجب على من يرتكب ما يوجب التوبة من المؤمنين . فان تاب عن ذنبه تكفيه توبة واحدة . ولا يطالب بسواها عن نفس الذنب . فان عاد إلى الذنب أو ارتكب ذنباً آخر وجب أن يتوب عن هذا الأخير توبة جديدة . وحيث أن الخلاف فى التوبة من حيث هى مقام يجتازه المرء إلى ما بعده أو يستمر معه .

فالاعتراض هنا أن من تاب لا يعود إلى ما تاب عنه مطلقا . وبهذا تكون التوبة بالنسبة له مقاما عابرا يجتازه الى ما بعده .
أما من عاد إلى الذنب نفسه فهو لم يحكم مقام التوبة من البداية فليس معنى هذا أن مقام التوبة مستمر معه .

والآية ليس فيها معنى استصحاب التوبة . ما لم يتحقق ما يوجبها .
ثانيا : ان الاستشهاد بقوله تعالى ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ بتقسيم العباد الى تائب وظالم لا ثالث لهما . فهذا صحيح من حيث هو ولكن ليس فيه ما يدل على أن التائب هو كثير التوبة بل يصدق على المرء اسم تائب ولو تاب مرة واحدة ولم ينقض توبته . ومع هذا فان كثير التوبة يصح ان تكون توباته هذه من ذنوب متعددة اما حديث (فوالله انى لأتوب فى اليوم أكثر من سبعين مرة) فان التوبة هنا يحتمل انها بمعنى الاستغفار . فقد ورد نفس الحديث فى كتاب الزهد لابن حنبل بلفظ (إنى لاستغفر الله عز وجل وأتوب اليه كل يوم مائة مرة) (٢) .

(١) ابن القيم . مدارج السالكين ص ١٧٨ ج ١

(٢) احمد بن حنبل . كتاب الزهد ص ٧ .

فيمكن أن يكون معنى التوبة في الحديث الاستغفار. والاستغفار يجوز تكراره بالنسبة للذنب الواحد قدر المستطاع لأن حاصله طلب المغفرة وصاحبه لا يدري هل غفر له أولا؟.

أما التائب فأول ما يجب عليه في التوبة الاقلاع عن الذنب ثم الندم وعزم أن لا يعود. فتكرار التوبة عن ذنب واحد معناه انه لم يقلع عن ذلك الذنب. أي لم تصح توبته الأولى.

وإن قيل أن صاحب التوبة لا يعلم قبولها أيضا: فالجواب أن التائب غاية ما يملكه هو الاقلاع عن الذنب والندم عليه وعزم أن لا يعود. فان حقق ذلك صح له أن يطلب من الله قبول توبته تلك. لا أن يكرر التوبة نفسها.

هذا وبعد أن تبين لنا إمكان الرد على أصحاب هذا الرأي يمكننا أن نجتمع بين القولين السابقين من حيث الملاحظ الذي لحظه كل فريق فاختر له الحكم المناسب. فان التوبة كما تقدم تتكون من ثلاثة عناصر أولها الاقلاع عن الذنب والثاني الندم عليه والثالث عزم ان لا يعود.*

فمن لاحظ العنصر الأول في التوبة وهو الاقلاع عن الذنب أو العنصر الثالث وهو عزم أن لا يعود. قرر أن التوبة عن الذنب الواحد إن كملت لا تتكرر لما تقدم بيانه في النقاش السابق. ولأن العزم يكون مرة واحدة فإن بقي سلمت له التوبة وإن انفسخ وقع صاحبه في ذنب ثان عليه ان يتوب منه وليس من الذنب الأول ولا دليل على انفساخ العزم الا وقوعه في ذنب جديد.

أما من لاحظ العنصر الثاني وهو الندم على الذنب السابق فهذا له أن يقول: أن التوبة تصاحب المرء طول حياته إذ قد يستمر مع المرء عنصر الندم فيظهر عليه الانكسار والذل لله تعالى أكثر من غيره ويستمر ذلك معه طول حياته.

* يظن بعض الكتاب ان هذه العناصر الثلاثة هي شروط للتوبة وليست عناصر لها والراجح عندي أنها عناصر لأن الشرط لا يدخل ضمن الماهية أما العنصر فداخل ضمن الماهية والاقلاع عن الذنب والندم عليه وعزم أن لا يعود داخله في ماهية التوبة بحيث لا تتصور بدونها. المؤلف.

وهذا يمكن الجمع بين القولين . كما يمكن أن يقال أن استمرار مقام التوبة عند الشخص الواحد يحتمل أمرين . الأول : أن يبقى مستغرقاً في توبة واحدة عن ذنب واحد . والثاني : أن يتوب دائماً من كل ذنب يستجد له فلا يفتأ تائباً طول حياته . والراجع أن مقام التوبة مستمر وإن كانت كل توبة بعينها منفصلة عن الأخرى وذلك لأن ابن آدم لا يخلو من الذنب أو الغفلة أو التقصير في الواجبات . ولقد مدح الله تعالى من يكثر من التوبة من عباده فقال (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) (*) وليس معنى هذا أن الاستمرار في مقام التوبة يمنع الانتقال إلى المقامات الأخرى ، لأن مقام التوبة هنا معناه الاستعداد للتوبة من أى ذنب يستجد . وليس هو الاستغراق في توبة واحدة والانشغال بها عن غيرها من العبادات . .

(*) الآية ٢٢٢ من سورة البقرة .

هل التوبة تقتضي نسيان الذنب؟

للمصوفية بحوث في التوبة امتازوا بها في مصنفاتهم منها بحثهم في التوبة . هل تقتضي من التائب نسيان الذنب؟ أو دوام تذكره؟ .

قال أبو طالب المكي : (أما نسيان الذنوب وذكرها فقد اختلف قول العارفين في ذلك فقال بعضهم : حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينيك . وقال آخر : حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك) (١) .

وقد عرض لهذا البحث القشيري في رسالته فقال : (سمعت الجنيد يقول : دخلت على السري (*) يوما فرأيت متغيرا فقلت له : مالك؟ فقال : دخل علي شاب فسألني عن التوبة فقلت له : أن لاتنسى ذنبك فعارضني وقال : بل التوبة أن تنسى ذنبك . فقلت - والكلام للجنيد : إن الأمر عندي ما قال الشاب . قال : لم؟ قلت : لأنني إذا كنت في حالة الجفاء فنقلني إلى حال الوفاء فذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء فسكت) (٢) .

ونستنتج من هذه القصة أن الجنيد يرى أن العبد بعد أن يتوب من الذنب ويستقيم أمره مع الله حتى يغدق عليه من النعم والفضائل ويمنحه من درجات القرب والولاية ما يشاء فلا حاجة له بعد ذلك في ذكر الذنب لأنه كان عند ارتكابه ذنبه في حالة جفاء مع ربه . ثم تحول بعد التوبة إلى حالة الوفاء والقرب . فلا حاجة إلى ذكر الحال الأولى لأنها تعكر عليه ما هو فيه من لذة الحالة الثانية .

فذكر الذنب أو عدم ذكره متوقف على درجة قرب المذنب بعد توبته من ربه . فإن كان يحتمل أن يعود إلى الذنب مرة أخرى إذا نسي ذنبه وندمه عليه فهذا الأوفق في حقه أن لا ينسى ذنبه . حتى يشعر دائما بالتقصير في جانب الله وبالحجل من ذنوبه السابقة فلا يعود لمثلها .

(١) أبوطالب المكي . قوت القلوب ص ٣٧١ ج ١ .

(*) هو سري السقطي خال الجنيد بن محمد البغدادي .

(٢) القشيري . الرسالة ص ٧٩ .

وأما الذى انتقل إلى حياة الطاعة والتلذذ بها حتى شعر بالسعادة فيها . فالأوفق له أن يذكر ذنبه حتى لا يذكر ما يؤلم نفسه بشعوره بما كان منه حال ارتكابه للذنب . هذا ما أحسب أن الجنيد يريد من انتصاره لرأى الغلام في أن التوبة هي أن يسنى ذنبه . بدليل تعليله السابق لذلك الرأى بقوله : (لأنى إذا كنت في حالة الجفاء فتقلني إلى حال الوفاء فذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء) .

ولاشك أن هذا المعنى الذى يهدف إليه الجنيد صحيح ولكن ربما كان هناك تفسير آخر لمعنى قول الشاب (بل التوبة هي أن تنسى ذنبك) أدق من هذا الرأى الذى ذهب إليه الجنيد . وذلك أن ذكر الذنب ونسيانه ليس هو المراد هنا .

بل المراد هو الوقوف عند مقام التوبة والندم . وهو ما عبر عنه بذكر الذنب أو عدم الوقوف عند هذا المقام وتجاوزه إلى مقامات أخرى وهو ما عبر عنه بنسيان الذنب . وقد تقدم بحث هذا الموضوع من هذه الناحية في أول هذا الفصل .

ما يجب التوبة عنه

لقد جرى خلاف بين الصوفية وغيرهم في مسألة ما يجب التوبة عنه . فمن ذلك ما قد حدث من اختلاف بين بعض الصوفية وبين الشيخ ابن تيمية . فالصوفية يتوسعون فيما يجب التوبة عنه . كالتوبة من الغفلة والتوبة من رؤية الحسنات ونحو ذلك ، ورد في الرسالة القشيرية (تائب يتوب من الزلات ، وتائب يتوب من الغفلات وتائب يتوب من رؤية الحسنات)(١)

التوبة من الغفلة:

يرى الصوفية أن الغفلة مما يجب أن يتاب عنه . وذلك لما ورد من ذم الغفلة في مثل قوله تعالى (ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين)(*)
والتحقيق أن الغفلة ليست ذنباً مطلقاً . بل الغفلة غفلتين :

١ - غفلة الكافرين وهذه هي المذكورة في الآية السابقة وهي غفلة عن آيات الله تعالى التي تنادى بالايان به . وقد ورد ذكرها في عدد كبير من الآيات الدالة على أنها مختصة بالكافرين كقوله تعالى ﴿والذين هم عن آياتنا غافلون . أولئك مأواهم النار﴾(**)
وقوله تعالى ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾(***)
وقوله تعالى ﴿فاغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾(****)
فهذه كلها غفلة عن الايمان والعقيدة الصحيحة وهي كفر صريح .

٢ - غفلة المؤمنين . وهذه تدخل في عموم مافرع عن الامة من الخطأ والنسيان . وليس فيها إنكار ولا تكذيب بآيات الله فالتوبة منها ليست في درجة التوبة من الذنوب ، والكبائر .

(١) القشيري . الرسالة ص ٨٠

(*) الآية ١٤٦ من سورة الأعراف .

(**) الآية ٨،٧ من سورة يونس .

(***) الآية ٧ من سورة الروم .

(****) الآية ١٣٦ من سورة الأعراف .

وقد وردت آيات كثيرة تشير إلى أن الغفلة قد لا تكون ذنبا في حد ذاتها فمن ذلك قوله تعالى ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾ (*) ومنها قوله تعالى ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة﴾ (**). . . وقوله تعالى ﴿وان كنت من قبله لمن الغافلين﴾ (***) فهذه الآيات تدل على أن الغفلة ليست ذنبا في حد ذاتها إلا أن تكون غفلة مقصودة كما هي عند الكافرين فقول الصوفية بأن من درجات التوبة درجة هي التوبة من الغفلة فيه إشعار بأن الغفلة عند المؤمنين إلا أنها لا تعتبر من الذنوب إذا لم تكن غفلة مقصودة كما أسلفنا ولا شك أن التعبير عن يقظة المؤمن وحرصه على وقته بهذا الأسلوب هو تعبير مبالغ فيه .

الخلاصة

وخلاصة ما يقال في التوبة من الغفلة . أن الصوفية إن أرادوا بذلك اعتبار الغفلة من الذنوب التي يجب التوبة منها كالزنا وشرب الخمر وغير ذلك فهذا غير مسلم به . وإن أرادوا بذلك التعبير عن شدة حرص المؤمن على وقته وعدم تطرق الغفلة إليه حتى أنه يعتبر الغفلة كالذنب سواء بسواء - فهذا تعبير جميل على ما فيه من المبالغة .

(*) الآية ١٣١ سورة الانعام .

(**) الآية ٢٣ من سورة النور .

(***) الآية ٣ سورة يوسف .

التوبة من رؤية الحسنات

ربما يكون موضوع التوبة من رؤية الحسنات من الموضوعات التي لا تخطر ببال كثير من الناس. ولكن الصوفية لم يفهم التكلم في هذا الموضوع. بل لقد وجد في عهد الشيخ ابن تيمية من قال بالتوبة من الحسنات نفسها وليس من رؤيتها فقط. بدليل أن الشيخ ابن تيمية قال مبينا رأيه في هذا الموضوع:

(إن التوبة من الحسنات ضلال وجهل. بل قد يصل الأمر إلى حد الكفر وإن كانت الحسنة التي سيتوب عنها مما يعد تركه كفرا. كالإيمان والعبادات المفروضة)(١).

فهذا يدل على أنه وجد من يقول بهذا الرأي في عصر الشيخ. ولقد استطرد الشيخ بشيء من التعمق في هذا الموضوع فأجاز التوبة مما كان يظنه الظان من الحسنات وهو ليس كذلك.

وذلك على حد قول الشاعر:

إذا محاسني اللاتى أدل بها كانت ذنوبي فقل لى كيف أعتذر(٢)

وكذلك يقرر الشيخ ابن تيمية أن مما يتاب عنه في مجال الحسنات "ما يعده المرء حسنات له. وهو مقصر في فعله أو خائف من تقصيره في فعله إياها: كما جاء في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ وقد يبين الحديث معنى هذه الآية حين سألت السيدة عائشة أم المؤمنين (رضى) النبي ﷺ عنها قائلة: أهو الرجل يزنى ويسرق ويشرب الخمر ويخاف؟ فقال: لا يا بنت الصديق ولكنه الرجل يصلى، ويصوم، ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه(٣).

فمثل هذا يتوب مما يتوقعه من تقصير في تلك الحسنات. أو بعبارة أخرى يتوب من الحسنات التي يرى أنه كان مقصرا في ادائها على الوجه الأكمل.

(١) ابن تيمية. جامع الرسائل. رسالة التوبة ص ٢١٩

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(*) الآية ٦٠ من سورة المؤمنون.

(٣) ابن تيمية. جامع الرسائل ص ٢٥٦

وهذا شبيه بما تقدم من قوله بجواز التوبة مما كان يظنه الظان من الحسنات وهو ليس كذلك إلا أن الفرق بينهما واضح .

رأى الصوفية

سبق أن عرفنا أن الصوفية قالوا بأن من درجات التوبة : درجة عليها هي التوبة من رؤية الحسنات . وهذه عبارة دقيقة وجيدة يمكن أن يفهم منها أن التائب من رؤية الحسنات هو الذى يفعل الحسنات ولكنه لا يرى مع ذلك انه فعل شيئا بجانب ما هو واجب عليه تجاه مولاه من جهة وبسبب ما يلاحظه من توفيق الله عز وجل له لعمل ذلك على يديه فلا يرى لنفسه حقا في نسبة تلك الحسنات إليه .

فهذا كله حسن وواضح إلا أن الصوفية يتمسكون أيضا بعبارة تقول (ذنوب المقربين حسنات الأبرار) (١) . وهذه العبارة غير واضحة المعنى . وقد علق الشيخ ابن تيمية على هذه العبارة في كتبه فنبه أولا الى ان هذا اللفظ ليس محفوظا عن قوله حجة ، فلا هو مروي عن النبي ﷺ ولا عن أحد من سلف هذه الأمة وائمتها . ثم بين الشيخ أن هذه العبارة قد تحمل معنى صحيحا وقد تحمل معنى فاسدا . أما المعنى الصحيح فله وجهان . أحدهما : إن الأبرار يقتصرون على أداء الواجبات وترك المحرمات ، وهذا الاقتصار سيئة في طريق المقربين ومعنى كونه سيئة هو أن يخرج صاحبه عن مقام المقربين فيحرمه درجاتهم . (٢)

والثاني : إن العبد قد يؤمر بفعل يكون حسنا منه ، إما واجبا وإما مستحبا لأن ذلك مبلغ علمه وقدرته . ومن يكون أعلم منه وأقدر لا يؤمر بذلك بل يؤمر بما هو أعلى منه . فلو فعل هذا ما فعله الأول لكان ذلك سيئة . ومثل الشيخ ابن تيمية لذلك بمثال فقال : ان العامى يؤمر بمسألة العلماء والمأمورين على الاسلام بالرجوع اليهم بحسب قوة إدراكه . وان كان في ذلك تقليد هم .

(١) ابونصر السراج . اللمع ص ٦٨ .

(٢) ابن تيمية . جامع الرسائل ص ٢٥١ .

أما العلماء القادرون على معرفة الكتاب والسنة والاستدلال بها فلو تركوا ذلك واتوا بها يؤمر به العامي لكانوا سيئين بذلك (١).

ثم حذر الشيخ من المعنى الفاسد لهذه العبارة. وهو أن يظن الظان أن الحسنات التي أمر الله بها أمراً عاماً يدخل فيه الأبرار ويكون بالنسبة للمقربين من السيئات. كأن يظن أن الصلوات الخمس ومحبة الله ورسوله والتوكل عليه وإخلاص الدين له ونحو ذلك هي في حق المقربين من السيئات. فهذا قول فاسد غلا فيه قوم من الزنادقة المنافقين المنتسبين للعلماء والعباد. (٢)

هذا وإن في كلام الصوفية عبارات توهم أنهم يميزون التوبة من الحسنات فمن ذلك قول رويم بن أحمد عن التوبة أنها هي التوبة من التوبة. (٣)

هذا القول يتوجه إليه اعتراض الشيخ ابن تيمية السابق. لأن التوبة في حد ذاتها حسنة. فالتوبة من التوبة هي توبة من الحسنات.

ولكننا إذا نظرنا بامعان إلى عبارة رويم يمكن أن نفهم منها معنى صحيحاً فلا يكون كلامه من قبيل التوبة من الحسنات.

والمعنى الذي يمكن أن ينصرف إليه كلام رويم هو أن المقصود بالتوبة من التوبة هو التوبة مما يستوجب التوبة. لأن التوبة لا بد أن تكون مسبقة بالذنب الذي استوجبها. ويقاس هذا على مثل قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ فإن ظاهره النكير عليهم في الأمر بالبر. والأمر بالبر أمر حسن بل واجب شرعاً. إلا أنه لما اقترن به نسيان البر من قبلهم توجه النكير إلى أمرهم بالبر المقرون بنسيانهم أنفسهم منه.

فكذلك التوبة من التوبة المثال منها ترك الذنوب أصلاً حتى لا تكون توبة فهو كنفى الملزوم والمراد نفى لازمه. والمقصود أن لا يكون منه ذنب يستوجب التوبة أى طلب الله تعالى أن يعصمه من الذنوب حتى لا يضطر إلى التوبة.

(١) ابن تيمية. جامع الرسائل ص ٢٥٥.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) ابن نصر السراج. اللمع ص ٦٨.

هذا ما يمكن أن يفسر به كلام رويم إذا صرف إلى المعنى الجائز شرعا ولقد سبقنا الامام ابن القيم ببحث مسألة التوبة من التوبة المذكورة في كتابه مدارج السالكين . ولكنه لم يصل إلى معنى ترتاح إليه نفسه فيما يبدو وقال عن هذه الجملة السابقة انها من الجمل التي يراد بها حق وباطل ويكون مراد المتكلم بها حقا فيطلقه من غير تمييز. (١)

وبهذا يكون الامام ابن القيم قد رجح أن المراد بهذه العبارة هو المعنى الجائز شرعا وإن كان صاحبها قد أطلقها من غير توضيح كاف بحيث ترك فيها مجالا لتفهم على غير ذلك المعنى . وفي هذا تبرير كاف لما ذهبنا إليه من توضيح للمعنى الجائز شرعا لهذه العبارة والذي نرجو أن يكون هو المقصود فعلا منها فلا يكون هذا القول من قبيل التوبة من الحسنات .

ابن القيم . مدارج السالكين ص ٢٠٣ ج ١

تذييل

وقد لاحظ الامام ابن تيمية فى موضوع التوبة ملاحظات لطيفة منها ما يلى :

١- إن التوبة مقام يستحسبه المرء من أول ما يدخل فيه الى آخر عمره ولا بد منه لجميع الخلق . واستشهد على ذلك بقوله تعالى ﴿وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا .

ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيماً﴾ *

وقوله تعالى ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم﴾

١١٧ - التوبة . وبذلك استدل ابن تيمية على أن التوبة تشمل جميع الخلق من حيث الحاجة إليها ولم يستغن عنها نبي ولا ولي صالح (١) .

٢- إن من تاب عن ذنب غفر له الذنب فقط ولا يستلزم ذلك غفران ما لم يتب عنه من ذنوب غيره (٢) .

٣- انه قد يكون العبد بعد التوبة من الذنب خيرا منه قبل الذنب . بل لقد استشهد برأى طائفة من السلف قال ان منهم سعيد بن جبير حيث قالوا : ان العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار ، وان العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة . يعمل الحسنة فيعجب بها ويفتخر بها حتى تدخله النار . ويعمل السيئة فلا يزال خوفه منها وتوبته منها حتى تدخله الجنة (٣) .

(*) الآية ٧٣ من سورة الاحزاب .

(١) ابن تيمية مجموع الفتاوى ص ٦٨٨ ج ١١ .

(٢) ابن تيمية مجموع الفتاوى ص ٧٠٢ ج ١١ وايضا ص ٣٣٠ ج ١

(٣) ابن تيمية مجموع الفتاوى ص ٢٩٤ ج ١٠

الفصل السادس من الباب الثانى

الفصل السادس الذكر والسماع

مسألة الذكر

وتلكم الشيخ في مسألة (الذكر) أى ذكر الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار كما قال تعالى ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾* الآية . وقال أيضاً ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ . **

ولقد بين الشيخ فضل الذكر وما ورد فيه من ترغيب وروى حديث ابن عباس عن نبي الله موسى إنه سأل ربه أى عبادك أحب إليك يارب فقال الذى يذكرنى ولا ينسانى (١) .

ونقل الشيخ فى كتبه كثيراً من الأذكار الماثورة والتى كان يداوم هو على قراءتها عند النوم وغير ذلك . وافر الشيخ (الورد) (٢) وأوصى بالمحافظة عليه ولو أمام الناس . (٣) ولم يمنع الاجتماع للذكر فى مكان ما ووقت ما ولكنه فضل أن لا يكون هذا الاجتماع سنة راتبة معينة فى يوم مخصوص من السنة أو من الشهر ونحو ذلك لكى لا يشتبه الأمر فيظن أن ذلك مما شرع من العبادات المفروضة (٤) .

مسألة السماع

وتكلم الشيخ فى مسألة السماع ففرق بين السماع الذى ينتفع به فى الدين وبين ما يرخص فيه فقط رفعا للخرج كما فرق بين سماع المتقربين وسماع المتلعبين ومما قاله فى هذا المجال : (وأما السماع الذى شرعه الله لعباده ، وكان سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم يجتمعون عليه لصالح قلوبهم وزكاة نفوسهم فهو سماع آيات الله ،

(١) ابن تيمية . مجموع الفتاوى ص ٨٧ ج ١٠ .

(٢) هو جملة : من الأدعية أو كمية من الآيات يقرأها الشخص فى وقت محدد من كل يوم .

(٣) ابن تيمية . الفتاوى الكبرى ص ١١٧ ج ١ .

(٤) ابن تيمية . الفتاوى الكبرى ص ١٨٥ ج ١ .

(*) الآية ٣٥ الأحزاب . (**) ٤١ ، ٤٢ الأحزاب

وهو سماع النبيين والمؤمنين وأهل العلم وأهل المعرفة (١)

واستشهد الشيخ لذلك السماع بآيات وأحاديث كثيرة منها حديث في الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال له : اقرأ علي . قال اقرأ عليك وعليك أنزل ، قال إني أحب أن أسمع من غيري . فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت هذه الآية ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ .
فاذا عيناه تذرفان . (٢)

ولكن الشيخ أنكر على الصوفية الذين ابتدعوا السماع المصحوب بالتصفيق والصفير وتحرك الأجساد بالرقص ونحو ذلك ، وقال ان هذا كله يفعله المشركون عند البيت الحرام وهم المعنيون بقوله تعالى ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاءً وتصديدا ﴾ (٣) الآية .

وأنكر الشيخ ما رواه بعض الصوفية من أكاذيب تقول إنه ﷺ أنشده أعرابي شعرا فقال :

لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راق
إلا الحبيب الذي شغفت به فعنده رقيتي وترياقِي
وقولهم أن النبي ﷺ تواجد حتى سقطت البردة عن منكبيه . الخ . فكذب
الشيخ هذا الخبر أشد التكذيب . (٤)

(١) ابن تيمية . مجموعة الرسائل الكبرى ص ٢٩٥ ج ٢

(٢) ابن تيمية ، مجموعة الرسائل الكبرى ص ٢٩٧ ج ٢

(٣) المكاء هو الصفير والتصديد التصفيق بالأيدي .

(٤) ابن تيمية . مجموعة الرسائل الكبرى ص ٢٩٩ ج ٢

الفصل السابع من الباب الثانى

الفناء

الفصل السابع

الفناء عند الصوفية

تعريف الفناء لأبي بكر الكلاباذي

من الأمور التي اشتهرت عند الصوفية الفناء . ولقد عرفه الامام أبوبكر الكلاباذي بقوله (هو أن يفنى الشخص عن الحظوظ فلا يكون له في شيء حظ ويسقط عنه التميز شغلا بما فني به) (١) .

شرح التعريف

جاء في التعريف قوله (أن يفنى عن الحظوظ) ومعنى هذا أن يهمل حظوظه الشهوانية وما فيه متعة مادية كما هو المعتاد بين الناس انصرافا الى الله تعالى وهو لا يقصد من ذلك جر منفعة ولا دفع مضرة لذاتها وان كان عمله لا يخلو من حصول ذلك له فالخوف والطمع باقيان معه قائمان فيه غير منفيين عنه غير أنه يرغب في ثواب الله لموافقة الله تعالى لأن الله تعالى رغب فيه وأمر أن يسأل ذلك منه . ويخاف عقابه إجلالا له وموافقة له لأنه تعالى خوف عباده منه .

فخلاصة القول أن المريد ليترك حظوظه بمعنى أنه يقبل على جناب الله لمجرد الامتثال لامره ونهيه فهو يفعل لأن الله أمر، ويترك لأن الله نهى ، أما ما وراء ذلك من نجاة من عذاب أو متعة في ثواب فهو وإن كان حاصلًا ولا بد . لكن لا يأخذ ذلك في اعتباره ابتداء فليس العقاب والثواب هما الدافع له على الترك والفعل .

وليس هذا منه عفوا ولا اعتباطا وإنما لان شعوره بالمتعة واللذة في إقباله على جناب الله عز وجل وما يستتبع ذلك من نفحات إلهية تربو على شعوره باللذة بنعيم الثواب والضجر من أليم العقاب .

(١) أبوبكر الكلاباذي . التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٩٢ .

وهذا المعنى الذى ذكره صاحب كتاب التعرف معنى جليل استعصى على كثير من الكتاب فلم يستطيعوا توضيحه بمثل ما فعل الكلاباذي رحمه الله فالفاني هنا باقى على أوصاف المسلمين التى مدح الله تعالى من اتصف بها من الرغبة والرهبة كما قال تعالى ﴿يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا^٢ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ بخلاف من يدعي أن الرغبة والرهبة قد زالت عنه لفنائه عن حظوظ نفسه وغاية ما يكون من أمر الفاني عند الكلاباذي هو أنه لا يرغب في المرغوب إلا لأنه مما رغب الله فيه فهو يرغب لهذا السبب فقط ولا يهرب من المرهوب وهو العقاب إلا لأنه قد خوف الله منه فهو يرهبه لهذا السبب لا لغيره . وهذا فيما أحسب من أسمى المعاني في الاسلام .

أما معنى (زوال التمييز عنه) فيفسره علماء الصوفية أيضا بأن سقوط التمييز عنه هو أن تصير تصرفاته كلها موافقة للحق فلا يصرفه الحق الا في موافقاته فلا يشهد مخالفة من نفسه اطلاقا وبهذا تصير الأشياء كلها شيئا واحدا موافقا للحق فلا يحتاج للتمييز بينهما حينذاك . (١)

أما زوال التمييز بين الأمر والنهى أو بين الطاعة والمعصية فلا يقول به إلا ملحد فاجر أو معتوه لا تميز له أصلا . وليس هؤلاء من أصحاب الفناء الحقيقي (٢) وقد علل صاحب التعريف انصراف المريد عن حظوظه والاتجاه بكلية إلى جناب الحق غير ملتفت إلى ثواب ولا عقاب بانشغال المريد بجلال الله وجماله الذى وصل إليه بمقام الفناء .

فالفناء الحق هو الفناء عن شهود المخالفات والحركات بها قصدا وعزما والبقاء في شهود الموافقات والحركات بها قصدا وفعلا والفناء عن تعظيم ما سوى الله عز وجل والبقاء في تعظيم الله تعالى وحده لا شريك له (٣) .

(١) ابوبكر الكلاباذي . التعرف ص ٩٦ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ١٠٠

(٣) نفس المصدر السابق ص ٩٤ .

قول ابي حازم

ومن أروع ما قيل في شأن الفناء

ما الدنيا؟ أما ما مضى فأحلام . وأما ما بقي فامانى وغرور ..

(وما الشيطان حتى يهاب منه؟؟ ولقد اطيع فما نفع وعصي فما ضر) (١)

فقائل هذا الكلام قد فني عن قلبه تعظيم ما سوى الله فلا الدنيا عنده عظيمة كما يراها الناس لأنهم ينظرون اليها نظرة التعظيم والتأمل . ولا سلطان للشيطان عليه كما هو عند الناس لأنه يوقعهم في المعاصي والآثام من حيث لا يرون لأنفسهم قدرة على رد كيده أو دفع إغراءاته . أما هذا المتكلم فلا يقيم لاغراءات الشيطان وزنا لأنه يعلم حقيقة أمره إذ لا عظيم إلا الله عز وجل .

ومن ثم حفظه الله عن وسوسة الشيطان صدق الله العظيم حيث قال ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ (٢) . هذا ولعل فيما كتبناه في مفهوم الفناء عن الشيخ الكلاباذى ما فيه الكفاية لتوضيح مفهومه وابانة معناه .

وللصوفية عبارات مختلفة في هذا المعنى ، وكلها ترجع الى أن ينسى الانسان في الفناء كل شيء حتى نفسه .

وأدق وأشمل تصوير في هذا المعنى قول بعضهم : (أخذ منى أنا فبقيت أنا بلا أنا) (٣) ولعل صاحب هذا القول يريد أنه نزعت منه النفس الأمارة بالسوء وبقيت نفسه في جوهرها الصافي الطاهر التى فطر الله الناس عليها (كل مولود يولد على الفطرة) مجردة عن النفس الأمارة بالسوء التى التبست بها فيما بعد .

شواهد على مقام الفناء

وليس مقام الفناء أمرا خياليا ولا صورة وهمية . بل هو أمر واقع يشهد لذلك شهادة سافرة لا يعترها شك ولا مرأ . إن الشخص قد يعشق شيئا من الأشياء بحيث يستبد هذا الشيء بجميع مشاعره فلا يشعر بشيء سواه بل ينسى نفسه ولا يشعر بما يجرى

(١) المصدر السابق نفسه ص ٩٤ .

(٢) الآية ٤٢ سورة الحجر .

(٣) الامام الحجوى . الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي ص ٥١ ج ٣ .

فى جسده ونفسه بل يكون غافلا عن هذا غفلة تامة فهو فى هذه الحالة قد فنى عن كل شىء الا عن ذلك الشىء الذى عشقه وانجذب إليه .

ويؤيد ذلك تأييدا قويا ما جاء فى قصة يوسف عليه السلام مع النسوة قال تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ . ﴾ (١) ترى فى هذه القصة النسوة حين رأين يوسف عليه السلام ففنن عن كل شىء حتى عن أنفسهن وعن الاحساس بما يجرى لهن فى غمرة اللذة برؤيا يوسف التى اذهلتهن عن كل ما سواه .

ولقد وصل الأمر بهن الى أن قطعن ايديهن ولم يشعرن بأى ألم فى هذا . فإذا كان هذا يحصل فى عشق الخواث بعضها مع بعض فما بالك فى حب الله وهو لا يقاس بشىء أصلا .

(١) الآية ٣١ من سورة يوسف

درجات الفناء

يقول بعض الصوفية ان الفناء ثلاث درجات هي كما يلي :

الدرجة الأولى : فناؤه عن نفسه وصفاته ببقائه بصفات الحق وهو ما عبر عنه بعضهم باضمحلال ما دون الحق علما. (١)

الدرجة الثانية : فناؤه عن صفات الحق بشهوده الحق. وهو فناء العيان في المعاین. (٢)

الدرجة الثالثة : فناؤه عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق (٣) فلا يحس في فنائه بفنائه لعدم التفاته الى حاله وما هو فيه من فناء أو شهود وهذه هي أرقى درجات الفناء عندهم .

وهذه الدرجات الثلاث تعتمد على مدى تأثير الفناء على صاحبه ، وقد بالغ بعضهم في ذلك .

مسألة في اثار الفناء على الفاني

اختلف الناس في أن الفاني تذهب بشريته وآدميته بالفناء فيصير حقيقة أخرى كالمملكية مثلا . أو أن البشرية مازالت باقية وآدميته مازالت ثابتة . وكل ما زال بالفناء انها هو الصفات البشرية كحب المال وغيره على ما جاء في قول الله تعالى عن ذلك ﴿زِينِ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ . . الآية﴾ (٤) فالفناء إنها يذهب بتلك الصفات البشرية ، وإنما يبقى الانسان بالفضائل الانسانية .

ذهب إلى الرأي الأول فريق .

وذهب إلى الرأي الثاني آخرون .

(١) القشيري . الرسالة ص ٦٣ وقارن المنوفي . التمكين في شرح منازل السائرين . ص ٣٢٥ .

(٢) المصدرين السابقين .

(٣) المصدرين السابقين .

(٤) الآية ١٤ من سورة آل عمران .

والحق هو المذهب الثاني، أما المذهب الأول فبطلانه واضح لا يحتاج إلى دليل .
 فالأنبياء صلوات الله تعالى عليهم وهم أوفر الناس حظا في جميع المقامات العليا لم
 ينسلخ واحد منهم من آدميته وبشريته . قال تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا
 نوحى إليهم﴾ (١) وقال تعالى لرسوله ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾ (٢) الآية .
 أما القوم الذين غلطوا في فناء البشرية وسمعوا كلام المحققين في الفناء، فظنوا أنه فناء
 البشرية فوقعوا في الوسوسة : فمنهم من ترك الطعام والشراب، وتوهم أن البشرية،
 هي القالب والجثة اذا ضعفت زالت بشريتها فيجوز أن يكون موصوفها بصفات
 الالهية . ولم تحسن هذه الفرقة العمل ولا التفكير حتى نسبها كبار الصوفية الى الجهل
 والضلال فهذه الفرقة الجاهلية الضالة (كما يقول عنهم أبونصر السراج) لم تفرق بين
 البشرية وبين أخلاق البشرية . لأن البشرية لا تزول عن البشر، كما أن لون السواد
 لا يزول عن الأسود (٣) .

فالفناء إذا هو فناء الصفات البشرية لا البشرية ذاتها وكل من ظن أن البشرية تفنى
 أو أن الموجودات الكونية تفنى فهو خاطئ إذ الوجود باقى على ما هو عليه والفانى في
 المرء هو صفة العلم والملاحظة لهذا الوجود .

(١) الآية ١٠٩ من سورة يوسف .

(٢) الآية ٦ من سورة فصلت .

(٣) أبونصر السراج . اللمع ص ٥٤٣ .

الفناء في نظر ابن تيمية

لقد نظر ابن تيمية إلى الفناء عند الصوفية بنظرة خاصة متأملة واستطاع أن يميز العارف المصيب في كل ما يقوله عن الفناء من الضال المضل الذي يناقض في كل ما يقوله أو ينقله من الضلال مما يضل به غيره .

فالباحثون في مقام الفناء من الصوفية ينقسمون عند ابن تيمية الى ثلاثة أقسام .

القسم الأول

هم الذين يمتدحون الجنون والوله ويمتدحون أصحاب هذه الآفات من الناس بل يرونها أصحاب الفناء الحق ويعتقدون فيهم المعتقدات الباطلة ويصدقونهم في أمور يعلم العقل بطلانها قطعاً . (١)

وهؤلاء لا يعرفون ما هو الفناء وإنما هم أدعياء لا يقام لهم وزن عند المحققين .

القسم الثاني

هم الذين قد يحصل لهم صعق أو غشيان عند سماع القرآن ونحوه أو يصدر عنهم من الأقوال ما إذا صحى صاحبه عرف أنه غلط فيه . (١)

وسبب ذلك أنه قد يغيب بموجوده عن وجوده ، وبمشهوده عن شهوده وبمذكوره عن ذكره . . حتى يفنى من لم يكن (وهي المخلوقات) ويبقى من لم يزل وهو الرب فلا يشهد ولا يدرك شيئاً من المخلوقات . وإذا قوى هذا الأمر عليه قد يضعف الشخص في تمييزه حتى يظن انه هو من يجب . ومثال ذلك عند ابن تيمية أن رجلاً القى نفسه في اليم فالقى محبه نفسه خلفه . فقال المحبوب : أنا وقعت فما أوقعك أنت خلفي ؟ قال : غبت بك عني فظننت أنك أني (٢) .

فمن صدر عنه في هذه الأحوال قول غامض جاز تأويله بما يحتمله من المعنى الصحيح مثل قول من قال : (ما أرى غير الله) أو (لا أنظر إلى غير الله) . ونحو ذلك فمرادهم بذلك ما رأى ربا غير الله ، ولا خالفاً غيره ولا مدبراً غيره ولا إلهاً غيره .

(١) ابن تيمية . مجموع الفتاوى ص ٢٢١ ج ١٠

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٢١٩ ج ١٠

ولا أنظر إلى غيره محبة له أو خوفاً منه أو رجاء له . فان العين تنظر إلى ما يتعلق به القلب . فمن أحب شيئاً أو رجاء أو خافه التفت إليه .
وهذا في نظر الامام ابن تيمية هو التوحيد الخالص الحقيقي الذي لا يلتفت فيه لغير الله تعالى . لا حبا له ولا خوفاً منه ولا رجاء له . بل يكون القلب فارغاً من المخلوقات خالياً منها لا ينظر إليها إلا بنور الله . وبذلك يكون قد حقق معنى الحديث القدسي (كنت سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر .) فبالحق يسمع ، وبالحق يبصر وبالحق يبطش فيحب من الأمور ما يحبه الله ويبغض منها ما يبغضه الله . ويوالى منها ما والاه ويعادي منها ما عاداه (١) .

القسم الثالث

هم الذين حصل لهم الفناء وهم باقون في حالتهم الطبيعية العادية لم يغشهم ما غشي القسم الثاني من صرع الخ . ومثال هؤلاء كثير من الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم وكثير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم . وإنما حصل لهم مقام الفناء هذا دون أن يطرأ على شخصيتهم أى تغيير كما في القسم الثاني لأن هؤلاء أكمل وأثبت وأقوى في الأحوال الایمانية .

والامام ابن تيمية يريد أن يقول أن الفناء انوار على الأنبياء وكثير من الصحابة لا يغير أحوالهم ولا تعثرهم بسببه تغيرات كما في القسم الثاني لأن إيمانهم بالله تعالى وبما يجب الايمان به ايمان قوى جداً بحيث إذا طرأ عليهم مقام الفناء لم يزد إيمانهم شيئاً ولم يحصل لهم حال جديد فليس هناك سبب يستوجب التغير . بل ايمانهم بعد الفناء كمايمانهم قبل الفناء ، فلم يطرأ عليهم ما يوجب التغير في نفوسهم بخلاف الانسان العادي فان ايمانه ليس في مستوى ايمان الأنبياء والصحابة فاذا طرأ عليهم مقام الفناء حدث لهم صور من الايمان قوية جداً لم تكن لهم قبل مقام الفناء ومن أجل هذا يصابون بشيء من الصرع الخ .

تقسيم آخر للفناء عند ابن تيمية

تقدم أن ابن تيمية قد قسم الفناء عند الصوفية إلى ثلاثة أقسام كما سبق بيانه ولكن الامام ابن تيمية نظر إلى الفناء نظرة خاصة من ناحية موضوعه فقسمه أيضا إلى ثلاثة أنواع .

النوع الأول : الفناء عن ارادة ما سوى الله . وفسر هذا النوع بأنه هو أن لا يحب إلا الله ولا يعبد إلا الله ولا يتوكل إلى على الله ولا يطلب غير الله وهو المعنى الذى يجب أن يقصد بقول الشيخ ابي يزيد حيث قال : أريد أن لا أريد إلا ما يريد . (١)

وهذا النوع هو أول الاسلام وآخره ، وباطن الدين وظاهره . كما يقرر ذلك شيخ الاسلام . وهذا هو ما نطق به القرآن فى قوله تعالى ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ وهو معنى قوله تعالى ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾* أى سليم مما سوى عبادة الله . أو مما سوى إرادة الله . أو مما سوى محبة الله وكل ذلك حق .

النوع الثانى : الفناء عن شهود سوى . وهذا النوع هو النوع الذى يحصل للسالكين الذين تقدم ذكرهم ممن يغيبون بموجودهم عن وجودهم وبمشهودهم عن شهودهم الخ وهم بذلك يشبهون ما حدث لأم موسى عليه السلام حيث قال الله عنها ﴿واصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها﴾**

الآية . أى فارغا من كل شيء إلا من ذكر موسى .

ولقد بين ابن تيمية ان هذا النوع من الفناء ، قد زل فيه أقوام وظنوا أنه اتحاد أو حلول . وهذا غلط وسوء فهم لأن الفانى عند هؤلاء هو شهودهم لأذواقهم كما أن المتحد فى هذه الحالة هو المراد والمحبوب والمكروه لكل منهما فيتفقان فى نوع الارادة والكراهية فيحب هذا ما يحب هذا ويبغض هذا ما يبغض هذا . لا أن ذواتهم تتحد . ولا يفهم هذا المعنى الدقيق إلا من أنار الله بصيرته .

(١) ابن تيمية . مجموع الفتاوى ص ٢١٨ ج ١٠

(*) الآية ٨٩ سورة الشعراء .

(**) الآية ١٠ سورة القصص .

ومع هذا فان ابن تيمية يرى أن النوع الأول من الفناء أكمل من هذا النوع الثاني لأن ذلك فناء عن الارادة وهذا فناء عن الشهادة . بل ذاك فناء عن عبادة الغير والتوكل عليه . وهذا فناء عن العلم بالغير والنظر اليه . فهذا الفناء فيه نقص في نظر ابن تيمية لأن غايته هو شهود وجود الرب أو صفة من صفاته أو اسم من أسمائه والفناء بذلك عن شهود ما سوى الله ، أما الأول فأكمل منه لأنه هو شهود الرب مدبرا للعباد . آمرا بشرائعه . (١)

النوع الثالث : الفناء عن وجود السوى .

وهذا الفناء هو فناء الملاحدة الذين يزعمون فيه انهم يتحققون فيه أنه لا موجود إلا الله وان هذا الكون هو الله لا غيره ولا سواه . ومحل نقاش هذا الباطل عند مناقشة أصحاب وحدة الوجود من الصوفية .

هذه هى الأقسام الثلاثة للفناء في التقسيم الثاني عند الشيخ ابن تيمية ولكن قد يقال : ما الفرق بين التقسيم الأول والتقسيم الثاني هنا؟ . نقول : الفرق بينهما واضح . فإن التقسيم الأول ملاحظة فيه آثار الفناء . والتقسيم الثاني ملاحظ فيه حقيقة الفناء والله أعلم .

(١) المصدر نفسه ص ٣٣٨ ج ١٠ بتصرف .

الفصل الثامن من الباب الثاني

الطول والاتحاد ووحدة الوجود

الفصل الثامن

الحلول والاتحاد ووحدة الوجود

زعمت طوائف من البشر الاتحاد بين الخالق والمخلوقات، أو حلوله فيها. كما انغمس كثير من المتسبين للتصوف في القول بالاتحاد. ووحدة الوجود والحلول ويعنينا هنا أمران :

الأول : إبطال هذه المذاهب الفاسدة بالعقل والشرع، وبيان العقيدة الإسلامية الصحيحة في هذه البحوث.

الثاني : إثبات أخطاء من قال من الصوفية بالحلول أو الاتحاد، وتأييد رد ابن تيمية عليهم في ذلك.

القائلون بالحلول

لقد تحدث كل من سعد الدين التفتازاني، والامام ابن تيمية عن أقسام القائلين بالحلول من البشر. قال سعد الدين : (الاحتمالات التي تذهب اليها أوهام المخالفين في هذا الأصل - أي تنزيه المولى عز وجل - ثمانية. حلول ذات الواجب أو صفته في بدن الانسان أو روحه وكذا الاتحاد والمخالفون منهم نصارى ومنهم متممون الى الاسلام)(١).

فلاحتمالات التي يمكن أن يقول بها الملاحدة كما تخيلها السعد كما يلي :

أولاً : أن يقول قائل بحلول ذات الواجب في بدن الانسان.

ثانياً : أن يقول قائل بحلول ذات الواجب في روح الانسان.

ثالثاً : أن يقول قائل باتحاد ذات الواجب في بدن الانسان.

(١) سعد الدين التفتازاني. شرح المقاصد ص ٦٩ ج ٢.

- رابعاً : أن يقول قائل باتحاد ذات الواجب في روح الانسان .
 خامساً : أن يقول قائل بحلول صفات الواجب في بدن الانسان .
 سادساً : أن يقول قائل بحلول صفات الواجب في روح الانسان .
 سابعاً : أن يقول قائل باتحاد صفات الواجب في بدن الانسان .
 ثامناً : أن يقول قائل باتحاد صفات الواجب في روح الانسان .

وكل هذه الصور سيأتي بيان بطلانها عقلاً وشرعاً .

أما تقسيم الامام ابن تيمية فكما يلي :

- القسم الأول : القائلون بالحلول الخاص . وهو حلول اللاهوت في الناسوت .
 القسم الثاني : القائلون بالاتحاد الخاص . . ويقولون ان اللاهوت والناسوت اختلطا وامتزجا كاختلاط اللبن بالماء .
 القسم الثالث : القائلون بالحلول العام . . الذين يقولون ان الله بذاته في كل مكان .
 القسم الرابع : القائلون بالاتحاد العام وهو قول الملاحدة الذين يزعمون انه عين وجود الكائنات .

ولا تناقض فيما يبدو بين ما ذكره السعد وما ذكره الامام ابن تيمية من التقسيم فإن السعد لاحظ في ذكر الأقسام التنزيه كعقيدة . سواء كان هناك من يقول بخلافها أو لا . أما ابن تيمية فقد لاحظ في تقسيمه هذا الحالة الواقعية .

ابطال كل صور الحلول والاتحاد عقلاً

بطلان الاتحاد

لو اتحد شيء بآخر فان الاحتمالات الفعلية التي لا مفر من وجود أحدها بعد الاتحاد كما يلي :-

- ١- أن يفنى الشيطان المتحدان بعد الاتحاد ويزولا . فلا اتحاد حينئذ .
- ٢- أن يبقى الشيطان المتحدان بعد الاتحاد موجودين بذاتيهما فلا اتحاد أيضاً .

٣- أن يزول واحد من الشئين ويبقى واحد . وهذا لا يقال عنه اتحاد .

٤- أن يزول كل واحد منهما ويظهر شيء جديد . فان كان هذا الشيء الجديد غير الشئين السابقين فلا اتحاد أيضا لبقاء الشئين بعينهما وان اجتمعا في شيء واحد فيقال اجتمعا ولا يقال اتحدا .

فاتحاد شيء بشيء باطل مطلقا سواء كان الشئان ممكنين أو واجبين ، أو ممكننا وواجبا .

بل يمتاز بطلان اتحاد الممكن بالواجب بدليل آخر قوى . هو أنه إذا اتحد الواجب بالممكن وقد بقي الواجب على وجوبه والممكن على امكانه اجتمع الوجوب والامكان في شيء واحد . وهو محال عقلا . وإن زال وجوب الواجب أو إمكان الممكن صار الواجب ممكننا بالاتحاد ، أو الممكن واجبا . وهذا محال عقلاً أيضاً .

بطلان الحلول

الحلول باطل من وجوه متعددة تقتصر منها على وجهين :

الوجه الأول : ان الحلول هو استقرار الحال في المحل بأى نحو من أنحاء الاستقرار ، سواء كان استقرار جسم في مكان أو عرض في جوهر أو صورة في مادة . أو امتزاج شيء بآخر وسريانه فيه كالماء في العود الأخضر والنار في الهشيم .

هذا الحلول بكل هذه المعاني لا يجوز على الواجب قطعاً . فانه من عوارض الماديات . والواجب ليس بهادى . بل متنزه عن المادة وعوارضها وان قيل بحلول المجردات عن المادة كحلول الصفة في موصوف . يقال في الجواب . والله عز وجل منزّه عن الاحتياج بل هو محال عليه عز وجل فهو الغنى بذاته عن كل ما سواه .

وإن قيل ان الجسم قد يحل في محل مع استغنائه عن خصوص ذلك المحل يحاج على ذلك بأن الجسم إذا كان مستغنيا عن محل بعينه فهو محتاج إلى مطلق محل . فلا مناص إذا من الاحتياج والاحتياج محال على الله عز وجل .

الوجه الثاني : إذا كان الحال محتاجا إلى المحل بذاته لزم إمكان ذلك الحال . وإن كان غير محتاج لذلك امتنع حلوله .

فإن قيل : قد يكون غير محتاج بذاته إلى المحل ولكن يعرض له الاحتياج أحيانا يجاب على ذلك بأنه إذا لم يكن محتاجا بذاته فلا يمكن أن يعرض له الاحتياج بالغير حتى يصح حلوله . بمعنى أنه إذا كان مستغنيا بذاته عن المحل فلا يمكن أن يتوقف استغناؤه مرة فيعرض له من الخارج الاحتياج إلى المحل لأن ما بالذات لا يختلف .

وبعد . فكما استحال الاتحاد والحلول على ذات الله تعالى ، فكذلك يستحيل اتحاد صفاته أو حلولها في شيء من صفات المخلوقين أو ذواتهم لنفس الأسباب التي تقدم ذكرها . فإن اتحاد الصفات وحلولها في غير صاحبها أولى بالاستحالة من غيره . إذ لا يعقل انتقال صفة شيء عن ذاته وتلبسها بعينها في شيء آخر . فإن افترض انتقالها لم تبق من صفات الأول لانتقالها عنه . فلا يقال حلت صفته في آخر .

القائلون بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود من المتصوفة

ورد ابن تيمية عليهم

زعم بعض الصوفية ان الواحد منهم قد يصل إلى مرحلة ينكشف له فيها أن الحق هو الخلق والخلق هو الحق. ولا فرق بينهما مطلقا. بل لا اثنينية، فالكثرة متوهمة والحقيقة واحدة.

ولقد عبر كل منهم بأسلوبه عن هذه الفرية العظيمة مدعين أنهم يكشفون للناس أسراراً عظيمة لا يجوز البوح بها الا لمن هم في منزلتهم من المعرفة المزعومة. وقد قال بعضهم بمثل كلام الحلولية الذين يرون ان الذات الالهية تحل أو تتحد ببدن الانسان أو روحه حيناً وتفارقه حيناً آخر، وقال بعضهم بأكثر من ذلك بكثير.

ابن الفارض

من القائلين بالاتحاد والحلول (عمر بن الفارض المتوفى عام ٦٣٢هـ) وذلك في قصائده المشهورة في ديوان شعره. ومن أشهر قصائده التي صرح فيها بمذهبه هذا قصيدته الثابتة الكبرى المسماة (نظم السلوك)* فقد بين فيها عبارات واضحة لا لبس ولا غموض فيها فكرته التي منها استمد هذا المذهب وعليها بنى هذا القول (الفاصد).

فقد بدأها بذكر حالته النفسية المتلهفة للقاء المحبوبة - ويقصد بها الذات الالهية - فيقول (١)

سقتني حميا الحب راحة مقلتي وكأسي محيا من عن الحسن جلت

ثم يتصور انه قد اقترب منها في مرحلة قبل الاتحاد فيقول: (٢)

* قال د. محمد مصطفى حلمي في كتابه عن ابن الفارض (انتهينا الى أنه لا سبيل الى الشك في أن الثابتة الكبرى قصيدة صوفية حقا وان الذي يهتف به الشاعر فيها ليس حبا انسانيا). د. محمد مصطفى حلمي ابن الفارض والحب الالهى ص ٩٤.

(١) الديوان ص ٢٤ السطر ١٥

(٢) المصدر نفسه ص ٣٤ السطر ٣، ٤.

يرأها على بعد عن العين مسمعي بطيف ملام زائر حين يقظتي
 فيغبط طرفي مسمعي عند ذكرها وتحسد ما افتته مني بقيتي
 ويقول أيضا: (١)

يرأها امامي في صلاتي ناظري ويشهدني قلبي أمام ائمتي
 ولا غرو ان صلى الامام الي ان ثوت في فؤادي وهي قبلة قبلتي

وبعد هذا يتوهم انه أصبح بالتدرج هو نفس محبته حتى أن صلاته لم تكن الا
 له فيقول: (٢)

لها صلواتي بالمقام أقيمها واشهد فيها انها لي صلت
 كلانا مصل واحد ساجد الى حقيقته بالجمع في كل سجدة

فيعزي ذلك الحلول الذي توهمه الى فكرة الجمع لدى الصوفية ومعناها عندهم
 شهود الأشياء بالله والتبري من الحول والقوة. (٣) وقد استغلها ابن الفارض في تصوير
 حالة الاختلال في التصور التي حصلت عنده حتى قال ذلك إلى أن قال: (٤)
 وما كان لي صلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري في ادا كل ركعة

فلما وجد نفسه قد انزلق الى هاوية الحلول بهذه الفكرة أخذ يبرر ذلك بقصة العهد
 الذي أخذه الله على بني آدم وهم في عالم الذر الواردة في الآية الكريمة ﴿وإذ أخذ ربك
 من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى
 شهدنا﴾ الآية*. فظن أن حالته هذه شبيهة بتلك الحالة وان له فيها عذر فقال: (٥)

(١) المصدر نفسه والصفحة السطر ٦.

(٢) الديوان ص ٣٤ السطرين ٩، ١٠.

(٣) الجرجاني. التعريفات ص ٦٨.

(٤) الديوان ص ٣٤ السطر ١١.

(*) الآية ١٧٢ من سورة الأعراف.

(٥) الديوان ص ٣٤ السطر ١٣، ١٤، ١٥.

منحت ولاها يوم لا يوم قبل ان بدت عند اخذ العهد في اوليتي
فملت ولاها لا بسمع وناظر ولا باكتساب واجتلاب جبلة
وهمت بها في عالم الأمر حيث لا ظهور وكانت نشوتي قبل نشأتي

ثم يبين أنه في حالته الأخيرة أيضا حصل له ما كان عليه قبل النشأة الأولى
فقال: (١)

فأفنى الهوى ما لم يكن ثم باقيا هنا من صفات بيننا فاضمحلت
فالفيت ما القيت عني صادرا الي ومني واردا بمزيدتي

فأين معنى الآية الكريمة من هذه الأقوال والمعاني الفاسدة في مذهبه في الاتحاد
هذا وقد سبق أن بين لنا شيخ الاسلام ابن تيمية في بحث الفناء ان من الصوفية من
اختلف عليه الأمر في فناء الشهود حتى ظن أن الشاهد هو المشهود والمحب هو
المحبوب، وذلك حين اتحد المحبوب والمراد هنا منها وقد قرر ابن الفارض هذا الأمر
بقوله: (٢)

وكنت بها صبا فلما تركت ما اريد ارادتي لها واحبت
فصرت حبيبا بل محبا لنفسه وليس كقول مر نفسي حبيتي

ثم قال بعد ذلك: (٣)

وها انا ابدى في اتحادي مبدئي وانهي انتهائي في تواضع رفعتي

إلى أن قال: (٤)

فوصفي اذا لم ندع باثنين وصفها وهيئتها اذا واحد نحن هيأتي
فان دعيت كنت المجيب وان اكن منادى اجابت من دعاني ولبت

ثم أراد أن يؤكد مذهبه هذا ويوضحه أكثر من ذي قبل وكأنه شعر انه مازال غامضا

(١) المصدر نفسه والصفحة السطر ١٦ .

(٢) الديوان ص ٣٧ السطر ١٦ ، ١٧ .

(٣) المصدر نفسه ص ٣٨ السطر ٣ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة السطر ٩ ، ١٠ .

فيما مر من أبيات فقال : (١)

فان لم يجوز رؤية اثنين واحدا
سأجلو اشارات عليك خفية
حجاك ولم يثبت لبعده تثبت
بها كعبارات لديك جليلة

وقال أيضا : (٢)

واثبت بالبرهان قولي ضاربا
مقال محق والحقيقة عمدتي

ثم قال : (٣)

وما شان هذا الشأن منك سوى السوى
ودعواه حقا عنك ان تمح تثبت

أي ما منعك من هذا الشأن الذي حصل لي وذكرته فيما سبق من أبيات غير أن
تعتقد بالسوى أي بموجود سوى الله عز وجل فان محيت هذا السوى ثبت لك ما
شرحت لك من شأن مثل ما ثبت لي . ثم يقول : (٤)

كذا كنت حينما قبل ان يكشف الغطا
من اللبس لا انفك عن ثنوية

أي وقد كنت أنا قبلك أيها القارئ أعتمد بالسوى الذي يوجب الاثنينية والغيرية
بحيث يكون المحب غير المحبوب فالمحب والمحبوب اثنان بلا شك .

ولقد ثبت أن ابن الفارض لا يرضى أن يكون مذهبه مقتصرًا على فكرة الحلول
فقط وإن كان يستشهد بالحلول على صحة ما يذهب إليه في مذهب الاتحاد الذي تبناه
فهو يقول مثلاً :

وها دحية وافى الامين نبينا
أجبريل قل لي كان دحية إذ بدا
بصورته في بدء وحي النبوة
لمهدى الهدى في هيئة بشرية
بما هية المرئي من غير مرية
وفى علمه عن حاضرة مزية

(١) المصدر نفسه والصفحة السطر ١٣ ، ١٤ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة السطر ١٥ .

(٣) المصدر نفسه ص ٣٩ السطر ٦ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة السطر ٧ .

يرى ملكا يوحى اليه وغيره يرى رجلا يدعى لديه بصحة
ولي من أتم الروتين إشارة تنزه عن رأى الحلول عقيدتي

أي أنه أراد أن يقرب مذهبه في الاتحاد بما حصل من أمر جبريل وظهوره في صورة
دحية الكلبي بمعنى أنه لا يمتنع ظهور الروحاني في الجسماني وهو الجسم الذي شابه
جسم دحية الكلبي رضى الله عنه .

غير أن هذه الحالة فيها مراثيات متعددة فالنبي ﷺ كان يشهد في هذه الصورة
جبريل الحقيقي ، والصحابة ما كانوا يشهدون إلا ذلك المظهر المادى . فهنا رؤيتان
ومرئيان .

وإذا قد ثبت بهذا جواز ظهور الروحاني في الجسماني ، ولما اطمأن ابن الفارض إلى
ذلك أراد أن يصعد بمذهبه عن هذه الصورة . فقال : الأمر عندى مع الذات الالهية
إنها لم تظهر في شخص لأن الظهور في شخصى يقتضى اثنيثية حال ومحل . وليس
الأمر كذلك بل اناهي وهي أنا . كما قال : ولي من أتم الرؤيتين إشارة تنزه عن رأى
الحلول عقيدتي فان معناه انه ليس هناك حلول كما في قصة جبريل بل تنزه عن ذلك
الحلول وترقى في مذهبه إلى مرتبة الاتحاد . فلا حال ولا محل بل هو هي وهي هو . ومن
العجيب أن بعض الفقهاء قد رجع عن إنكاره على ابن الفارض حين سمع أبياته
الشعرية التى ينفى فيها الحلول عن نفسه - كما تحكى ذلك بعض الروايات (١) ولم
يعلم هؤلاء أن ابن الفارض حين نزه نفسه عن الحلول إنما كان ذلك لسبب استصغاره
واستحقاره له بجانب ما اعتقده هو من مذهب الاتحاد العام الذى افتخر به وذكره في
كل قصيدته وهذه مختارات من أقواله تثبت ذلك .

يقول ابن الفارض :

بها قيس لبنى هام بل كل عاشق كمجنون ليلى أو كثير عزة
ويقول :

وما ذاك إلا ان بدت بمظاهر فظنوا سواها وهي فيها تجلت

(١) انظر قصة رجوع القاضى (عبدالرحمن بن بنت الاعن) عن انكاره على ابن الفارض حين سمع أبياته التى نزه فيها
نفسه عن الحلول . د . محمد مصطفى حلمى ابن الفارض والحب الالهى ص ١١٧ .

ويقول:

ففي النشأة الأولى تراءت لآدم
فهام بها كيما يكون بها أبا
وكان ابتدا حب المظاهر بعضها
وما برحت تبدو وتخفى لعل
وتظهر للعشاق في كل مظهر
ففي مرة لبنى وأخرى بثينة
ولسن سواها لا ولاكن غيرها

بمظهر حرا قبل حكم الامومة
ويظهر بالزوجين حكم البنوة
لبعض ولا ضد يصد ببغضه
على حسب الأوقات في كل حقبة
من اللبس في أشكال حسن بديعة
وأونة تدعى بعزة عزت
وما أن لها في حسنها من شريكة

ثم يقول:

كذاك بحكم الاتحاد بحسنها
بدوت لها في كل صب متم
وليسوا بغيري في الهوى لتقدم
وما القوم غيري في هواها وإنما
ففي مرة قيسا وأخرى كثيرا

كما لي بدت في غيرها وتزيت
بأى بديع حسنه وبأية
علي لسبق في الليالى القديمة
ظهرت لهم لللبس في كل هيئة
وأونة أبدو جميل بثينة

الى أن يقول:

أسام بها كنت المسمى حقيقة
ومازلت إياها وإياي لم تزل
وليس معي في الملك شيء سوى وال

وكنت لي البادى بنفس تخفت
ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت
معية لم تخطر على المعيتي

رأى الامام ابن تيمية في ابن الفارض:

لقد تكلم شيخ الاسلام ابن تيمية في أصحاب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود من
الصوفية فعد من بينهم (ابن الفارض) في أكثر من رسالة. (١)

(١) انظر مثلا: رسالة الرد على ابن عربي والصوفية ص ٤١ ط ٢٣٦٨ ضمن مجموعة رسائل له على نفقة محمد نصيف.
وايضاً: ص ٧٤ من رسالته (شرح العقيدة الاصفهانية) ضمن مجموع الفتاوى الكبرى (المصرية) ج ٥ وغيرها.

وقال انهم أسوأ حالا وأفسد مقالا بمن يقول بالحللول الخاص أو المقيد مثل النصارى الذين يقولون بحلول الذات الالهية في عيسى عليه السلام ونحوهم أما هؤلاء فيرون انه حال في كل شيء حلولا مطلقا. ومن ضمنهم ابن الفارض ولقد ناقش الشيخ ابن تيمية (ابن الفارض) في بعض أبيات التائية الكبرى، مثل قوله مستشهدا على صحة مذهبه في الاتحاد:

وشاهد إذا استجلبت ذاتك ما ترى بغير مرء في المرآة الصقيلة (١)
أغيرك فيها لاح أم أنت ناظر إليك بها عند انعكاس الأشعة

فقال: (لو قدر أن الانسان يرى نفسه في المرآة فالمرآة خارجة عن نفسه فرأى نفسه أو مثال نفسه في غيره. والكون عندهم ليس فيه غير ولا سوى فليس هناك مظهر مغاير للظاهر ولا مرآة مغايرة للرأى).

وهم يقولون: أن الكون مظاهر الحق فان قالوا: أن المظاهر غير الظاهر لزم التعدد وبطلت الوحدة، وإن قالوا المظاهر هي الظاهر لم يكن قد ظهر شيء لشيء وكان قوله: وشاهد إذا استجلبت نفسك أن ترى... إلخ. كلاما متناقضا لأن هنا مخاطبا ومخاطبا ومرآة تستجلى فيها الذات فهذه ثلاثة أعيان فان كان الوجود واحدا بالعين بطل هذا الكلام وكل كلمة يقولونها تنقض أصلهم (٢).

والحقيقة أن ابن الفارض يتناقض كثيرا في كلامه كما سبق بيان ذلك فيما استعرضناه له من أبيات فهو يصرح بالحللول والاتحاد وانه هو مذهبه ومذهب الفرقة الناجية في نظره.

الحلاج:

لقد اشتهر عند الفقهاء وعند بعض الصوفية ان (الحسين بن منصور الحلاج) المتوفى عام ٣٠٩ من الزنادقة ومن يتعاطى السحر والشعوذة فقتل بالعراق وقد أثنى عنه

(١) مذكورة في الديوان ص ٦٧ السطر ١ بلفظ (نفسك) بدلا من (ذاتك) ولفظ (الرأى) بدلا من المرآة.

(٢) ابن تيمية مجموعة الرسائل والمسائل ص ٨٧ ج ١.

من الشعر الذي يصرح فيه بالكفر ومن النثر كذلك شيء كثير فمن ذلك قوله : (١)
 ألا أببلغ أحبائي بأني ركب البحر وانكسر السفينة
 على دين الصليب يكون موتي ولا البطحا أريد ولا المدينة

ومثل قوله : (٢)

قد تصبرت وهل يصبر قلبي عن فؤادي
 مازجت بروحك روحي في دنو وبعاد
 فأنا أنت كما انه لك اني ومرادي

ومن أقواله أيضا :

سبحان من أظهر ناسوته سرسنا لاهوته الثاقب
 ثم بدا في خلقه ظاهرا في صورة الأكل والشارب
 حتى لقد عاينه خلقه كلحظة الحاجب بالحاجب

وغير هذا كثير لا يحتاج إلى نقاش أو تأويل لأن التأويلات التي قيلت في هذا الشأن تدل على محاولة يائسة لتبرير موقفه وتصحيح معتقده الفاسد مع أنه اعترف بنفسه على نفسه ولم ينف ذلك عن نفسه حتى حكم الفقهاء بقتله وقتل . فيكون التبرير لموقفه تخطئه للفقهاء والعلماء الافاضل الذين قتلوه وتجريم لهم . وبهذا تنقلب القضية فيبرأ المذنب الأثم ويخطأ علماء الشريعة . ونذكر من التبريرات الفاسدة مثلا :

جاء في كتاب (أخبار الحلاج) في الهامش قوله : (قال عبد الوهاب الشعراني) في كتاب لطائف المنن (وقد كان الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله تعالى عنه يقول أكره من الفقهاء قولهم بكفر الحلاج . . وما نقل عنه يصح تأويله نحو قوله :

(على دين الصليب يكون موتي)! ومراده أنه يموت على دين نفسه فانه هو الصليب؟! وكأنه قال : أنا أموت على دين الاسلام وأشار إلى أنه يموت مصلوبا

(١) أنظر أخبار الحلاج ص ٦٠ مع كتابه (الطواسين) ط مكتبة الجندى بمصر عام ١٩٧٠

(٢) المصدر نفسه ص ١٣٠ من كتابه (الطواسين) .

وكذلك كان(١).

والذى يتمعن في هذا التبرير المذكور يجد انه غاية في الركاكة والفساد فإن الحلاج قد صرح بالكفر في كثير من أقواله وأشعاره وليس الكفر مقتصرًا على هذه العبارة حتى يجرى المبرر وراء معانيها المحتملة والبعيدة الاحتمال فإن قوله أنه أراد أنه يموت على دين نفسه لأنه هو الصليب، فيه إدعاء أنه علم الغيب وأنه سيموت مصلوبا فلا شك أن الغيب لا يعلمه إلا الله وان هذا التأويل فيه بعد عن الحقيقة والواقع وما يفهم من كلامه إلى حد كبير.

ثم انه لا يصح أن يعبر عمن مات مصلوبا بانه مات على دين الصليب فإن دين الصليب كلمة واضحة عرفها الناس جميعا ان مدلولها ومفهومها هو دين الذين يعبدون الصليب ويعتبرون تمجيده شعيرة من شعائر دينهم.

ثم إذا كان المراد ما ذكره المؤول فما معنى الشطر الثانى (ولا البطحا أريد ولا المدينة) ألا ترى أن الشطر الثانى ينادى بأن المراد بدين الصليب هو دين النصارى بقرينة مقابله بدين البطحاء والمدينة وهو دين الاسلام.

رأى الامام ابن تيمية فى الحلاج :

لقد تكلم الامام ابن تيمية عن الحلاج فى كل رسائله التى رد فيها على أصحاب الحلول والاتحاد ووحدة الوجود بالاضافة إلى أنه ألف فيه رسالة خاصة فى الجواب على سؤال ورده عنه هل هو صديق أو زنديق؟.

قال الامام ابن تيمية : (الحمد لله رب العالمين : الحلاج قتل على الزندقة التى ثبتت عليه باقراره وبغير اقراره ، والأمر الذى ثبت عليه مما يوجب القتل باتفاق المسلمين ومن قاله انه قتل بغير حق فهو اما منافق ملحد . واما جاهل ضال)(٢).

ولقد استشهد الامام ابن تيمية على صحة ما ورد عن الحلاج من كفریات بما جاء عن مشائخ التصوف المعتدلين فى عصره ممن جفاه وأعرض عنه . ففي ذلك يقول

(١) انظر اخبار الحلاج هامش ٦١ .

(٢) ابن تيمية . جامع الرسائل ص ١٨٧ .

الامام ابن تيمية : (وأما أولياء الله العالمون بحال الحلاج فليس منهم واحد يعظمه ، ولهذا لم يذكره القشيري في مشايخ رسالته وإن كان قد ذكر من كلامه كلمات استحسناها وكان الشيخ أبويعقوب النهرجوري قد زوجه بابنته فلما أطلع على زندقته نزعها منه . وكان عمرو بن عثمان يذكر أنه كافر . ويقول كنت معه فسمع قارئاً يقرأ القرآن فقال : أقدر أن أصنف مثل هذا القرآن ، أو نحو هذا الكلام) (١) وفي هذا تكذيب للقرآن (قل لئن اجتمعت الانس والجن) إلخ .

ولكن الامام ابن تيمية يعول أكثر ما يعول على رأى الجنيد في الحلاج فيقول وممن ذمه وحط عليه أبوالقاسم الجنيد) (٢) .

ومع ما تقدم من وضوح رأي الامام ابن تيمية في الحلاج إلا أنه احتاط لدينه فقال في آخر الرسالة (فالحلاج كان من الدجاجلة بلا ريب ، ولكن إذا قيل : هل تاب قبل الموت أم لا؟ قال - أى المجيب - الله أعلم . فلا يقول ما ليس له به علم ولكن ظهر عنه من الأقوال والأعمال ما أوجب كفره وقتله باتفاق المسلمين والله أعلم) (٣)

ابن عربى :

هو محي الدين بن عربى المتوفى عام ٦٣٨ هجرية . وقد ثبت عنه أنه يعتقد بالوحدة بين الخلق والمخلوقات في كل ما أثر عنه من كتب ورسائل . وإن كان في بعض الأحيان ينفي ذلك عن نفسه كما جاء في رسالته التى سماها (لا يعول عليه) فقال فيها : (كل علم من طريق الكشف واللقاء والكتابة بحقيقة تخالف شريعة متواترة لا يعول عليه . ويكون ذلك اللقاء أو اللقاء أو الكتابة معلولا غير صحيح) (٤)

ولكن الناظر الى ما كتبه من رسائل وكتب ومؤلفات لا يخالجه أدنى شك في أنه وقع بل تبني مذهب وحدة الوجود وحاد عن الطريق السليم وانتهج الطريق الذي لا يعول عليه باعترافه هو فيها ذكرنا من أقواله وأكبر دليل على ذلك ما جاء في كتابة (فصوص

(١) ابن تيمية جامع الرسائل ص ١٩١ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٩ .

(٣) المصدر نفسه ص ٩٩ .

(٤) ابن عربى . رسائل ابن عربى رسالة (لا يعول عليه) ص ٢ .

الحكم) من جر للآيات الكريمة إلى معاني فاسدة ومعلومة الفساد من الدين بالضرورة
ففي تفسير قوله تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) جر الآية الى معنى فاسد هو
أن قضاءه هنا قضاء كونيا فما عبد في الحقيقة إلا الله في كل معبود. (١)
وبناء على هذا أخذ يخطيء أنبياء الله الذين جاءوا بدعوى التوحيد في العبادة ويؤيد
الكفار من أمثال فرعون وقوم نوح وغيرهم الذين عبدوا الأصنام مدعيا أن هؤلاء ما
عبدوا غير الله وأنهم إن كانوا مخطئين في شيء فهو أنهم خصصوا تلك الأصنام دون
غيرها بالعبادة والواجب أن يعبدوا كل شيء لأنه لا شيء موجود غير الله .

(١) ابن عربى فصوص الحكم ص ٧٢ . وقارن رسائل ابن عربى . كتاب الالف ص ٣ وقارن ايضا ابن تيمية . مجموعة
الرسائل الكبرى . رسالة الفرقان ص ١٤٥ - ١٤٦ ج١

بعض تفسيرات ابن عربي المنحرفة

يقول ابن عربي في تفسير قوله تعالى

(لا تذرن اهتكم ولا تذرن ودا ولا سواع ولا يغوث ويعوق ونسرا) يقول: (إذا تركوهم جهلوا من الحق بقدر ما تركوا من هؤلاء فان للحق في كل معبود وجهه يعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله)(١)

ويقول أيضا مخطئا هارون عليه السلام في نهيه بني إسرائيل عن عبادة العجل ومفتريا على نبي الله موسى: (وكان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ما عبده أصحاب العجل لعلمه بأن الله قد قضى ألا يعبد إلا إياه وما حكم الله بشيء إلا وقع فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه فان العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء(٢)). ويقول في مجال تصحيح إيمان فرعون:

ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت. وانه الخليفة بالسيف وإن جار في العرف الناموسي لذلك قال: (أنا ربكم الأعلى). أي وأن كان الكل أربابا بنسبة ما فأنا الأعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيكم ولما علمت السحرة صدقه في مقاله لم ينكروه وأقروا له بذلك فقالوا له إنها تقضي هذه الحياة الدنيا فاقضى ما أنت قاضى فالدولة لك. فصيح قوله: (أنا ربكم الأعلى). وإن كان عين الحق فالصورة لفرعون قطع الأيدي والأرجل وصلب بعين حق في صورة باطل لنيل مراتب لا تنال إلا بذلك الفعل(٣)

من كلامه أيضا في قصة فرعون

(إنه حين قال له. لأجعلنك من المسجونين - أي لاسترنك فانك اجبت بما ايدتني به. أن أقول لك مثل هذا القول.

(١) ابن عربي فصوص الحكم ص ٧٢ وقارن ابن تيمية مجموعة الرسائل الكبرى ص ٢٤٥ ج ١ رسالة الفرقان.

(٢) ابن عربي فصوص الحكم ص ١٩٢.

(٣) المصدر نفسه ص ٢١٠ - ٢١١.

فإن قلت لي : فقد جهلت يا فرعون بوعيدك اياي والعين واحدة . فكيف فرقت؟
فيقول فرعون : إنما فرقت المراتب لا العين .
ما تفرقت العين ولا انقسمت في ذاتها . ومرتبتي الآن التحكم فيك يا موسى
بالفعل . وأنا أنت بالعين . وغيرك بالمرتبة(١) .

ابن سبعين

ومن الصوفية من اعتمد على الفلسفة في استنتاج مذهبه في وحدة الوجود مثل ابن
سبعين الذى قارن بين ارتباط الكل بالجزء في قضايا الفلسفة وبين ارتباط الخالق
بالمخلوق في العقيدة .

فشبه الخالق بالكل والمخلوق بالجزء واستنتج من هذا ارتباط الخالق بالمخلوق في
وحدة تامة سماها وحدة الوجود .

يقول ابن سبعين (والوجود اما واجب الوجود، وهو الكل والهوية .
وأما ممكن الوجود، وهو الجزء والماهية، فالربوبية هى الهوية التى هى الكل،
والعبودية هى الماهية التى هى الجزء)(٢)

ويقول أيضا : (ولا وجود لكل إلا في جزء، ولا لجزء إلا في كل فاتحد الكل بالجزء،
فارتبط الأصل وهو الوجود، واقتربا وانفصلا بالفرع فالعامة والجهال غلب عليهم
العارض، وهو الكثرة، والتعدد، والخاصة العلماء غلب عليهم الأصل وهو وحدة
الوجود)(٣) .

ممن لحق بهم عبدالكريم الجيلي

فهؤلاء وغيرهم(*) عاشوا قبل شيخ الإسلام ابن تيمية ثم جاء بعدهم كثير من
الصوفية الذين نحوا نحوهم في هذا الضلال مثل عبدالكريم الجيلي المتوفي ٨٠٥هـ
الذى ألف كتابا اسماه (الانسان الكامل) حاول أن يثبت فيه ان محمدا هو أول تعيينات

(١) ابن عربى فصوص الحكم - ص ٢٠٩ .

(٢) د . ابوالوفا . ابن سبعين وفلسفته الصوفية ص ٢٠٠ نقلا عن كتاب الالواح لابن سبعين نفسه .

(٣) د . أبو الوفا . ابن سبعين وفلسفته الصوفية ص ٢٠٠ .

(*) مثل ابن اسرائيل، والتلمسانى، وصدرالدين القونوى الرومى . فقد ذكرهم ابن تيمية ولم أعثر على شيء من مؤلفاتهم .

الذات الالهية بعد أن أرادت أن تظهر من مرحلة الخفاء الى مرحلة الوجود والظاهر
يقول الجليل شعرا: (١)

ذات لها في نفسها وجهان	للسفل وجه	والعلا	للثاني
ولكل وجه في العبارة والأدا	ذات	وأوصاف	وفعل
إن قلت واحدة صدقت وإن تقل	اثنان	حق	انه
أو قلت لا بل انه لمثلت	فصدقت	ذك	حقيقة
انظر إلى احديه هي ذاته	قل	واحد	احد
		فريد	الشأن

إلى أن يقول:

فهي المسمى أحمد من كون ذا	ومحمد	لحقيقة	الأكوان
وهو المعروف بالعزیز وبالهدى	من	كونه	ربا
يا عين دائرة الوجود جمیعة	يا	نقطة	القران
ولك الوجود والانعدام حقيقة	ولك	الحضيض	مع
أنت الضياء وضده بل إنها	أنت	الظلام	لعارف
مشكاته والزيت مع مصباحه	أنت	المراد	به
زيت لكونك أولا ولكونك	المخلوق	مشكاة	منير
ولأن رب عين وصفك عينه	ها	أنت	مصباح
		ونور	بيان

الجواب على هؤلاء الملاحدة

والجواب على كل هؤلاء لا يحتاج إلى كبير عناء من المرء المؤمن بما في كتاب الله وسنة
نبيه وما اشتهر من الدين الاسلامی وأصبح معلوما منه بالضرورة.
فالكل يعلم أن الخالق غير المخلوق وأن الرب غير المربوب بل لقد أفحم القرآن
الكریم المشركين وأخرسهم حين سألهم ذلك السؤال العقلي الذي لا جواب عليه بغير
الاعتراف بالخالق عز وجل وانه غير هذه المخلوقات قطعاً.

(١) عبدالكريم الجليل . الانسان الكامل في معرفة الاواخر والأوائل ص ١٢ ط الثانية عام ١٣٧٥ هـ مصر.

قال تعالى ﴿أَمْ خَلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ؟ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ؟ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ (١).

فلم يجرؤ أحد المشركين حينذاك أن يدعي أنه خلق من غير شيء كما لم يجرؤ أحد منهم أن يدعي أنه هو خالق نفسه - كما يزعم هؤلاء الصوفية مخالفة للشرع والعقل - فضلا عن أن يدعي أنه خلق هذه الاجرام الهائلة التي لا يعلم مدى عظمها وقوانين تسييرها إلا الله عز وجل .

ولكن مع ما كل واضح في مذهب هؤلاء الملاحدة من الكفر فقد اغتر بهم كثير من الناس على عهد ابن تيمية مما حدا به رحمه الله الى تأليف الرسائل الكثيرة في بيان فساد هذا المذهب وضلال اتباعه . مجملا القول في بعضها ومفصلا في البعض الآخر .

رد ابن تيمية عليهم جميعا

يقول ابن تيمية رحمه الله

(وأما ما جاء به هؤلاء من الاتحاد العام فما علمت أحدا سبقهم إليه إلا من انكروا وجود الصانع مثل فرعون والقرامطة ، وذلك أن حقيقة أمرهم أنهم يرون ان عين وجود الحق هو عين وجود الخلق وان وجود ذات الله خالق السموات والأرض هو نفس وجود المخلوقات فلا يتصور عندهم أن يكون الله تعالى خلق غيره ولا أنه رب العالمين ولا أنه غني وما سواه فقير) (٢).

ولقد بين ابن تيمية رحمه الله في موضع من كتبه ان مجرد تصور مذهب هؤلاء على حقيقته كاف في بيان بطلانه لأنه لا يقول بمثل كلامهم هذا عاقل فضلا عن من يؤمن بالله ورسوله ويدعي الاسلام ولذلك فقد اهتم رحمه الله بشرح وتوضيح مذهبهم وتوضيح عباراتهم الغامضة على بعض الناس حتى لا يدعي مدعي أن لهم كلاماً عميقا لا يفهمه وانه وان كان ظاهر كلامهم الكفر فان له معنى دقيقا يعز فهمه على العامة وطلاب العلم .

(١) الآية ٣٥ من سورة الطور .

(٢) ابن تيمية . مجموعة الرسائل ص ١٧٢ ج ١ .

توضيح ابن تيمية لمذاهب الصوفية المختلفة في وحدة الوجود

لقد شرح ابن تيمية مذاهب الصوفية في وحدة الوجود بها في كلامهم نصا ومعنى ، حتى انه فرق بين مذهب كل واحد منهم والآخر لعمق فهمه لمذاهبهم مع أنهم يصلون الى نتيجة واحدة تقريبا وهي فكرة وحدة الوجود.

وحدة الوجود عند ابن عربي

اعتقد ابن عربي ان الذوات بأسرها كانت ثابتة في العدم فذاتها ازلية ، حتى ذوات الحيوان والنبات والمعادن والحركات والسكنات .

وإن وجود الحق افاض عليها ، فوجودها هو وجود الحق . وذواتها ليست ذوات الحق ، فهو يفرق بين الوجود والثبوت . (١)

ومصادقا لما ذكره ابن تيمية ننقل بعض أقوال ابن عربي في هذا الصدد يقول ابن عربي في تفسير قوله تعالى ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ . قلنا (لو شاء) لو حرف اقناع لا امتناع : فما شاء إلا ما هو الأمر عليه ولكن عين الممكن قابل للشيء ونقيضه في حكم دليل العقل ، وأي الحكمين المعقولين وقع ، ذلك هو الذى كان عليه الممكن في حال ثبوته . ومعنى (لهذاكم) • لين لكم (٢) وبهذا يطرح فكرة الثبوت للممكنات كأمر مسلم به من عنده .

ويقول ايضا مفسرا قوله تعالى ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ .
(وهو ما كنت به في ثبوتك ظهرت به في وجودك هذا ان كان لك وجود . فان ثبت ان الوجود للحق لا لك فالحكم لك بلا شك في وجود الحق) (٣) .
ثم يقول (وان ثبت انك الموجود فالحكم لك بلا شك وان كان الحاكم الحق . فليس له الا افاضة الوجود عليك والحكم لك عليك فلا تحمد الا نفسك ولا تدم إلا نفسك ، وما يبقى للحق الا حمد افاضة الوجود لأن ذلك له لا لك . فأنت غذاؤه بالأحكام وهو غذاؤك بالوجود) (٤) .

(١) ابن تيمية . مجموعة الرسائل ص ١٧٢ ج ١ .

(٢) ابن عربي . فصوص الحكم ص ٨٢ تحقيق د . ابو العلا عفيفي . (٣) المصدر السابق ص ٨٣ .

(٤) ابن عربي . فصوص الحكم ص ٨٣ . (*) الآية ١٦٤ سورة الصافات .

ومن هنا يرى ابن تيمية ان ابن عربي يفرق بين الظاهر والمظاهر، ولهذا فهو يقر الأمر والنهي والشرائع على ما هي عليه . مع قوله بوحدة الوجود كغيره ولكنه أحسن كلاما منهم بهذا الاعتبار.

وحدة الوجود عند الصدر القانوني الرومي

اعتقد الصدر القانوني الرومي ان الله هو الوجود المطلق والمعين فحقيقة قوله انه ليس لله وجود أصلا ولا حقيقة ولا ثبوت الا نفس الوجود القائم بالمخلوقات . (١) فانه لا يقول أن الوجود زائد على الماهية ، لأنه رأى أن التفريق بين وجود الأشياء وأعيانها لا يستقيم . وعنده أن الله هو الوجود المطلق الذي لا يتعين ولا يتميز وإنه إذا تعين وتميز فهو الحق سواء تعين في مرتبة الالهية أو غيرها . (٢)

ويقارن ابن تيمية بين مذهب الصدر القانوني الرومي ومذهب شيخه ابن عربي فيقول : (وهذا القول قد صرح فيه بالكفر أكثر من الأول ، وهو حقيقة مذهب فرعون والقرامطة وإن كان الأول أفسد من جهة تفرقة بين وجود الأشياء وثبوتها ، وذلك أنه على القول الأول يمكن أن يجعل للحق وجودا خارجا عن أعيان الممكنات . وانه فاض عليها فيكون فيه اعتراف بوجود الرب القائم بنفسه الغنى عن خلقه ، وإن كان فيه كفر من جهة انه جعل المخلوق هو الخالق) (٣) .

فالصدر الرومي خرج من الأشكال الذي وقع فيه شيخه ابن عربي حين قال الأول بفكرة الثبوت قبل الوجود التي ادت الى جواز تصور انفصال الخلق عن الخالق في فترة ما . فصرح هو بأنه ما ثم سوى الوجود المطلق الساري في الموجودات المعنية . وهو بهذا وقع في أشكال جديد . فهو إما أن ينكر وجود الله عز وجل ، وأما أن يقرر مسألة ليست صحيحة في نفسها وهي اثبات مطلق بشرط الاطلاق .

ويقول ابن تيمية (ان المطلق ليس له وجود مطلق ، فما في الخارج جسم مطلق بشرط الاطلاق . ولا انسان مطلق ولا حيوان مطلق بشرط الاطلاق بل لا يوجد الا في شيء معين) (٤) .

(٢) المصدر السابق نفسه ص ١٨ ج ٤ .

(١) ابن تيمية . مجموعة الرسائل ص ٧٧ ج ١ .

(٤) المصدر السابق نفسه والصفحة .

(٣) المصدر السابق نفسه والصفحة .

وحدة الوجود عند التلمساني كما يصورها ابن تيمية

لم يفرق التلمساني بين ماهية ووجود. ولا بين مطلق ومعين. بل عنده ما ثم سوى، ولا غير بوجه من الوجوه. وإنما الكائنات أجزاء منه وابعاض له بمنزلة أمواج البحر في البحر (١).

ويمثل مذهب التلمساني من أشعارهم مما نقله عنهم ابن تيمية ما يلي: (١)
البحر لا شك عندي في توحده وإن تعدد بالأمواج والزبد
فلا يغرنك ما شاهدت من صور فالواحد الرب سارى العين في العدد
ومنه
فما البحر الا الموج لا شيء غيره وإن فرقته كثرة المتعدد

ويقارن ابن تيمية بين المذهبين السالفين وبين مذهب التلمساني فيقول ان هذا القول هو أحق في الكفر والزندقة، فان التمييز بين الوجود والماهية، وجعل المعدوم شيئاً او التمييز في الخارج بين المطلق والمعين وجعل المطلق شيئاً وراء المعينات في الذهن. قولان ضعيفان باطلان. (٣) أى أن التلمساني قد عرف بطلان قول ابن عربي والصدر القنوي. ولهذا نحاه هو منحنى آخر هروباً عما وقع فيه الاثنان من الخطأ في التصوير والفهم فجاء هو بثلاثة الاثافي، فقال بأن الكثرة والتفرقة لا وجود لها الا في ذهن الانسان لما كان محجوباً عن شهود الحقيقة، فلو انكشف غطاؤه لعين انه لم يكن ثم غيره، وان الرائي عين المرئي والشاهد عين الشهود. (٤)

ونكتفي بهذا القدر من توضيح ابن تيمية للفروق الدقيقة بين مذهب ابن عربي والصدر القنوي الرومي والتلمساني مع أنهم جميعاً يقولون بوحدة الوجود ونتيجة كلامهم تتلاقى في نقطة واحدة هي ان الله هو هذه الموجودات لا غيرها ولا سواها.

(١) ابن تيمية. مجموعة الرسائل ص ٢٣ ج ٤.

(٢) المصدر السابق نفسه والصفحة.

(٣) المصدر السابق نفسه والصفحة.

(٤) المصدر السابق نفسه بتصرف

وإن كان ابن عربي والقونوي قد حاول كل منهم أن يقول بنظرية خاصة يتكفي عليها في إثبات مذهبه حتى لا يصطدم بصخرة الواقع التي لا يستطيع أحد أن يتجاهلها وهي أن الأشياء الموجودة متعددة بينما الخالق واحد فكيف يكون الواحد متعدد أو المتعدد واحداً؟ فقال ابن عربي بفكرة الثبوت قبل الوجود وإن الواحدية من جهة الوجود فالوجود واحد هو الحق والثابت متعدد، وقال القونوي بالاطلاق والتعيين فالوجود المطلق واحد وهو الحق والتعينات مراتب لا حقيقة لها، وكلا هذين القولين فاسد كما تبين لنا.

إلا أن التلسماني كان أجراً من صاحبيه في مكابرة الواقع فخرج للناس بما لا يتصور أن يقوله أجهل الجهلاء زاعماً أنه قد تفادى خطأ صاحبيه وابتعد عن التبرير الفاسد الذي جنحوا إليه.

ولكن هل يبقى عقل لمن يقول بأن الكثرة المحسوسة الملموسة المشاهدة التي يعيشها هو وغيره إنما هي كثرة في الخيال لا في الواقع.

هل يبقى عقل أو بقية من عقل لمن يقول أن السيف الذي يقطع به رأس الكافر هو الكافر أو أن الكافر هو السيف وإن الكثرة وهم خيال.

فهذا هو مذهب الضلال ينحدر من سيء إلى أسوأ. فكلما حاول واحد من أصحابه أن يزينه ويقدمه في ثوب جديد ظهر من عواره وفساده ما لم يكن ظاهراً من قبل.

خاتمة من كلام ابن تيمية

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية

(واعلم أن المذهب إذا كان باطلاً في نفسه لم يمكن الناقد له أن ينقله على وجه يتصور تصوراً حقيقياً فإن هذا لا يكون إلا للحق . فأما القول الباطل فإذا بين فيبانه يظهر فساده حتى يقال : كيف يشتبه هذا على أحد .

ويتعجب من اعتقادهم إياه . ولا ينبغي للإنسان أن يعجب ، فما من شيء يتخيل من أنواع الباطل إلا وقد ذهب إليه فريق من الناس ، ولهذا وصف الله أهل الباطل بأنهم أموات وأنهم (صم بكم عمي) وأنهم (لا يفقهون) (ولا يعقلون) وأنهم (في قول مختلف يؤفك عنه من أفك) (١) .

(١) ابن تيمية . مجموعة الرسائل ص ٧ ج ٤ .

الباب الثالث

السلوك وما يتعلق به

وفيه أربعة فصول

الفصل الأول : (طرق الوصول إلى ولاية الله)

الفصل الثاني : علاقة المريد بالشيخ

الفصل الثالث : الكرامات

الفصل الرابع : مسألة المجذوبين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

الفصل الأول من الباب الثالث

طرق الوصول إلى ولاية الله

الفصل الأول

تمهيد

الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والتقرب، وأصل العداوة البغض والبعد^(١) وقيل سمي الولي وليا من موالاته للطاعات أى متابعتها لها^(٢)، ولكن الشيخ ابن تيمية رجح المعنى الأول وإن كان يعتبر كلا من المعنيين صحيحين.

فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع لله فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه وما يأمر به وما ينهى عنه، كان المعادي لولي الله هو المعادي لله عز وجل لأنه عادى من تابع أوامر الله واجتنب نواهيه - لهذا السبب بخصوصه فكأنه عادى من اصدر هذه الأوامر والنواهي. ولهذا ورد في الحديث القدسي الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه (يقول الله من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب عبدي بمثل ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه)^(٣) الحديث.

إذا فولاية الله توصل الى محبته ورضاه وهى اسمى مطالب العباد والزهاد. ولكن الولاية قسمان: ولاية عامة تشمل جميع المؤمنين وهى مأخوذة من قوله تعالى ﴿إِنَّمَا وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾^(٤) وولاية خاصة أعظم قدرا من الأولى وهى الواردة في الحديث السابق ومأخوذة أيضا من الآية الكريمة ﴿إِن أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾^(٥) الآية. فهى تزيد في وصف هؤلاء على الآية التى قبلها بمسألة التقوى.

وهذه الولاية الخاصة لا تحصل إلا لمن كان من أهل الولاية العامة ثم زاده الله من طاعته ومحبته له حتى بلغ درجة المحبة التى ذكرها الله عز وجل في الحديث القدسي المذكور أعلاه.

(١) ابراهيم هلال: ولاية الله والطريق اليها ص ٦٢ وقارن ابن تيمية. الفرقان ص ٦.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) ابن تيمية رسالة الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٥ وأنظر البخارى باب التواضع.

(٤) الآية ٥٥ سورة المائدة.

(٥) سورة يونس ٦٢، ٦٣.

طرق الوصول الى الولاية

إذا كانت ولاية الله ومحبته هما الغاية التي يسعى إليها كل مؤمن . فان الوصول إلى هذه الغاية لا يتأتى إلا بأحد طريقين لا ثالث لهما .

الطريق الأولى : طريق الاجتناء ، وهى المذكورة في الآية الكريمة ﴿الله يجتبي إليه من يشاء﴾ (١)

الطريق الثاني : طريق الانابة . وهى المذكورة في كمال الآية السابقة (ويهدى إليه من ينيب) (٢) .

قال العلامة الشيخ صديق حسن خان : (والاجتناء الاختيار ، والمعنى يختاره لتوحيده والدخول في دينه) ، واجتناء الله العبد : تخصيصه إياه بفيض إلهي لتحصل له أنواع النعم بلا سعي منه) (٣) .

وقال أيضا في تفسير قوله تعالى ﴿ويهدي اليه من ينيب﴾ ما نصه : (أى يوفق لدينه ويستخلص لعبادته من يرجع الى طاعته أو يقبل إلى عبادته) (٤) .

ويترجم الصوفية هذه المعانى الواردة في الآية الكريمة والتي حددت طريقى الوصول إلى محبة الله تعالى وموالاته بقولهم ان من عباد الله من يسمى مرادا وهو المقصود بالاجتناء ، ومنهم من يسمى مريدا و هو المقصود بالانابة (٥) .

شرح الطريقة الاولى

لا شك ان الله سبحانه وتعالى هو المالك المتصرف في الكون . وان له أن يختار من عباده من يشاء ويصطفيه ويفضله على غيره من الخلق . وقد اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين كما جاء في الآية الكريمة (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) (٦) .

(١) الآية ١٣ من سورة الشورى .

(٢) نفس الآية السابقة .

(٣) صديق خان . فتح البيان ص ٣٦١ ج ٨ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة .

(٥) السهرورى . عوارف المعارف ص ٤٨ .

(٦) آية ٣٣ من سورة آل عمران .

فمن آل إبراهيم من كان نبيا ورسولا ومنهم من كان وليا لله ولم يصل إلى درجة النبوة وهم بقية الصالحين من آل إبراهيم .

ومن آل عمران مريم بنت عمران التي ثبتت لها الولاية لله عز وجل ولم تثبت لها نبوة ولا رسالة .

ومضمون هذه الطريقة . إن الله سبحانه وتعالى له أن يختار من عباده من يلهمه الصلاح والتقوى والعلم وما إلى ذلك من خصائص أوليائه فيباده بذلك قبل أن يصل إلى مرحلة التكليف والاختيار التي قال الله عز وجل فيها ﴿إنا هدينه السبيل إما شاكرا وإما كفورا﴾ (١) .

شرح الطريق الثاني

من المعلوم أن الهداية درجات وان جميع درجات الهداية إنما هي نعم من الله عز وجل على العباد، فمن نعمه عز وجل على عباده ان يوفقهم للايمان قال تعالى ﴿قل لا تمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم إن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين﴾ (٢) والمؤمنون بعد أن يشتركوا جميعا في الايمان ينقسمون إلى ثلاثة أقسام كما قال تعالى ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ (٣) .

وهؤلاء أصحاب الدرجة الثالثة هم الذين سلكوا الطريق الى الله - بعد الايمان - بأداء الفرائض واجتناب النواهي ، ثم يكثرون من النوافل كما جاء في الحديث السابق (ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه) .

(١) الآية ٣ من سورة الانسان .

(٢) آية ١٧ من سورة الحجرات .

(٣) آية ٣٢ سورة فاطر

اختلاف الصوفية في طريق السلوك

اختلف رجال التصوف في هذا الطريق على رأيين :

الرأى الأول : ان العمل في هذا الطريق يجب أن يقتصر على تخلية القلب من كل شاغل له وافراغه من كل ما فيه من الشواغل والأفكار ما عدا ذكر الله .
وقد شرح الامام الغزالي هذه الطريقة في كتابه إحياء علوم الدين فقال (وزعموا أن الطريق في ذلك أولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية . وتفرغ القلب منها ويقطع الهمة عن الأهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولاية والجاه . بل يصير قلبه إلى حالة يستوى فيها وجود كل شيء وعدمه . ثم يخلو بنفسه في زاوية مع الاقتصار على الفرائض والرواتب . ويجلس فارغ القلب مجموع الهمة . ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره) (١) ويستمر الغزالي في شرح الطريقة المذكورة فيحظر على السالك أن يخطر بباله شيء سوى الله إذ يبدأ قائلا بلسانه «الله . الله» على الدوام ، مع حضور القلب حتى ينتهى إلى حالة يترك فيها تحريك اللسان ويرى أن الكلمة جارية على لسانه بدون تحريك ثم يصير إلى أن يمحي عن القلب صورة اللفظ وحروفه وهيئة الكلمة ويبقى معنى الكلمة مجردا في قلبه حاضرا فيه كأنه لازم له . وهنا ينتهى اختيار الشخص في الانتقال إلى مرحلة أخرى . ويبقى اختياره في أن يداوم على هذه المرحلة بطرد الوسواس عنه .

وهكذا يكون متعرضا لنفحة من نفحات رحمة الله ويتنظر لما يفتح الله عليه كما فتح على الأنبياء والأولياء (٢).

هذا هو الرأى الأول في طريق السلوك عند الصوفية كما شرحه الامام الغزالي وبين أساس الفكرة التي يعتمد عليها ، وهى أن من فاته (الاجتباء) الذى نوهنا عنه في الطريق الأول . فانه يحاول التعرض لنفحات الله فيعود على نفسه ليظهرها وينقيها من الأدران ويعود على قلبه فيخليه من المشاغل وكأنه بذلك قد أرجع عدم اجتباؤه من البداية لاسباب انشغاله وامتلاء قلبه بغير ذكر الله .

(٢) الغزالي . الأحياء ص ١٩ ج ٣ .

(١) الغزالي . الأحياء ص ١٩ ج ٣ .

وهذا الرأى يتوجه إليه الاعتراض من عدة أوجه .

الوجه الاول : أن هذا الرأى يخلط بين فكرة اجتناء الله تعالى لأوليائه وانبيائه ورسله واصطفائه إياهم بالمحبة وبين فكرة اكتساب الولاية والمحبة الخاصة التى وردتا في الحديث القدسى المذكور سابقا (وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه) الحديث .

الوجه الثانى : ان مفهوم هذا الرأى إن النبوة والرسالة تحصل بالاكتساب وهذا القول منسوب للفلاسفة (١) . وليس له أصل فى الدين .

بل المعلوم من الدين خلاف ذلك قال تعالى ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير﴾ (٢) وقال أيضا ﴿ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾ (٣) .

وقال أيضا لرسوله محمد ﴿ﷺ﴾ ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان﴾ (٤) .

فليس في هذه الآيات ولا في غيرها ما يدل على أن الله عز وجل إنما يختار رسله بناء على استعداداتهم الذاتية وتخلية نفوسهم من المشاغل ونحو ذلك مما ذكر في هذه الطريقة .

الرأى الثانى : إن العمل في هذا الطريق (طريق السلوك) يجب أن يبتدىء بالتعلم وقراءة القرآن وحفظ الحديث الشريف ومعرفة الحلال والحرام ونحو ذلك من العلوم الضرورية والكمالية .

(١) ابن تيمية . مجموع الرسائل ص ٨٧ ج ٥ .

(٢) ٧٥ سورة الحج .

(٣) ١٧٩ سورة آل عمران .

(٤) ٥٢ سورة الشورى .

وهذا الرأي أيده كثير من الصوفية. قال الجنيد بن محمد(*) : (علمنا هذا مبني على الكتاب والسنة. فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الشأن)(١).

وروى أن واحدا ممن ينكرون التعلم دخل على السرى السقطي(**) فلما رأى عنده محبرة وقلما خرج ولم يقعد عنده. (٢) وقال الجنيد: سمعت السرى يقول: إذا ابتداء الانسان بالنسك ثم كتب الحديث فتر، وإذا ابتداء يكتب الحديث ثم تنسك نفذ(٣)

ولم يكن النصر اباذى(***) يستر ألواحته عن أحد ممن ينكر التعلم حتى ظهر فضل قراءته وكتابته على من أنكر عليه فافتخر بذلك عليهم(٤).

(١) القشيري. الرسالة ص ٣٢. وقارن ابن تيمية. مجموع الرسائل ص ٩٩ ج ٥.

(٢) ابن تيمية. مجموع الرسائل والمسائل ص ٩٨ ج ٥.

(٣) السلمي. طبقات الصوفية ص ٥٥.

(٤) المصدر نفسه ص ٩٩ ج ٥.

(*) سبق ترجمته من من البحث.

(**) هو ابو الحسن سري بن المغسلي - بضم الميم وفتح المعجمة وكسر اللام المشددة - السقطي. مات عام

٢٥٧ هجرية. انظر القشيري. الرسالة ص ١٦ - ١٧.

(***) هو ابو القاسم ابراهيم بن محمد النصر اباذى. مات سنة ٣٦٩ هـ القشيري. الرسالة ص ٥٠.

رأى شيخ الاسلام ابن تيمية

لقد أيد شيخ الاسلام ابن تيمية أصحاب الرأي الثانى الذين يعتبرون السلوك إلى الله لا يصلح إلا بالتعلم والتفقه ومعرفة الحلال والحرام والناسخ والمنسوخ وحفظ الحديث الشريف ونحو ذلك .

ولقد نقل أقوال الدين قالوا بهذا الرأي من الصوفية مؤيدا ما ذهبوا إليه على ما اختاره الفريق الأول الذين تولى الامام الغزالى شرح طريقتهم في السلوك كما قدمنا (١) .

ولم يقتصر رد شيخ الاسلام ابن تيمية على الفريق الأول على ما قدمنا من اعتراض على طريقتهم . ولكنه نقد هذه الفكرة نقدا مفصلا .

فمن ذلك انهم يخلطون بين الاعتكاف الشرعى فى المساجد كما كان رسول الله ﷺ يفعل هو وأصحابه . وبين الخلوات المبتدعة التى ظنوا انها شبيهة بالاعتكاف وليس كذلك . (٢) وهى ليست مثل الاعتكاف لأن الاعتكاف يكون فى المساجد اما الخلوات فيختارون لها أماكن بعيدة عن الناس وناقش الشيخ فكرة الخلوة المذكورة فى طريقتهم فقال ان منهم من احتج للخلوة بدليلين

الاول : تحث النبى ﷺ فى الغار قبل الوحي (٣) .

الثاني : ما جاء فى الأثر عنه ﷺ انه سئل أى الناس أفضل فقال : (رجل آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع هيلة طار إليها يتتبع الموت مظانه ورجل معتزل فى شعب من الشعاب يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويدع الناس الا من خير) (٤)

ويرد الشيخ ابن تيمية على هذين الدليلين بما يلى :

أولا : ان تحثه ﷺ فى غار حراء كان قبل الوحي . وان ما فعله قبل النبوة لا نكون مأمورين باتباعه إلا إذا شرعه بعد النبوة .

(١) راجع لابن تيمية . مجموع الرسائل ص ٩٨ ج ٥ .

(٢) المصدر نفسه ص ٨٤ ج ٥ .

(٣) المصدر نفسه والصفحة .

(٤) المصدر نفسه ص ٩٢ - ٩٣ ج ٥ .

وهو من حين نبأه الله تعالى لم يصعد بعد ذلك غار حراء ولا خلفاؤه الراشدون وبهذا يسقط استدلالهم بالدليل الأول. (١)

ثانيا: ان الحديث المذكور جاء فيه قوله ﷺ (يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويدع الناس الا من خير). وفي هذه الجملة دليل واضح على أن هذا الرجل له مال يزكيه وانه ساكن مع ناس يؤذن بينهم وتقام الصلاة فيهم. وانه لا يدع الناس مطلقا بل لا يدعهم من الخير الذى يقدر عليه. وهذا يتعارض مع نظام الخلوة التى نصوا عليها (٢).

وبهذا يبطل استدلالهم على الخلوة بالنظام الذى وضعوه. من الوجهة الشرعية أما ما يعبده الشيخ ابن تيمية من أنواع المضار فى الدين والعقل والبدن التى تصيب أصحاب هذه الخلوات فهو كثير جدا ويمكن لمن أراد أن يراجع فى موضعه من رسائل شيخ الاسلام ابن تيمية (٣).

ومن انتقادات الشيخ ابن تيمية على الطريقة التى شرحها الامام الغزالى فى السلوك ما تتضمنه هذه الطريقة من ترك التعلم، ومن الاقتصار على ذكر الله تعالى بالاسم المفرد.

والذكر بالاسم المفرد وحده غير مقبول عند الشيخ ابن تيمية لسببين (٤):

السبب الأول : أن اللفظ المفرد لا يفيد علما لانه لا يفيد إثبات حكم ولا يفيد تنزيها ولا تقديسا ولا تمجيذا.

السبب الثانى : ان أفضل الذكر مطلقا هو (لا إله إلا الله) كما ثبت ذلك من أحاديث كثيرة بين فيها رسول الله ﷺ أن أفضل ما قاله وقالته النبيون من قلبه (لا إله إلا الله).

ويرد الشيخ ابن تيمية حججهم التى اعتمدوا عليها فى القول بالاسم المفرد. وهو

(١) ابن تيمية. مجموع الرسائل ص ٨٥ ج ٥.

(٢) المصدر نفسه ص ١٣ ج ٥. بتصرف.

(٣) انظر ابن تيمية. مجموع الرسائل ص ٩٣ ج ٥ وغيرها.

(٤) انظر ابن تيمية. مجموع الفتاوى الكبرى ص ٣٤١ ج ٢.

ما أخذوه من قوله تعالى ﴿قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ (١).

ثم يبين أن من أبين الغلط اجتراءهم على هذه الآية الكريمة بتقسيمها وعدم ذكر الجزء الموضح للمعنى فيها والسابق لهذا الجزء من الآية . وهو الاستفهام الذى اقتضى أن يجاب عنه بالجملة المذكورة في هذه الآية وهو قوله تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره . إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء . قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس ، تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا أبائكم؟ . قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون﴾ . فمن قرأ الآية كاملة عرف ان ليس فيها ما يدل على صحة ذكر الله بالاسم المفرد . وان الحق ما قاله الشيخ ابن تيمية في هذه المسألة .

أما مسألة اللفظ المفرد وكونه لا يفيد علما كما قرر الشيخ فان لنا على هذه المسألة ملاحظة لزيادة الايضاح . فان اللفظ المفرد أما أن يدل على ذات بغض النظر عن أحكامها وخواصها كلفظ حجر، وشجر ونحو ذلك وأما أن يدل على ذات مرتبطة بشيء من أحكامها كلفظ حاتم، فانه يدل على رجل متصف بالكرم ولفظ ابليس، فانه يدل على ذات متصفة باللعة . الخ .

هذا مع أن من الذوات مالا تعرف حقيقتها بتاتا وانما المعروف منها شيء من أحكامها وخواصها كلفظ الكهرباء فان هذا اللفظ يدل على خواص الكهرباء أما حقيقتها فلا تعرف، ومن هنا يمكن أن يقال للامام ابن تيمية لفظ الجلالة لا يفيد تصور الذات الالهية كما هو معروف فيكون المدلول الممكن من هذا اللفظ هو ما يتصل به من أحكام وخواص . فالذاكر إنما يذكر الله تعالى غير متصور ذاته لأن ذاته عز وجل لا تتصور بل إنما يذكره بذكر أحكامه وخواصه وحينئذ يكون الذكر صحيحا لاشتماله على الحكم وإن كان مضمرا لاستحالة أن يتصور بذاته دون نظر إلى شيء من أحكام هذه الذات كما سبق، واما من قال بإمكان ذلك فهو مخطئ بلا شك، ويندفع الاعتراض على رأي ابن تيمية ان أراد بما قرره «أن لفظ الجلالة» لا يفيد علماً من حيث الافراد بالعبادة . فهنا يستقيم كلام الشيخ ولا يعترض عليه والله أعلم .

(١) الآية ٩١ من سورة الانعام

الخلاصة

وإذا أردنا أن نخلص بنتيجة البحث في هذه المسألة . نقول :

أولاً : إن طريقة السلوك عند الصوفية تختلف فيها على رأيين . رأى يقول ان مهمة السالك هي ان يفرغ قلبه من كل ما يشغله عن الله ويداوم على ذكر كلمة (الله ، الله) مع تذكر مدلولها وعدم اشغال الذهن بغيرها حتى تفيض عليه الفيوضات الربانية دفعة واحدة . مع ملاحظة أداء الفرائض . (١)

والرأى الثاني أن مهمة السالك تبدأ بتعلم القرآن والحديث وعلومهما والمداومة على العبادة بأداء الفرائض والاكثار من النوافل بعد أحكام موضوع الايمان بالله عز وجل . (٢)

وابن تيمية رحمه الله يؤيد أصحاب الرأى الثانى ويعارض أصحاب الرأى الاول مفندا أنواع المخالفات التى وقعوا فيها حين رسموا لأنفسهم ذلك الطريق .

ولاشك فى أن هذا الرأى الثانى هو الموافق للشرع والعقل وهو ما وصى به رسول الله ﷺ أمته وسار عليه صحابته الكرام واتباعهم وكل علماء المسلمين الصالحين .

(١) انظر طريقة تلقى العلم عند الصوفية للغزالي . الاحياء جـ ٣ .

(٢) انظر الطريق الى ولاية الله كما يراه الامام الشوكانى لابراهيم خليل . ولاية الله والطريق اليها ص ١٣٢ .

تعقيب

وإن كان لنا أن نعقب على هذا الموضوع نقول : ان من ظن أن مجرد الخلوة والتجرد من المشاغل الفكرية والبدنية توصل الى ولاية الله الخاصة التى هى أمل كل مؤمن . فهذا خطأ لا شك فيه . اذ لا يقبل الشرع ولا العقل ان ينطوى الانسان على الجهل وينعزل عن العالم ويبتعد عن حلقات الدرس وعن ممارسة الحياة لكي ينتقل من مرحلة الجهل الى مرحلة خصوصية العلم والولاية دفعة واحدة .

ولا شك أن هذه فكرة غريبة عن الاسلام بدليل ان الامام الغزالى نفسه الذى شرح هذه الطريقة بدأ شرحه المذكور بقوله (وزعموا ان الطريق فى ذلك أولا بانقطاع علائق الدنيا بالكلية . . الخ) (١) . فقولوه (زعموا) دليل على أنه غير واثق من صدق هذا القول . وانه قول غير مستند الى ادلة شرعية من الكتاب والسنة كما قالوا (زعموا) مطية الكذب .

ثم إذا كان لابد فى التصوف من انقطاع الشخص الى عبادة الله تعالى سواء كان هذا هو التصوف . أو هو الغاية من التصوف - وان هذا الانقطاع الى العبادة فى مفهومه العام لا يمكن انكاره ولا الاعتراض عليه . كما قال تعالى ﴿فاعبدوه واصطبر لعبادته﴾ (٢) وقال عز من قائل ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه . .﴾ (٣) .

فإن هذا الانقطاع الى العبادة لا يقتضى الخلوة والانقطاع عن الناس بالكلية بل مفهومه الصريح هو الاستمرار فى العبادة .

وقد لا يتحقق هذا الا بمخالطة الناس فى جهادهم الاعداء ، وفى أداء الصلوات جماعة وحضور الجمع والأعياد وفى التناصح بالخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والانقطاع للعبادة بمفهومه الصحيح لا يتم الا إذا عرف المرء ما جاء به الدين من الشرائع .

(١) الغزالى . الاحياء ص ١٩ جـ ٣ .

(٢) الآية ٦٥ من سورة مريم .

(٣) الآية ٢٨ الكهف .

فخلص من هذا إلى أن ما جرى بين القوم من اختلاف في طريق السلوك هو خلاف لا يصح أن يجرى بين الباحثين. فان هناك شريعة جاء بها النبي ﷺ بين فيها العبادات الحقّة فيجب على المريد من غير نزاع أو خلاف أن يتبعها ولا معنى للقول بأن يختل وينقطع عن العالم جاهلا الدين مبتعدا عن التعمق فيه.

فربط الفريق الأول التصوف بالخلوة. والانقطاع عن الخلق خطأ فاحش فان الخلوة قد تكون في بعض الأحوال معصية فاحشة كما جاء في حالة النفير العام للجهاد. وكذلك ترجيحهم ان يفاض على المختل العلم بالاحكام بمجرد الخلوة والانقطاع دون حاجة إلى طلب العلم بالطرق المعروفة فهذا اما أن يراد به الطريق الأول وهو (الاجتباء) وهذا لا يكون بسبب الانقطاع والخلوة كما بينا سابقا بل هو محض نعمة من الله تعالى.

وأما أن يراد به أن الخلوة نفسها عبادة وأنها تدخل في مفهوم الحديث المذكور سابقا (وما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه). فهذا إثبات نوع جديد من العبادة لم يرد ذكره في الشرع. وهذا باطل.

أمثلة على الخلوات البدعية

١- جاء في كتاب الطبقات الكبرى للشعراني في ترجمة الشيخ ابي على قوله: (هذا الشيخ رضى الله عنه من كمل العارفين. . تدخل عليه فتجده سبعا، وتدخل عليه فتجده فيلا ثم تدخل فتجده صبيا وهكذا ومكث أربعين سنة في خلوة مسدود بابها ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء)(١)

(١) الشعراني. الطبقات الكبرى ص ٨٠.

٢- وجاء في ترجمة الشيخ شمس الدين الحنفى في نفس الكتاب، قوله: (ثم حُبب إليه الخلوة ثم اختلى سبع سنين لم يخرج في خلوة تحت الأرض ودخلها وهو ابن أربع عشرة سنة)(١).

ونحو هذا كثير في هذا الكتاب وامثاله من الأوهام والخرافات التى تصرف الناس عن اتباع الدين الحق الذى جاء به النبى ﷺ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) الشعرانى . الطبقات الكبرى ص ٨٠.

الفصل الثانى من الباب الثالث

العلاقة بين المريد والشيخ

حاجة المريد الى الشيخ عند الصوفية

درجة الطاعة المطلوبة وشعارها

استدلالهم بقصة الخضر مع موسى عليهما السلام

شعار الطاعة

آراء شيخ الاسلام ابن تيمية. حاجة المريد الى الشيخ عنده

حدود الطاعة المطلوبة منه، حقيقة ما يستفاد من قصة الخضر مع موسى

عليهما السلام

مناقشة قصة الخضر وموسى

لباس الخرقه في رأي ابن تيمية

الفصل الثاني

العلاقة بين المريد والشيخ

حاجة المريد الى الشيخ عند الصوفية

يؤكد الصوفية على وجوب اتباع المريد لشيخ معين تكون إرشاداته وتعاليمه هي أهم ما يجب أن ينفذه المريد إذا أحب أن يرتقى في درجات الولاية يقول القشيري: (لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام مؤدب)(١)

ويقول أبوزيد البسطامي(*) : (من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان)(٢). فهذا يؤكد إصرار الصوفية على تعظيم أمر الشيخ عندهم وبيان شدة الحاجة إليه. ويعلمون ذلك بأن له تأثيرا روحيا يسمونه (البركة).

يقول د. عبدالحليم محمود: (ولابد في التصوف من شرط جوهرى هو التأثير الروحى . وتعبير أدق (البركة) وهى لا تتأتى إلا بواسطة شيخ)(٣).

وتتمثل هذه البركة ومدى الحاجة اليها فيما روى عن الشيخ عبدالقادر الجيلانى(*) في ترجمته الغنية . قال المترجم : (كان رضي الله عنه يقول : عثر الحسين الحلاج(**)) فلم يكن في زمنه من يأخذ بيده ، وأنا لكل من عثر مركوبه من أصحابى ومريدى ، ومحبى إلى يوم القيامة ، آخذ بيده ، يا هذا فرسي ملجم ، ورعي منصوب ، وسيفي شاهر ، وقوسي موتر ، أحفظك وأنت غافل)(٤)

(*) هو طيفور بن عيسى . من أهل بسطام مات سنة (٢٦٠) واختلف في تحديد عام موته بالضبط . انظر السلمى . طبقات الصوفية ص ٦٧ .

(١) القشيري . الرسالة ص ٤٤ .

(٢) انظر لعبد الرحمن الوكيل . هذه هى الصوفية ص ٩٩ . وقارن للغزالي المنقذ من الضلال مع أبحاث لعبدالحليم محمود ص ٢٥٨ وقارن السهروردى . عوارف المعارف ص ٩٦ .

(٣) عبدالحليم محمود . المنقذ من الضلال مع أبحاث في التصوف ص ٢٥٧ .

(٤) الغنية . عبدالقادر الجيلانى . ص ٣ ، ويلاحظ ان هذا في مقدمة المترجم وليس في صلب الكتاب .

(*) هو ابوصالح عبدالقادر بن موسى بن عبدالله المتوفى عام ٥٦١ ببغداد .

انظر مقدمة كتابه الفنية ط ١٣٧٥ هـ مصر .

(**) الحسين بن منصور الحلاج

فانظر الى ما وصل إليه بعض الصوفية من المبالغات في إظهار مدى الحاجة من المريد للشيخ ، حتى لم يتورعوا عن ادعاء انه يحفظه وهو غافل ، كأنه قد شارك الله عز وجل في ملكه ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا .

ولا شك أن إثبات النص هنا لا يدل على أن الشيخ قاله فعلا ، ولكن يدل على مدى ما وصل اليه بعض الصوفية من مبالغة في تصوير حاجة المريد إلى الشيخ سواء صح ذلك عنه أم لا .

درجة الطاعة المطلوبة وشعارها .

لقد أغرق بعض الصوفية في تصوير درجة الطاعة المطلوبة من المريد للشيخ واشتهر ذلك عنهم .

فمن ذلك قولهم (أن يكون المريد بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل)(١) ومن شعرهم في هذا الباب قولهم :

كن عنده كالميت عند مغسل * يقلبه كيف يشاء وهو مطاوع(٢)

ومما ورد عنهم ايضا من المبالغات قولهم أن الشيخ لا يقبل مريده حتى يخضعه للامتحان والتجربة مدة قد تصل الى ثلاثة أعوام أى بعد فترة من الامتحان طويلة جدا(٣) .

ويقول الامام القشيري (فمن رده قلب شيخ من الشيوخ فهو الشقي المحروم)(٤) .

ويقول السهروردي (وهكذا أدب المريد مع الشيخ ان يكون مسلوب الاختيار . لا يتصرف في نفسه وماله الا بمراجعة الشيخ وأمره)(٥) .

(١) جولد قسهر . العقيدة والشريعة . ص ١٧ عن طبقات السبكي .

(٢) عبدالرحمن الوكيل . هذه هي الصوفية ص ١٠٠ عن منحة الاصحاب للطربى .

(٣) نيكلسون . الصوفية في الاسلام ص ٣٧ عن كشف المحبوب .

(٤) القشيري . الرسالة ص ٣٢٠ .

(٥) السهرودي . عوارف المعارف ص ٤٠٣

وهذه قصة أخرى يرويها الامام القشيري في رسالته في باب (حفظ قلوب المشائخ وترك الخلاف عليهم) تؤكد شدة المبالغة في هذا الباب عندهم .

يقول القشيري : (ان شقيقا البلخي (*) وأبا تراب النخشي (***) قدما على ابن يزيد(***) . فقدمت السفارة . وشاب يخدم أبا يزيد فقالا له : كل معنا يا فتى . فقال : (أنا صائم) فقال أبو تراب : كل ولك أجر صوم شهر . فأبى . فقال شقيق : كل ولك أجر صوم سنة . فأبى .

فقال أبويزيد : (دعوا من سقط من عين الله تعالى)(١) .

ثم يكمل القصة الامام القشيري فيقول : (فأخذ الشاب في السرقة بعد سنة فقطعت يده)(٢) وهذا هو الغرض من إيراد القصة . أى لبيان عاقبة من ترك طاعة شيخه ولو أمره بافساد طاعة الصوم . التى دخل فيها(٣) وهكذا يصل الأمر عندهم إلى حد أن من قال لشيخه : (لا) . لا يفلح أبدا(٤) فكل هذه مبالغات قد تؤدي إلى مفاسد كثيرة . أقلها الاقرار بالمنكر إن ظهر من أحد الشيوخ - التزاما بهذه الآداب الغربية . وبذلك : يهدم المبدأ الاسلامى العظيم مبدأ (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

(*) هو شقيق بن ابراهيم ، أبوعلى الأزدي ، السلمى طبقات الصوفية ص ٦١ . مات سنة ١٩٤ هـ . المناوى . الكواكب الدرية ص ١٢١ ج ١ .

(**) هو عسكر بن حصين ويقال عسكر بن محمد بن حصين توفي سنة ٢٤٥ هـ . السلمى طبقات الصوفية ص ١٤٦ - ١٥١ .

(***) هو طيفور بن عيسى سبقت ترجمته ص ١٦٨ .

(١) القشيري . الرسالة ص ٢٥٩ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة .

(٣) نقل د . عبدالرحمن الوكيل عن رجل من الصوفية يدعى البكرى شعرا :

وسلم الامر له لا تعترض

ولو بعصيان اتي اذى فرض

وكن لديه مثل ميت فان

لدى مغسل لتبق دان

انظر عبدالرحمن الوكيل . هذه هي الصوفية ص ١٠٠

(٤) السهرودى . عوارف المعارف ص ٤١٠ .

هذا وإن من آدابهم أن لا يدخل المريد في صحبة الشيخ إلا بعد علمه بأن هذا الشيخ أقوم بالتأدب من غيره، ثم يترتب على هذا أن من كان عنده تطلع إلى شيخ آخر لا تصفوا صحبته ولا ينفذ القول فيه ولا يستعد باطنه لسراية حال الشيخ . فالمرید يجب أن يوقن بتفرد شيخه بالمشيخة فتقوى محبته له . فالمحبة هي الوساطة بين المريد والشيخ ، وليس العلم والتقوى ونحو ذلك (١) .

هذا يفسر لنا ما حدث بين أصحاب الطرق المختلف من الصوفية من اختلافات . لأنهم يعتقدون في مشائخهم انهم أعلم أهل الأرض . فكل طائفة يجب أن تثبت ذلك لشيخها . وحيث ان الرابطة بين المريد والشيخ هي المحبة والطاعة - وليس طلب الحق - فلذلك لا يمكن لفريق أن يقر بالحق ان كان في جانب فريق آخر .

استدلّاهم بقصة الخضر مع موسى عليهما السلام

يستدل الصوفية على جواز مبالغتهم في طاعة الشيخ بقصة الخضر مع موسى عليهما السلام يقول السهرودي (*): (وينبغي للمريد انه كلما أشكل عليه شيء من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام ، كيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها موسى ، وإذا أخبره الخضر بسرّها يرجع موسى عن انكاره ، فما ينكره المريد لقلة علمه بحقيقة ما يوجد من الشيخ فللشيخ في كل شيء عذر بلسان الحكمة) (٢) .

(١) السهرودي . عوارف المعارف ص ٤١٠ .

(*) هو عبد القادر بن عبد الله السهرودي صاحب كتاب عوارف المعارف .

(٢) السهرودي . عوارف المعارف ص ٤٠٩ .

شعار الطاعة

ثم إن الصوفية اتخذوا شعارا يدل على اختصاص المريد بشيخ معين . وهذا الشعار هو (لبس الخرقة) .

فالشيخ إذا قبل المريد وأراد أن يدخله تحت دائرة سيطرته ألبسه الخرقة فتكون الخرقة علامة التفويض والتسليم لهذا الشيخ (١) .

وبتسلسل لبس الخرقة من شيخ لآخر تتكون سلسلة من المشايخ وهذه السلسلة يؤكد عليها عبدالحليم محمود لحصول (البركة) للمريد . وبدون هذه السلسلة لا يصل الانسان في نظره الى أى درجة من درجات التصوف حتى البدائية منها (٢) .

آراء شيخ الاسلام ابن تيمية

يخالف الشيخ ابن تيمية الصوفية في النقاط التي تقدم ذكرها عند الصوفية من مبالغة في تصوير حاجة المريد للشيخ ، ومبالغة في تصوير درجة الطاعة الواجبة على المريد تجاه شيخه ، وكذلك مشروعية لبس الخرقة وصحة سندهم في ذلك . وما استدلوا به من قصة الخضر مع موسى عليهما السلام . ويبدى لرأيه واضحا في هذه النقاط كما يلي :

حاجة المريد الى الشيخ عند ابن تيمية

لا شك أن كل طالب علم مبتدئ محتاج إلى من سبقه في مجال العلم الذي يطلبه ليتلقى عنه ذلك العلم . وهذا يحصل بالتلقي المباشر عن المعلم أو قراءة الكتب المختصة بذلك العلم على يد معلم أو أكثر . وهذا عام في كل العلوم . فإن كان طالب ذلك العلم ممن يملك القدرة على القراءة والفهم والتمييز بين الصحيح والسقيم ، ونحو ذلك وكانت مصادر ذلك العلم متوفرة . فلاشك ان حاجته للمعلم تقل عن حاجة من لم يسبق له التعلم مطلقا . وإن كان الجميع محتاجين في بدايتهم إلى المعلم .

(١) السهرودي . عوارف المعارف ص ٩٥ .

(٢) عبدالحليم محمود . المنقذ من الضلال مع ابحاث في التصوف ص ٢٥٩ .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : (وأما انتساب الطائفة الى شيخ معين : فلا ريب أن الناس يحتاجون من يتلقون عنه الايمان والقرآن . كما تلقى الصحابة ذلك عن النبي ﷺ) وتلقاه عنهم التابعون ، وبذلك يحصل اتباع السابقين الأولين باحسان فكما أن المرید يحتاج إلى من يعلمه القرآن ونحوه فكذلك يحتاج إلى من يعلمه الدين الباطن والظاهر . ولا يتعين ذلك في شخص معين . ولا يحتاج الانسان في ذلك أن ينتسب إلى شيخ معين(١) .

بل يؤكد الشيخ ابن تيمية في موقع آخر على أن من أمكنه الهدى من غير انتساب إلى شيخ معين فلا حاجة به إلى ذلك ، ولا يستجب له ذلك(٢) .
إذا فالحاجة إلى المعلم مرتبطة بدرجة العلم والفهم لدى المتعلم أكثر من ارتباطها بمسألة (البركة) التي يؤكد عليها الصوفية .

هذا ما حاول الشيخ ابن تيمية تقريره في أكثر كتبه(*) .
ويخص شيخ الاسلام ابن تيمية (علم السلوك) بأنه من أسهل ما يمكن تلقيه من الكتاب والسنة مباشرة(٣) .

ويستدل الشيخ على ذلك بأن جميع الصحابة رضی الله عنهم ، كانوا يعلمون السلوك بدلالة الكتاب والسنة . لا يحتاجون في ذلك إلى فقهاء الصحابة ومع هذا لم يحصل بينهم نزاع في ذلك كما تنازعوا في بعض مسائل الفقه . (٤)
ويعلل الشيخ ابن تيمية ظهور الحاجة لدى بعض العباد والزهاد إلى تقليد شيخ معين في السلوك ، بأن سبب ذلك هو ما حصل لهم من أعراض عن طلب العلم النبوي الصافي ، الذي يعرف به طريق الله ورسوله(٥) .

(١) ابن تيمية . مجموع الفتاوى ص ٥١٢ ج ١١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥١٤ ج ١١ .

(*) بل هو ما حققه فعلا بنفسه حيث اطلع على أكثر كتب العلم تعقيدا كعلم المنطق وغيره ولم يحتاج في ذلك الى معلم . مع انه نبغ في فهمه ورد عليه بالتفصيل كما جاء في ترجمته .

(٣) ابن تيمية . مجموع الفتاوى ص ٢٧٣ ج ١٩ .

(٤) المصدر نفسه والصفحة .

(٥) المصدر نفسه والصفحة .

أى أنهم حين اعرضوا عن قراءة الكتاب والسنة احتاجوا إلى تقليد الشيوخ في بداياتهم، ثم في أذكارهم وشكل عباداتهم وعددها وأوقاتها. وهذا كله موجود في القرآن الكريم والحديث الشريف باستفاضة. بل ان الشيخ ابن تيمية يؤكد على أن مسائل السلوك من جنس مسائل العقائد كلها منصوصة في الكتاب والسنة. وان كل ما تنازع فيه الشيوخ من مسائل السلوك يوجد في الكتاب والسنة من النصوص الدالة على الصواب فيه ما يفهمه غالب السالكين. وإنما يعود هؤلاء الاقبال على الطريق المشروع وتجنب طريق البدع حتى لا يقع فيهم الخلاف. (١)

حدود الطاعة المشروعة للشيخ من المريد عن ابن تيمية

حدد شيخ الاسلام ابن تيمية طاعة المريد المشروعة لشيخه بما حاصله. ان المسلمين قاطبة لهم مرجع يرجعون إليه. لا يخالفونه قيد أنملة، وذلك المرجع هو الكتاب والسنة.

فان كان الشيخ - مهما علا أمره وارتفع شأنه - يملى على مريديه ما يوافق الكتاب والسنة فنعمت الطريقة ونعم المسلك، وان كان ما يميله عليهم مخالفا للكتاب والسنة. فالواجب رفضه فانه (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) وليس أحدا معصوما إلا رسول الله ﷺ وهذا في الشيخ الذي تثبت معرفته بالدين وعمله به. وأما من كان مبتدعا بدعة ظاهرة. أو فاجرا فجورا ظاهرا فهذا يجب الانكار عليه في بدعته وفجوره لا أن يطاع فيما يأمر به (٢).

ويقول الشيخ ابن تيمية :

(وأن أمر أحد من الشيوخ أو غيرهم بما أمر الله به ورسوله وجبت طاعة الله ورسوله. فان طاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد في كل حال. ولو كان الأمر بهما كائنا من كان) (٣).

(٢) المصدر نفسه ص ٥١٧ بتصرف.

(١) ابن تيمية. مجموع الفتاوى ص ٢٧٣ ج ١٩.

(٣) المصدر نفسه والصفحة.

أما مسألة محبة الشيخ المستوجبة لطاعته العمياء التي سبق أن عرضنا لها عند الصوفية . فهذه المسألة قد أظهر الحق فيها شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله فقال : (وأما من أحب شخصا لهواه مثل أن يحبه لدنيا يصيبها منه أو لحاجة يقوم له بها ، أو لمال يتاكله به ، أو لعصية فيه . ونحو ذلك من الأشياء . فهذه ليست محبة لله . بل هذه محبة لهوى النفس ، وهذه المحبة هي التي توقع أصحابها في الكفر والفسوق والعصيان)(١) ثم يقول الشيخ .

(وما أكثر من يدعى حب مشائخه لله . ولو كان يحبهم لاطاع الله الذي أحبهم لأجله . فان المحبوب لأجل غيره تكون محبته تابعة لمحبة ذلك الغير)(٢) .

ونقول تعليقا على كلام الشيخ ابن تيمية . يمكن أن نرجع الى قصة خادم ابي يزيد التي ذكرناها والتي أمر فيها ابوزيد خادمه بالافطار طاعة لمن دعاه لذلك من الشيوخ الذين كانوا عنده فلما لم يطعمهم في ذلك دعا عليه بدعوة وجد أثرها في خاتمة حياته . (٣)

فهذا أمر من المشائخ بإبطال عمل طيب هو الصوم . مع أنه لا يجوز العقل ولا يوجد في الشرع أن من أفطر يوما طاعة للشيخ يجازى بأجر صوم شهر كما يقول أبوتراب النخشي في القصة ، أو بصوم سنة كما يقول شقيق البلخي .

كيف يعقل هذا والله عز وجل ذكر الاعذار التي يجوز معها الفطر وعقب عليها بقوله تعالى ﴿وان تصوموا خيرا لكم﴾ . فاین هذا من ذاك؟ الفارق هنا بين ما يحبه الله من الصوم وبين ما يحبه أولئك المشائخ من إظهار شدة تسلطهم وعظيم مكانتهم بحيث يستطيعون تحديد كمية الأجر كما يشاؤون فارق كبير . والأمر الذي يصدر من هؤلاء المشائخ هنا ليس على عمل طاعة بل على إبطال طاعة إن صح ذلك عنهم . فهذا هو الفارق بين رابطة تقوم على المحبة المحضة والطاعة المحضبة بين المريد والشيخ وبين رابطة تقوم على المحبة في الله والطاعة في الله بينهما .

(١) ابن تيمية . مجموع الفتاوى ص ٥٢٠ ج ١١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥٢١ .

(٣) راجع ص ١٦٩ من هذا البحث .

حقيقة ما يستفاد من قصة الخضر مع موسى عليهما السلام عند ابن تيمية

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ان قصة الخضر مع موسى عليهما السلام ليس فيها خروج عن الشريعة . وأن أمثال هذه القصة تقع كثيرا للمؤمنين كأن يختص أحد شخصين بعلم بسبب يبيح له ذلك والآخر لا يعلم ذلك السبب وإن كان أفضل منه . وضرب لذلك مثلا بشخصين دخلا بيتا لشخص ثالث . وكان أحد الشخصين يعلم طيب نفس صاحب البيت بالتصرف فيه أما بإذن لفظي له أو بغير ذلك والآخر لا يعلم ذلك . فالأول ان تصرف في البيت فقد أتى مباحا في الشريعة والآخر لا يتصرف فيه لهذا السبب . أى حتى لا يأتي محظورا في الشريعة فخرق السفينة وقتل الغلام وغيره كان من هذا الباب . (١)

مناقشة قصة الخضر مع موسى عليهما السلام ورأى ابن تيمية فيها

وردت قصة الخضر وموسى عليهما السلام في القرآن الكريم في سورة (الكهف) وقد اوضحت هذه القصة معنى تفرد الله عز وجل بالملك والحكمة والارادة والعلم وانه ما من ملك مقرب ولا نبي مرسل الا وعلمه محدود وملكه محدود واراداته محدودة فلا يجوز ولا يمكن لأحد أن يتعدى حدود ما أعطاه الله من علم أو ملك أو إرادة ، وأن لله عز وجل أن يهب من يشاء ما يشاء من ذلك كيف ومتى يشاء .

ولأهمية هذه الآيات ، وما جاء فيها من تفاصيل دقيقة ذات معاني عميقة نورد هذه القصة بكاملها كما جاءت في القرآن الكريم .

قال تعالى : ﴿ فوجدنا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما . قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ، قال إنك لن تستطيع معي صبرا ، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا؟ . قال ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا ، قال فإن اتبعنتي فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا . فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها ، قال : اخرقتها لتغرق أهلها؟ لقد جئت شيئا

(١) ابن تيمية . مجموع الفتاوى ص ٤٢٦ ج ١١ بتصرف .

إمراً. قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا. قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا. فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله. قال: أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا؟. قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا. قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه. قال: لو شئت لاتخذت عليه أجرا.

قال: هذا فراق بيني وبينك. سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا. أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا. وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا. فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما. . وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا. فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك. وما فعلته عن أمري، ذلك تأويل ما لم تسطيع عليه صبرا ﴿١﴾

هذه قصة الخضر وموسى عليهما السلام. فنظر فيها بعين منصفة، وفكر غير متعصب ولا متحيز. بل ننظر فيها بعقل محايد لتبين هل فيها حجة لما يزعمه المتصوفة، أو فيها حجة عليهم.

أولاً: القياس الذي جاء في كلامهم بين ما يجب للشيخ منهم وما جاء في قصة الخضر قياس مع الفارق كما تقدم فإن الشيخ الذي أوجبوا على المريد طاعته شخص عادي مكلف بما جاء به النبي ﷺ أما الخضر عليه السلام فهو شخص منحه الله تعالى من عنده رحمة وعلمه من لدنه علما - كما جاء في النص الكريم - فأين شيخ الصوفية من هذا الشخص الذي ميزه الله تعالى وأنزل فيه آية في كتابه الكريم وأخبر أنه غير مأمور بشريعة موسى بل علمه من الله مباشرة.

(١) الآيات من ٦٥ الى ٨٢ من سورة الكهف.

ثانيا: بعد هذا الفرق العظيم بين الخضر عليه السلام وبين غيره من المشائخ فإن موسى عليه السلام لم يكن مطيعا للخضر طاعة عمياء . كما هو مطلوب من المريـد في التصوف . بل كان يعارضه ويناقشه فيما جاء ليتعلمه منه . كما جاء في الآيات المذكورة فعارضه في خرق السفينة (أخرقتها لتغرق أهلها؟ لقد جئت شيئا أمرا) . وعارضه وناقضه في قتل الغلام (أقتلت نفسا زكية بغير نفس؟ لقد جئت شيئا نكرا) وعارضه أيضا في إقامة الجدار في قرية أبي أهلها أن يضيفمهما . (لو شئت لاتخذت عليه أجرا) .

وبعد هذا فلم يترك موسى الخضر حتى نبأ بالحكمة فيما أتاه من أعمال . . فهل كان موسى في هذه القصة مطيعا للخضر الطاعة العمياء التي يطلبها الصوفية من المريـد؟ فأين الحجة في طلب الطاعة العمياء من المريـد للشيخ . في هذه القصة؟ إلا إذا قلنا أن موسى عليه السلام كان مخطئا في كل ما فعله مع الخضر عليهما السلام . وهذا ما لم يقله القرآن . وحاشا أن يتكرر الخطأ من النبي بهذه الصورة إن كان ذلك خطأ فعلا . والدليل من القرآن الكريم أن الخضر عليه السلام قال لموسى عليه السلام في أول صحبتها (إنك لن تستطيع معي صبرا) .

أى أنه كان يعرف أن موسى عليه السلام لتمسكه بالشرع الذى أنزل الله إليه سيندفع إلى إنكاره ما يراه منكرا ولو صدر عن الخضر نفسه لأن هذا هو الوضع السليم للمؤمن الحق .

ولكن حين يعرف سر العمل الذى أنكره ويعلم انه صادر من الله تعالى لا من عبد مثله لا يملك لنفسه ضررا ولا رشدا هنا يرتفع الانكار ويحل محله الاستسلام والطاعة . لذلك قال الخضر لموسى عليهما السلام في نهاية صحبتها (وما فعلته عن أمرى . . ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) .

وبعد هذا الشرح يتضح لنا أن القصة فيها حجة على الصوفية لا لها وإن طرد كلام الصوفية يؤدى إلى التسليم بأن الشيخ والولى يجوز أن يأتى بما ينكره الشرع ويجب على المريـد حينئذ أن يتبعه في ذلك بدون إنكار عليه . وهذا غاية الفساد والضلال والعياذ بالله .

مع أن القصة ليس فيها خروج على الشريعة . كما بين الشيخ ابن تيمية ، وأن أمثالها يحدث كثيرا لمجرد اطلاع شخص على أمر من الأمور دون أن يطلع عليه الشخص الآخر . وإن كان ذلك أمرا معلوما عند بقية الناس .

وأما بالنسبة للشرع الاسلامي اليوم فليس يخفى على عامة المؤمنين وخاصتهم شىء منه . . . وإن جهله شخص أو أكثر فلا عبرة بانكارهم أن أنكروا ما يعلمه عامة المؤمنين وعلمائهم من الدين . أما أن يأتى شخص أو جماعة ما ينكره جماعة المسلمين وعلمائهم متأولين شيئا من الدين أو مدعين أن عندهم علما خاصا بهم دون جماعة المسلمين . فهذا لا يسلم لهم اطلاقا فقد ثبتت قواعد الدين ، وختمت الرسالات برسالة محمد ﷺ وكملت الرسالة في حياته ﷺ كما قال تعالى :

﴿ . . . اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام

دينا﴾ (١)

(١) الآية ٣ من سورة المائدة .

لباس الخرقه في رأى الشيخ ابن تيمية

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية عن الخرقه التى سبق ان عرفنا ان الصوفية اتخذت منها شعارا للطاعة المستوجبة من المريد لشيخه وان فيها سلسلة البركة . يقول الشيخ (وأما لباس الخرقه التى يلبسها بعض المشائخ المريدين . فهذه ليس لها أصل يدل عليها الدلالة المعتبرة من جهة الكتاب والسنة ، ولا كان المشائخ المتقدمون وأكثر المتأخرين يلبسونها المريدين . ولكن طائفة من المتأخرين أرادوا ذلك واستحبوه)(١) .

ثم يبين الشيخ أن ما توهمه بعض الصوفية من أدلة اعتبرت أساس لفكرة الخرقه ليس فيه دليل على الوجه الذى يفعلونه .

فمن ذلك أن النبى ﷺ ألبس أم خالد بنت سعد بن العاص ثوبا . وقال لها (سنا)(٢) .

وكذلك يستدلون به من حديث البردة التى نسجتها امرأة للنبى ﷺ فسأله إياها بعض الصحابة فأعطاه إياها .

فكل هذا ليس فيه دليل على مشروعية لبس الخرقه - بغض النظر عن درجته من الصحة - فان اعطاء الرجل لغيره ما يلبسه كاعطائه إياه ما ينفعه وأخذ ثوب من النبى ﷺ على وجه البركة كأخذ شعره على وجه البركة .

وليس هذا كلبس ثوب او قلنسوة على وجه المتابعة والاقتداء على الوجه الذى يريده الصوفية . فإن الصوفية يريدون بلبس الخرقه اختصاص المريد بمتابعة شيخ معين دون غيره من المشائخ واعتقاد انه أفضلهم كما سبق ومرارا معنا . وانهم بلبس الخرقه قد حملوا العهد من هذا الشيخ فلا يصح لهم ترك طريقته وغاية ما يراه الشيخ ابن تيمية في موضوع خلع الملابس على المريدين . هو أن يكون ذلك على سبيل الاباحة ولا يجوز أن يجعل طريقا إلى الله سبحانه وتعالى(٣) .

(١) ابن تيمية . مجموع الفتاوى ص ٥١٠ - ٥١١ ج ١١

(٢) يقول الشيخ : والسنا بلغة الحبشة الحسن انظر ابن تيمية . مجموع الفتاوى ص ٥١١ ج ١١ .

(٣) ابن تيمية . مجموع الفتاوى . ص ٥١١ ج ١١ .

الفصل الثالث من الباب الثالث

الكرامات

ماهية الكرامة ؟

أقسام الخوارق. أقسام الخوارق عند الاشاعرة. أقسامها عند المعتزلة.

نقاش واستنتاج

رأى شيخ الاسلام ابن تيمية في الموضوع

الفرق بين الكرامات وغيرها

الفرق بين الولى الصادق، والدعي الكاذب

الفصل الثالث

الكرامات وما يتعلق بها

ماهية الكرامة

يقول السيد الجرجاني(*) : الكرامة : هى ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقارن لدعوى النبوة(١) . ويعتمد كثير من الناس على الكرامات كشاهد يثبت وصول صاحبها إلى درجة عظيمة في الولاية لله عز وجل ولكن هذا المسلك أدى إلى الخلط بين الأولياء الحقيقيين الذين تحصل لهم كرامات حقيقية وبين الأدعياء الدجالين الذين يظهرون بعض المخاريق الشيطانية على أنها كرامات وهى ليست كذلك . وقد نشأ هذا الخلط من اشتراك الكرامة مع غيرها في خرق العادة . وإذا رجعنا إلى أصل خرق العادة هل هو مسلم به من جميع المفكرين أولاً؟(٢) .

نجد أن المفكرين انقسموا في ذلك الى فريقين : فريق منع ذلك مطلقاً وهم الفلاسفة الطبيعيون ومن شابههم من الملاحدة الذين قالوا أن قوانين الكون أزلية وأبدية لا تفنى ولا تتجدد ولا تخرق مطلقاً وهؤلاء جميعاً كفار ملاحدة لا يؤمنون بوجود إله خالق للكون يتصرف في ملكه بما يشاء وكيف يشاء .

وفريق آخر جوز الخوارق . وهم أهل الأديان والفلاسفة الإلهيين المؤمنين بالنبوات . ويعتقد بعض هؤلاء أن خرق العادة جائز مطلقاً كما حكى ذلك ابن تيمية عن فريق من الجهمية . قال ابن تيمية عنهم (فكل ما خرق لنبي من العادات يجوز أن يخرق لغيره من الصالحين . بل ومن السحرة والكهان ، لكن الفرق أن هذه تقترن بها دعوى النبوة وهو التحدى . وقد يقولون أنه لا يمكن أحداً أن يعارضها بخلاف تلك)(٣) .

(*) هو السيد الشريف على بن محمد بن على الجرجاني الحنفى عاش بين عامى ٧٤٠ - ٨١٦ هـ وله عدة مؤلفات مهمة في علم الكلام .

(١) الجرجاني . التعريفات ص ١٦١ ط ١٣٥٧ هـ القاهرة .

(٢) العادة المقصودة هنا (العادة الكونية) أى القوانين والنوايس التى يسير عليها الكون .

(٣) ابن تيمية . النبوات ص ٣ .

ولقد أثبت الامام سعد الدين التفتازانى في شرحه للمقاصد هذا الرأى للأشاعرة فقال: (والمرضي عندنا تجويز جملة خوارق العادات في معرض الكرامات. وإنما تمتاز عن المعجزات بخلوها من دعوى النبوة. حتى لو ادعى الولي النبوة صار عدوا لله لا يستحق الكرامة، بل اللعنة والاهانة)(١).

فكلام السعد هذا يدل على جواز خرق العادة عند الاشاعرة في معرض الكرامات أما حكمة (امتناعها في معرض المعارضة للأنبياء) فمعناه انها قد توجد مع عدو الله على سبيل الاهانة واللعنة لا على سبيل التأييد والكرامة.

أقسام الخوارق عند الاشاعرة

والواقع أن الأشاعرة يقسمون الخوارق إلى ستة أقسام بالتفصيل أو أربعة اقسام بالاجمال، فالأقسام الستة هي :

- | | |
|--------------|--------------------------|
| ١- الارهاص | للأنبياء قبل النبوة |
| ٢- المعجزة | للأنبياء مع النبوة |
| ٣- الكرامة | للأولياء |
| ٤- المعونة | لعامة المؤمنين |
| ٥- الاستدراج | للكفار ومن في حكمهم |
| ٦- الاهانة | لمدعى النبوة من الكذابين |

أما الأقسام الأربعة الكبار فهي ١- المعجزة ٢- الكرامة ٣- المعونة ٤- الاهانة(٢)

أقسام الخوارق عند المعتزلة

وخالف في ذلك المعتزلة فقصروا الخارق على معجزة الأنبياء وحدها واعتقدوا انه لو جاز أن تحدث الخوارق بغير الأنبياء لاشتبه الأمر بحيث يمكن لمدعى النبوة كذبا

(١) سعد الدين التفتازانى . شرح المقاصد ص ٢٠٣ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

أن يستدل بشيء من ذلك على صدق مدعاة مع كونه كاذبا وهو محال . وقد أولوا كل ما ثبت بالكتاب والسنة من خوارق لغير الأنبياء بأنها وإن جرت على يد غير الأنبياء فانما هي في الحقيقة من معجزات الأنبياء الذين حدث في عهدهم تلك الخوارق .
فمثلا ما جرى لمريم بنت عمران إنما كان من المعجزات الدالة على نبوة عيسى عليه السلام ونحو ذلك .

نقاش واستنتاج

وبمناقشة المسألة من أساسها نجد أن خرق العادة ليس فيه من الشذوذ سوى أن الله عز وجل يخالف عادته في تحقيق بعض الأمور على النمط الذي كانت تتحقق عليه . فيحققها على نمط آخر لم يكن معهودا من قبل .

ولو كان هذا النمط الأخير هو الجاري في تحقيق ذلك الأمر من قبل لما شعرنا بغرابة تحققه . بل سوف نشعر عند تغييره الى نمط آخر بأن في ذلك خرق للعادة . لأن معنى كون الشيء عاديا أن يتحقق مرات عديدة على نمط واحد ، فهل اطراد الشيء على نمط واحد يمنع أن لا يتحقق على خلافه؟

وهل هذا الاطراد يوجب العقل حتى لا يمكن ان يتخلف؟

الجواب كلا لأن خرق العادة من الممكنات لا من المستحيلات عقلا فمثال المستحيل عقلا هو أن يوجد الجسم بذاته في مكانين مختلفين في آن واحد مثلا أو أن يكون البعض أكبر من الكل . ومثال الممكن ان الاكمة جرت عادة الله أن لا يخلق فيه العين المبصرة بعد أن ولد أكمه . فهل هذه العادة تصلح لأن تكون مانعا ان يخلق الله تعالى فيه عينا مبصرة بعد ولادته؟

الجواب كلا فقد خلق الله تعالى لملايين الناس عيونهم وهم في بطون اماتهم أفلا يمكن أن يفعل ذلك بعد ولادتهم . وغاية ما في الأمر أن يصير الأكمة مبصرا بعد أن كان أكمها . وأى استحالة في هذا؟

كذلك عصا موسى عليه السلام كسائر العصي قطعة من الخشب شاء الله تعالى أن لا يخلق فيها الحياة . وليس هنا أي باعث عقلي يوجب ذلك . فاذا خلق الله تعالى فيها الحياة لم يلزم أى محال لم يلزم في وجود الجسم في مكانين في آن واحد .

فالعصا جسم خشبي خال من الحياة وقد جرت عادة الله أن يبقوها على جماديتها دون حياة فإذا خلق فيها الحياة صارت جسما حيا، ولكن كل حى فى الماديات جسم حى وأى محال فى هذا؟ وبهذا يتضح أن خرق العادة شىء ممكن فى ذاته وليس بمحال، بقى أن نناقش الاشاعة ومعهم سعدالدين فى عدم تفريقهم بين المعجزات والكرامات حتى قال السعد - كما سبق ان نقلناه (والمرضى عندنا تجوز جملة خوارق العادات فى معرض الكرامات)(١).

فان كلامهم هذا يفتح الباب أمام خصوم الأنبياء لأن يقولوا أن حدوث الخارق بعينه على يد النبى وعلى يد غيره ممن لا يدعى النبوة يقضى الى تكذيب النبى فى مدعاة أنه أتى بشىء لا يأتي به أحد غيره.

ولقد استشعر السعد هذا الاشكال فرد عليه بقوله ان مراد النبى فى قوله (انى أتيت بشىء لا يأتى به أحد) أى من المخالفين المتحددين وليس من الاتباع الموافقين وبهذا يكون حدوث نفس الخارق على يد المولى التابع للنبى لا يقدح فى صدق النبى الذى جرى على يده نفس الخارق. لأن النبى لم يقصد ان يتحدى به اتباعه.

والحقيقة أن هذا الرد من السعد لا يفيد حل الاشكال نهائيا لأن الواقع أن معجزات الأنبياء التى هي دليل صدقهم لا يجوز أن يأت بها أحد غيرهم لا من المخالفين ولا من الموافقين. لأن المعنى فى إعجازها أنها لا تتكرر لغيره ممن ليس فى منزلته. لأنها إذا أتت على يد غيره لا تصلح أن تكون شاهدة على صدقه هو فقط. لأن أساس هذه الشهادة هو عجز غيره عن الاتيان بمثل ما أتى به حتى تبقى معجزته حاملة أسرار الاعجاز دائما.

فلو حدثت نفس المعجزة على يد غيره ولو من الاتباع جاز للخصم أن يدعي أن هذا أمر عادي وليس بمعجز بدليل حدوثه على يد أكثر من واحد من البشر ممن لا يدعى النبوة وبهذا يبقى الاشكال قائما على كلام السعد.

(١) راجع نفس البحث ص ١٨٣.

رأي ابن تيمية في الموضوع

ولكن للامام ابن تيمية رحمه الله تحقيق حاسم في هذا المقام يدفع هذا الاشكال الذي عجز السعد عن دفعه .

قال ابن تيمية ما حاصله أن كرامات الأولياء ومعجزات الأنبياء من جنس واحد بلا ريب . ولكن كرامات الصالحين لا تبلغ مثل معجزات الأنبياء والمرسلين كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم . ولكن قد يشاركونهم في بعضها كما قد يشاركونهم في بعض أعمالهم .

والمعمول عليه في الشهادة على صدق الأنبياء في نبوتهم معجزاتهم الكبرى ، وهذه لا يظهر مثلها على يد أحد سواء من المعارضين أو الموالين .

أما التوابع والنوافل التي لا يعتمد عليها استقلالاً في الشهادة على صدق الأنبياء فيجوز أن يظهر مثلها على يد الأولياء كرامة لهم ودلالة على صدق النبي الذي اتبعوه وهذا لا يطعن في صدق الأنبياء بل يؤيده .

أما ما يروى من أمور كبار حدثت على يد بعض الصحابة رضى الله عنهم كما صارت النار بردا وسلاما على أبي مسلم الخولاني . ونحو ذلك . فقد خرجها ابن تيمية على أنها ليست مجرد كرامات لهؤلاء الصحابة بل هي من معجزات النبي المتأخرة عنه بمنزلة الارهاصات التي تتقدم مبعثه (١) .

وهذا يكون ابن تيمية قد وضع قواعد واضحة للتمييز بين المعجزة والكرامة فالمعجزة شيء عظيم لا يحدث إلا لنبي دلالة على صدقه ، أما الكرامات فانها وإن كانت من جنس المعجزات لأن مصدرها واحد هو الله عز وجل ولأنها خارق حقيقى للقوانين والنواميس الكونية بقدرة الله وليست كالسحر والشعوذة كما سيأتى التفريق بينها وبينهم الا أن الكرامة من التوابع والنوافل التي لا تصل إلى حد المعجزات الكبرى .

(١) انظر كلام ابن تيمية في هذا الموضوع في كتاب النبوات ص ٢ وما بعدها .

ويشارك ابن تيمية المعتزلة في القول بأن ما حدث من أمور كبيرة على يد الصحابة إنما هو من المعجزات الخاصة بنبي هذه الأمة وإن جرى على يد تابعة فلا يصح ضمه الى جملة الكرامات. إلا أن المعتزلة تعمم ذلك في كل ما يحدث من خوارق للأولياء وتتخذ من ذلك ذريعة لمنع الكرامات أما ابن تيمية فيخصصه بما كان منها في درجة المعجزات التي جرت للأنبياء فعلا.

ولقد رد ابن تيمية على المعتزلة انكارهم للخوارق على المعجزات بأن هذه موجودة مشهورة لمن شهدا متواترة عند كثير من الناس أعظم مما تواترات عندهم بعض معجزات الأنبياء.

الفرق بين الكرامات وغيرها من أنواع السحر والشعوذة

يستتبع موضوع البحث في الكرامة من جهة نبوتها ومنزلتها بالنسبة للمعجزة ان تميز بينها وبين السحر والشعوذة، ونكتفى هنا بما بذله ابن تيمية من جهد مشكور لظهور الفرق بين الكرامة وبين السحر والشعوذة بشكل لم أجد له مثيلا في الدقة والوضوح عند غيره.

فابن تيمية يتخذ من النبوة أساسا للتمييز بين ما يسمى بمعجزات وكرامات وبين ما يسمى سحر أو شعوذة وكهانة.

فآيات الأنبياء وبراهينهم ومنها كرامات الصالحين لا توجد الا مع النبوة والايان بها ولا توجد مع ما يناقضها أبدا. أما خوارق الكهان والسحرة والمشعوذين. فلا توجد إلا مع ما يناقض النبوة لأن السحر والكهانة والشعوذة تناقض النبوة بلا شك.

والناس رجالان: رجل موافق للأنبياء ورجل مخالف لهم. فالمخالف مناقض وإذا كان كذلك فيقال جنس آيات الأنبياء خارجة عن مقدور البشر بل وعن مقدور جنس الحيوان.

وأما خوارق مخالفهم كالسحرة والكهان فإنها من جنس أفعال الحيوان مقدور لجنس الحيوان أو الجان أو الإنسان.

فآيات الأنبياء وكرامات الأولياء مما لا يختص غير الرب بالقدرة عليه لأن فيه خرق حقيقى للقوانين الكونية قد يصل إلى تغيير جنس إلى جنس آخر.

أما خوارق الكهان وغيرهم فهي لا تصل الى هذا الحد. بل لا تتعدى ما هو في مقدور الانس أو الجن فهي اما تصرف في أعراض الحى بالحركة أو الموت أو المرض أو أخبار بأمور غائبة عنم أخبر بها بينما هي لا تكون غيبا بالنسبة لمن حضرها من الجن الذين ينقلونها مع الكذب فيها.

وأما ما يخبر به الرسل من الأمور البعيدة والكبيرة مفصلا فهذا لا يقدر عليه جن ولا أنس والحاصل أن ابن تيمية ينبه إلى أن خوارق السحرة والكهان والمشعوذين ليست في الحقيقة إلا أمور مقدورة لبعض المخلوقات دون البعض الآخر.

بينما لا تكون آيات الأنبياء وما في حكمها ككرامات الصالحين من هذا القبيل مطلقا وأخيرا يمكن أن يقال أن الكرامات مسألة دينية لا يقف في سبيلها اعتراض ولا إبطال فقد كان العمدة في إبطالها التباسها بالمعجزات فكان في إثباتها تشويش على معجزات الأنبياء وطعن في صدق دعواهم أو اشتباهها بالسحر والكهانة. ولكن بما حققه الامام ابن تيمية اندفع هذا الاشكال بشكل حاسم.

وفوق هذا كله انتقاء المانع من الكرامات فقد ثبت بما يشبه التواتر كرامات كثيرة لكثير من الصالحين في العصر الأول وما يليه عن الثقات الذين لا يتطرق إلى رواياتهم الشك ولا التكذيب. فنقل ابن تيمية من ذلك في رسالة الفرقان وغيرها كثيرا من الروايات منها:

١- أن أسيد بن حضير (رضى الله عنه) كان يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة نزلت لقراءته (١). والملائكة كانت تسلم على عمران بن حصين (٢) ويؤيد هذه الرواية في نظرنا قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَابْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣).

(١) ابن تيمية. الفرقان من أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٨١.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

(٣) آية ٣٠ من سورة فصلت.

٢- وان سلمان وابو الدرداء كانا يأكلان من صحيفة فسبحت الصحيفة أو سبح ما فيها . وهذا ما يشهد له قوله تعالى ﴿وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحه﴾ (*) الآية . فلا يبعد أن يسمعها الله تسبيح تلك الصحيفة كرامة لهما .

٣- وان عباد بن بشر وأسيد بن خضير خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة فاضاء لهما نور مثل طرف السوط فلما افترقا افترق الضوء معهما . (١) ولقد ذكر هذه الرواية الامام البخاري عن أنس رضى الله عنه بلفظ (ان رجلين خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة وإذا نور بين ايديهما حتى تفرقا فتفرق النور معهما) (٢) . ثم عقب البخارى على هذه الرواية برواية أخرى ذكر فيها أن الرجلين هما أسيد بن خضير وعباد بن بشر . رضى الله عنهما (٣) .

٤- وان خبيب بن عدى كان أسيرا عند المشركين بمكة . وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنب (٤) .

وهذا يشهد له قوله تعالى ﴿ . . . كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ (**) فمريم من الأولياء الصالحين بلا شك وقد سجل القرآن لها هذه الكرامة فلا يبعد أن تتكرر مثلها لمن هم في مثل حالها من الولاية والصلاح .

٥- وقصة سيدنا عمر بن الخطاب مع سارية الشهيرة وغيرها فضلا عما جاء في القرآن الكريم في هذا الصدد مما يعرفه الجميع .

(١) ابن تيمية . الفرقان بين الأولياء ص ٨١ .

(٢) ، (٣) ص ٣١٣ ج ٢ صحيح البخارى باب منقبة اسيد بن خضير وعباد بن بشر . ٥

(٤) ابن تيمية . الفرقان ص ٨١ . .

(*) الآية ٤٤ من سورة الاسراء .

(**) الآية ٣٧ من سورة آل عمران .

الفرق بين الولي الصادق والدعى الكاذب

ومما يتعلق بتمييز الكرامة عن غيرها من خوارق العادات التمييز بين الولي الذي يجوز ان تحدث له الكرامة وبين من هو أعلى منه منزلة وهو النبي . أو من يدعى مثل منزلته كذبا وهتانا وهو المشعوذ والساحر وغيرهم .

فأما الفرق بين النبي وبين الولي من جهة الخارق الذي يجري على يد كل منهما فقد علمنا أن النبي تجري على يده المعجزات وهي نوعان سباه ابن تيمية معجزات كبرى وهي دليل صدقه، ونوع من التوابع والنوافل سباهها معجزات صغرى .

والولي تحدث على يده الكرامات وقد تشبه بالمعجزات الصغرى أو تماثلها ولكن فإن النبي يختص بالعصمة دون الولي، فالمعجزة للنبي دليل على عصمته من الخطأ فيما أرسل من أجله وهو التشريع . أما الولي فكرامته إنما تدل على صدق النبي الذي آمن به هذا الولي واتبعه في شريعته ولا تدل بحال على عصمته هو من أن يخطئ في بعض أعماله أو عباداته أو توجيهاته لأنه لم يرسل ويصطفى من الله عز وجل لهذا الغرض كالنبي وإنما هو مجتهد فيه أما النبي فقد اصطفاه الله من عباده لهذا الغرض . ومن هنا وجبت طاعة النبي مطلقا بينما لا تجب طاعة الولي مطلقا إلا فيما له عليه دليل شرعى واضح .

وفارق آخر بين المعجزة والكرامة . هو أن الكرامة تحدث بحسب حاجة الولي فإذا احتاج إليها لتقوية إيمانه جاءه منها ما يكفيه لتقوية إيمانه أو احتاج إليها لفك ضيق عليه أو على من يدعوه جاءه من ذلك ما يفرج كربته ويجيب دعاءه بخلاف المعجزات فإنها لا تكون إلا لحاجة الخلق وهدايتهم . (١)

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية ما نصه (وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول ولا تدل على أن الولي معصوم . ولا على أنه يجب طاعته في كل ما يقوله .

(١) ابن تيمية . الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٧٧ .

ومن هنا ضل كثير من الناس من النصارى وغيرهم ، فإن الحوار بين مثلاً كانت لهم كرامات كما تكون الكرامات لصالحى هذه الأمة . فظنوا ان ذلك يستلزم عصمتهم كما يستلزم عصمة الأنبياء ، فصاروا يوجبون موافقتهم في كل ما يقولون وهذا غلط(١).

والحقيقة أن كثيرا من المسلمين أيضا قد وقع فيما وقع فيه النصارى من الخطأ الذى ذكره ابن تيمية - فبمجرد أن يشتهر شخص بشيء من الكرامات ترتفع درجة الثقة في أقواله وتوجيهاته وأوامره ونواهيه إلى حد أن أكثر الناس لا يقبل فيها جدلاً بتاتاً ولا يعرضها على ما جاء في الكتاب والسنة أو لربما كان الرجل واحداً في بعض أموره ولم يتحقق من صحتها مع صلاح نيته ولكن هذا الصلاح فيه لا يوجب اقراره على الخطأ إذا علم فيه كما لا يمنع من الرد عليه إذا لزم الأمر.

ولكننا إذا رجعنا إلى الصوفية نجد أن كثيرا منهم يقيسون منزلة الولي الدينية بمقدار ما يجرى على يديه من كرامات . ومن هنا نجدهم يتسابقون في تخصيص كل واحد من مشائخهم بنوع من الكرامات لا ينافسه فيه غيره . كاختصاص الرفاعية بامساك الثعابين وعدم التأثير بسمها(٢) . الخ .

وقد وصل الأمر ببعضهم إلى إدعاء أمور كبيرة لا يجوز أن تحدث لنبي من الأنبياء فضلاً عن الولي . كما يحكى الشعراني عن على الخواص انه كان محل كشفه اللوح المحفوظ(٣) .

فهذا وإن كان محض افتراء ممن قال به وتكذبه الآيات القرآنية كقوله تعالى ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ . *

لكن هذا الافتراء يبين لنا مدى ما وصل إليه حال بعض الصوفية من اعتماد على الكرامات كوسيلة توصلهم الى درجة مرموقة من الولاية عند الجماهير.

(١) ابن تيمية . النويات ص ٥ وقارن ص ٢٩ الفرقان بين الأولياء .

(٢) صلاح عزام . اقطاب التصوف الثلاثة ط الشعب عام ١٣٨٨هـ .

(٣) الشعراني . طبقات الصوفية . ص ١٣٥ ج ٢ .

(*) الآية ٢٦ سورة الجن .

وما كانت مثل هذه الأمور لتتطلى على بعض المسلمين لولا اشتباه الأمر عندهم في خصائص الأولياء بحيث اعتقدوا أن من تحدث على يديه الكرامات يكون معصوما كأنه من الأنبياء فكل ما يقوله أو يأمر به يجب تصديقه وطاعته فيه .

وأما تمييز الولي الصادق الذي قد تجرى على يديه الكرامات من الدعي الكاذب الذي يموه على الناس ويخدعهم . فانما يكون ذلك بحسب صلاحه وتقواه من قيامه بالفرائض والنوافل واتقائه الكبائر والصغائر واتصافه بالصفات الكريمة واستدامته عليها . فان اتصف شخص بكل هذه الصفات الطيبة وعرفت عنه ثم حدث على يديه شيء من الخوارق فيما لا يخالف الشرع فيجوز أن يطلق على ذلك الخارق اسم كرامة أما أن كان الرجل على خلاف ذلك مشتهرا بالفسق والفساد والضلال وغير ذلك فان كل ما يجرى على يديه لا يعتد به بالغما ما بلغ والله أعلم .

الفصل الرابع من الباب الثالث

مسألة المذوبين

الفصل الرابع مسألة المجدوبين

ظاهرة (المجدوبين)

لقد شاع في المجتمع الاسلامى - يا للأسف - ان بعض المعتوهين الذين يسرون في الطرقات بغير ائزان أو يبدو على بعضهم أنه يهمل نفسه من جهة النظافة ومن جهة العبادة، ويغلب على أكثرهم عدم الاتصاف بالعلم والتقوى ونحو ذلك شاع عن هؤلاء انهم أولياء لله (مجدوبين) لا يعترض عليهم خشية ان يصيب المعترض مالا يحمد عقباه. عملاً بحديث (من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة) الذى سبق ذكره - وهذا الأمر مما أشاعه الصوفية المنحرفون كما سيأتى :

رأى الصوفية فيهم

يتملىء كتاب طبقات الشعرانى (*) بقصص لامثال هؤلاء الذين تقدم ذكرهم وأوصافهم من المعتوهين، ويقول عنهم المؤلف أنه عاصر الكثير منهم بنفسه وهو يصفهم بالفضل والصلاح ثم يذكر من أخبارهم مالا يصدر إلا عن معتوه أو فاجر، أو نحو هؤلاء.

فمن ذلك ما ورد في خبر شيخ من الشيوخ الذين ترجم لهم من أنه كان يغلب عليه الحال فيتكلم بالألسن العبرانية والسريانية والعجمية، وتارة يزغرت في الأفراح والأعراس كما تزغرت النساء. وجاء شيخ آخر فرآه ملتفتاً لنظافة ثيابه فقال إن كنت تطلب الطريق فاجعل ثيابك ممسحة لأيدى الفراء. فكان كل من أكل سمكا أو زفرا يمسح في ثوبه يده مدة سنة وسبعة شهور حتى صارت ثيابه كثياب الزبالين أو الساكين (١).

(*) هو عبد الوهاب الشعرانى صاحب كتاب الطبقات الصوفية الكبرى توفى عام ٩٧٣ انظر جبهة الاولياء. محمود المتوفى ص ٢٦١ ج ٢.

(١) انظر الشعرانى. الطبقات الكبرى. ص ١١٥ في ترجمة الشيخ (محمد السرورى ت عام ٩٣٢هـ).

وجاء في خبر شيخ آخر انه كان يتشوش من قول المؤذن (الله أكبر) فيرجه ويقول
(عليك يا كلب . نحن كفرنا يا مسلمين حتى تكبروا علينا)(١).

فهذه أخبار اناس ليس لهم مسحة من عقل بل أفضل ما يمكن أن يقال عنهم أنهم
معتوهون ومع هذا فان الشعراني يثنى عليهم أشد الثناء ويكثر من ذكر استفادته هو
شخصيا منهم فمن ذلك قوله في وصف أحدهم (وكان أغلب أوقاته واضعا وجهه في
حلق الخلاء في ميضأة جامع الحاكم . ويدخل الجامع بالكلاب . . . ولم يزل ممقوتا إلى
أن مات ، وكان رجلا قصيرا في يده عصا وفيها حلق(*) وشخا شيخ(**) وكان
يعرج)(٢). ثم يقول عن نفس هذا الشيخ : (دعا لي مرة بأن الله يصبرني على
البلوى ، وحصل لي ببركته بعض ذلك)(٣).

فهذا الذي ذكره الشعراني في هذا الكتاب وان كان لا يعبر عن رأى الصوفية
جميعهم إلا أنه يدلنا على سبب انتشار هذه الخرافات في العالم الاسلامى ومصادر ذلك
الضرر الخطير الذى أصاب المجتمع الاسلامى وشوه صورته الناصعة .

(١) انظر الشعراني . الطبقات الكبرى ص ١٢٦ في ترجمة الشيخ (ابراهيم عصفرت عام ٩٤٢هـ).

(*) حلق . جمع حلقة .

(**) شخا شيخ . جمع شخشيخه وهى لعبة من لعب الأطفال .

(٢) الشعراني . الطبقات الكبرى ص ١٢٩ .

(٣) المصدر السابق نفسه والصفحة .

ما هو الجذب ؟

لم أجد تعريف الجذب في كتب الصوفية المشهورة ، ولكن يبدو أنه مأخوذ من مادة (جذب ، يجذب) المعروفة . ولقد عرف السيد الجرجاني(*) كلمة (المراد) بقوله : (هو عبارة عن المجذوب عن إراداته)(١) . وحيث قد عرفنا سابقا أن (المراد) هو من اجتباه الله واختاره لعبادته . فان حاصل هذا كله يعطينا أن معنى (مجنذوب) أى مسلوب الإرادة .

(والجذبة) في اصطلاح الصوفية هي (تقريب العبد لمنازل الحق)(٢) . وقد جاء في تعريف الشيخ ابوبكر الكلاباذي(**) لكلمة (مراد) بقوله : هو الذى يجذبه الحق جذبة القدرة ويكاشفه بالاحوال فيثير قوة الشهود منه . اجتهدا فيه واقبالا عليه وتحملا لاثقاله كسحرة فرعون لما كوشفوا بالحال فى الوقت سهل عليهم تحمل ما توعدهم به فرعون فقالوا : (لن نؤثر على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاضٍ . إنما تقضى هذه الحياة الدنيا)(٣) يشير الى كونهم رجعوا الى الحق فى لحظة يعبر عنها عند الصوفية بجذبة القدرة . وهى اللحظة التى يرتقى فيها الشعور بالايان الى درجة تتمحى فيها بعض الصفات البشرية الطبيعية كالخوف والرهبه من السلطان الطاغية كما حصل لهؤلاء السحرة الذين آمنوا مع موسى عليه السلام فجرؤوا على أن يقولوا له (فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذد الحياة الدنيا) بينما كانوا قبل لحظات من حديثهم هذا يخاطبونه بكل تذلل وخشوع واعتراف له بالسلطان والملك والجبروت (قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين)(٤) .

(*) هو السيد الشريف على بن محمد الجرجاني الحنفى عاش بين عامى ٧٤٠ - ٨١٦هـ .

(**) هو ابوبكر محمد بن اسحق الكلاباذى المتوفى سنة ٣٨٠هـ ٩٩٠م

(١) الجرجاني . التعريفات ص ١٨٤ .

(٢) المنوفى . جبهة الأولياء ص ٣٠١ ج ١ .

(٣) الآية ٧٢ من سورة طه . وانظر الكلاباذى . التعرف ص ١٠٧ .

(٤) آية ١١٣ - ١١٤ من سورة الاعراف .

فالجذب بهذه الصورة أمر معروف في الشرع وقد امتلأ التاريخ الاسلامى بأخبار البطولات التى حققها المسلمون في لحظات الايمان العميقة التى كانت لا تخلو منها حياتهم العامة. ولقد عرف هذا المعنى عند المسلمين واستعمله الصوفية كمعنى متصل بمعانى كثيرة أخرى من مصطلحاتهم.

يقول د. نيكلسون (ومن بين العبارات المجازية التى تجرى كثيرا على ألسنة الصوفية. مساوية في قليل أو كثير للجذب، الفناء، والوجد، والسماع، والذوق، والشرب، والغيبة، والجذبة، والسكر، والحال)(١).

ما هو تأثير الجذب على النفس البشرية وهل يعذر صاحبه؟

نبحث هنا موضوع مدى تأثير حالة الجذب على سلوك الافراد، وهل يعذر كل من ادعى أنه في حالة جذب وغيبوبة إذا ترك فرضا أو قدم على عمل منكر ونحو ذلك؟

رأى الصوفية

إن الصوفية يقررون انه في حالة الجذب قد يصل المرء الى درجة من فقدان الوعى حتى انه لا يرى ولا يسمع ويهيم على وجهه.

كما ورد ذلك عن أبى حمزة البغدادي(*) انه كان يسير فهام على وجهه حتى عاد إليه إدراكه فوجد نفسه في الصحراء(٢).

كما روى عن سهل بن عبدالله (**) إنه ظل مرة في انجذابه خمسة وعشرين يوما لا يطعم، وان أجاب عن مسائل يسألها له أهل العلم(٣).

(١) نيكلون (الصوفية في الاسلام ص ٦٣).

(*) هو سهل بن عبدالله التستبرى المتوفى سنة ١٨٣ وقيل ١٩٣هـ.

السلمى. طبقات الصوفية ص ٢٠٦.

(**) هو أبوحزمة البغدادي المتوفى عام ٢٨٩. انظر السلمى. طبقات الصوفية ص ٢٩٥.

(٢) انظر نيكلسون. الصوفية في الاسلام ص ٦٥.

(٣) المصدر نفسه ص ٦٥ - ٦٦.

وهذه الأخبار وإن لم أعثر عليها في كتب الصوفية أنفسهم فإن في كتب الصوفية ما هو شبيه بها مثل ما رواه القشيري عن رجل يقال له أبو عبد الله التروغندي أنه دخل بيته فرأى في بيته مقداراً من الحنطة مع أن الناس كانوا في تلك الأيام يموتون من الجوع فقال: الناس يموتون من الجوع وفي بيتي حنطة؟ فخلط في عقله. فما كان يفيق إلا في أوقات الصلاة يصلي الفريضة ثم يعود إلى حالته إلى أن مات (١).
ثم يقول الإمام القشيري: دلت هذه الحكاية على أن هذا الرجل كان محفوظاً عليه آداب الشريعة عند غلبات أحكام الحقيقة. وهذا هو صفة أهل الحقيقة. (٢)
وعلى أي حال فالصوفية الذين تشغلهم حالات الجذب عن أداء فرائضهم أو تأتيمهم هذه الحالات أثناء انشغالهم بأمور غير مشروعة في الدين كمن ينجذب أثناء استماعه لشيء من الأغاني والأنشيد الملحنة بالطبول والمزامير ونحو ذلك. كل هؤلاء لا يصح أن يقر على هذه الأفعال الشاذة.

(١) القشيري. الرسالة ص ٥٩.

(٢) المصدر نفسه والصفحة.

رأى الشيخ ابن تيمية في الجذب

سبق أن عرفنا أن الجذب يرتبط بعدة معانى منها الفناء ومنها الوجد ونحو ذلك . وقد عبر الشيخ ابن تيمية عن الجذب بالوجد في كثير من كتبه . وقال ان سبب الوجد هو المحبة الايمانية (١) كما جاء في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان في قلبه ، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار) قال الشيخ : فجعل صلى الله عليه وسلم وجود حلاوة الايمان معلقا بمحبة الله ورسوله (٢) وجعل ذوق طعم الايمان معلقا بالرضى بهذه الأصول . كما جاء في الحديث (ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولا) (٣) .

واستشهد الشيخ ابن تيمية بالقول المنسوب إلى سهل بن عبد الله التستري : (كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل) (٤) .

هذا كله يعنى أن الشيخ ابن تيمية يتفق مع كبار الصوفية في القول بأن الوجد أو (الجذب) كما يعبر عنه بعضهم . يجب أن لا يخرج بصاحبه عن العمل بالكتاب والسنة وإلا فهو مرفوض .

وبالاضافة إلى ذلك فإن الشيخ ابن تيمية بين أن كثيراً ممن يحسبهم الناس من الأولياء الصالحين . تكون حقيقة أمرهم أنهم مرضى بأمراض عصبية ونفسية ولا صلة لهم بالولاية والصلاح .

وانما يشتبه أمر هؤلاء على الناس لما يرونه أحياناً عليهم من تصرفات قد تكون غير متوقعة ممن هم في مثل حالهم من المرضى . بل ربما كانت غريبة حتى على بعض الأصحاء فضلاً عن المرضى .

(١) ابن تيمية . مجموع الرسائل ص ١٦٢ ج ١ .

(٢) المصدر نفسه والصفحة .

(٣) المصدر نفسه والصفحة .

(٤) المصدر نفسه والصفحة .

ولكن يرجع الشيخ سبب هذه الظواهر إلى أن بعض هؤلاء يكون زوال عقولهم بأسباب الرياضات المفرطة التي يخاطرون فيها بعقولهم ، ودينهم ومزاجهم .
فان منهم من يسلك طريق الاختلاط بترك الشهوات ليتصل بالأرواح الجنية ، كما كان يفعل بعض الأحمدية(*) على عهد الشيخ ابن تيمية(١) .
وهذا النوع من المرضى ، تستغلهم الجن وتستولى على حركاتهم وتصرفاتهم فتظهر من الخوارق على أيديهم مالا يجرى على يد غيرهم من الناس(٢) .
فحكم هؤلاء عند الشيخ ابن تيمية انهم يعاقبون على ما أزالوا به عقولهم(٣) .
وأما حكم من لم يعرف سبب اختلاطه عند الشيخ ابن تيمية فخلاصة رأيه فيه .
ما يلي :

إن كان قد اختلط حتى لا يعرف أداء الفرائض ولا يقوم بها ولا يعرف الطهارة من النجاسة ولا يتطهر . فلا يكون مثله وليا لله عز وجل ، ولا عدوا له . وانما يكون حكمه ان كان مؤمنا قبل زوال عقله وله أعمال صالحة وكان يتقرب الى الله بالفرائض والنوافل . كان له ثواب ذلك الايمان والعمل الصالح الذي تقدم . وكان له من ولاية الله تعالى بحسب ما كان عليه من الايمان والتقوى .(٤)

وان كان من (عقلاء المجانين) الذين يفيقون من جنونهم في بعض الأحيان فيتحدثون بما ينفع الناس من الحكم والمواعظ والنصائح ونحو ذلك فهؤلاء يقول عنهم الشيخ ابن تيمية . انهم إنما يتكلمون بما كان في قلوبهم قبل زوال عقولهم فان كانوا من أصحاب المواهب الايمانية تكلموا في حال حضورهم بمثل ذلك . وان كانوا من أصحاب المواهب الشيطانية فهم لا يخرجون إذا زالت عقولهم عما كانوا عليه . وقد يتكلم على لسانهم شيطان بكلام غريب أو بلغة أخرى فلا يجب أن ينخدع بهم أحد(٥) .

(١) ابن تيمية . مجموع الرسائل ص ١٤ ج ٥ .

(٢) ابن تيمية . الفتاوى الكبرى ص ٢٢٧ ج ٢ .

(*) فرقة من الصوفية تنسب الى الشيخ احمد الرفاعي .

(٣) ابن تيمية . الفتاوى الكبرى ص ٢٢٥ ج ٢ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢٢٤ ج ٢ بتصرف .

(٥) المصدر نفسه ص ٢٢٦ ج ٢ بتصرف .

وغاية ما يمكن أن يثبت للمؤمنين من هؤلاء الذين تقدم ذكرهم هو رفع القلم عنه، ورفع القلم لا يوجب حمدا ولا مدحا ولا ثوابا. ولا يحصل لصاحبه بسبب زوال عقله موهبة من مواهب الأولياء، ولا كرامة من كرامات الصالحين. بل قد رفع القلم عنهم كما قد رفع عن النائم حتى يستيقظ وعن المغمى عليه حتى يفيق ولا مدح في ذلك ولا ذم، بل النائم أحسن حالا من هؤلاء. (١)

(١) ابن تيمية. الفتاوى الكبرى ص ٢٢٦ ج ٢ بتصرف.

خاتمة الرسالة

خاتمة الرسالة

لقد كثر الكلام في التصوف وفي الصوفية وتشعبت الآراء فيهم فمن مادح لهم مثني عليهم حتى ليكاد يحكم بكفر كل من لم يكن ينتمى اليهم ويعترف بفضلهم ويركع خاضعا أمامهم . ومن منكر عليهم مكفر لهم حتى ليكاد يجزم بعدم انتفاء أحد منهم في الحقيقة إلى الاسلام .

والعجيب في الأمر أن كل فريق من المادحين والقادحين في التصوف قد وجد في الصوفية وفيما هو مدون على أنه من التصوف من الحجج والبراهين على صدق مدعاة ما يوهمه بصحة ما ذهب إليه مطلقا دون قيد أو شرط .

لذلك كان موضوع البحث الذي بين أيدينا من الموضوعات الشاقة فعلا والتي يصعب على الباحث البت فيها بسهولة إلا إذا استقرت الآراء والمذاهب ونوقشت الموضوعات نقاشا علميا نزيها بعيدا عن التعصب المقيت وهذا ما حاولت أن أنهجه من منهج في كتابة هذا البحث كما بينت في المقدمة وكان من أهم أهدافي أن أتفهم وأوضح رأى الامام ابن تيمية في كل الموضوعات التي بحثتها بل هذا هو صلب موضوع الرسالة .

فتناولت في الباب الثاني المقامات والأحوال وبدأت في الفصل الأول بتعريف المقامات والأحوال في اللغة والاصطلاح الصوفى ثم تبينت أنها تتداخل في بعضها البعض بحيث يصعب التمييز بينها أحيانا وظهر لى من ذلك أن لا حاجة إلى التمييز بينها مادام الأمر كذلك ، فبحثت في موضوعاتها ككل . فتناولت في الفصل الثاني موضوعى الفقر والغنى ، وانتهيت فيه إلى أن الفقر والغنى لا يتفاضلان من حيث هما وإنما يتلى المرؤ بأحدهما إمتحانا من الله عز وجل له فمن نجح في هذا الامتحان فاز ونجا عند الله ومن رسب فيه خاب وخسر . وخالفت رأى الصوفية في ذلك بأن الفقر من المقامات المحمودة لذاتها .

والفصل الثالث كان في موضوع الزهد فانتهيت فيه إلى أن الزهد موجود عند المسلمين وغير المسلمين إلا أن الزهد الصحيح هو ما كان مرتبطا بغاية شرعية وقد

فسرها الامام ابن تيمية بالمنفعة في الدار الآخرة. وعليه فان كل صور المبالغة في الزهد التي حكيت عن بعض الصوفية لا توافق الشريعة الاسلامية في شىء.

والفصل الرابع كان في موضوع التوكل فانتهيت إلى أن التوكل مبدأ إسلامي عظيم وان ما جرى من صور المبالغات التي تحكى عن الصوفية في هذا الباب دليل على عدم فهم لهذا المبدأ، وان الامام ابن تيمية قد قدم لنا فوائد شيقة في هذا الموضوع حاصلها إن التوكل عقيدة عملية وان له الفائدة العظمى للمؤمنين المعتقدين به.

والفصل الخامس كان في موضوع التوبة فانتهيت فيه إلى أن التوبة مقام مطلوب من المؤمن طول حياته لأنه يدل على استمرار الشعور بالتقصير في جانب الله ولكن لا يقف المرء فيه عند توبة واحدة.

وعند بحث ما يجب التوبة عنه تبينا أن الصوفية تعمقوا في هذا الموضوع إلى درجة كبيرة فاحتاج كلامهم إلى توضيح وتفصيل ولقد قدم لنا الامام ابن تيمية كل ما نحتاجه من ذلك وبين المعانى الفاسدة التي قد يظن الظان أنها مرادة من بعض العبارات الدقيقة ثم اثبت ثلاثة فوائد ذكرها الامام ابن تيمية في هذا الموضوع.

وأما الفصل السادس فكان في مسألتى الذكر والسماع فاكتفيت فيه باظهار رأى الامام ابن تيمية فيها وأنها من الأمور المطلوبة من المسلم دائماً ولكن بشرط أن يقتصر على الذكر المشروع والسماع المشروع الذي عرف عن رسول الله ﷺ وصحابته الكرام فقط.

وأما الفصل السابع فكان في موضوع الفناء. فخلصنا إلى أن الفناء ليس خيالاً ولا صورة وهمية وإنما هو أمر حقيقى واقعى وقد حدث بالفعل لكثير من الناس بغض النظر عن صلاحهم وعدمه وان للفناء عند الصوفية درجات ثلاثة بعضها أشد من بعض.

وعرفنا رأى الامام ابن تيمية في الفناء حيث اتضح أنه أكثر معرفة به من الصوفية الذين كتبوا عن هذا الموضوع فقد قسم الفناء من حيث آثاره على الفانى الى ثلاثة أقسام بحسب ما هو معروف عند الناس فبين أن القسم الأول وهو ما يعتبر في حكم الجنون والوله. فهذا من قبيل الخط بين الفناء وبين الأمراض العصبية ونحوها، وليس

هو الفناء المقبول أما القسم الثانى الذى قد يصرع فيه المرء ساعة أو يغشى عليه بسبب قوة الخوف أو الخشية من الله في وقت من الأوقات فهو مقبول مبدئيا لما في ذلك من دليل على ضعف النفس البشرية ولما ثبت من أدلة على وقوعه من أناس اشتهروا بالصالح والتقوى.

ر أما القسم الثالث فهو الفناء الذى لا يصاحبه صقع ونحوه وهو فناء الكمل من الصالحين.

ثم قسم الفناء من حيث هو الى ثلاثة أنواع وأظهر في ذلك أن النوع الأول من الفناء هو غاية التوحيد المطلوب من العباد لله عز وجل وحقيقته وهو الفناء عن عباده سوى وأن النوع الثانى من الفناء يطرأ لمن حاول التعمق في استشعاره قدرة الله عز وجل وهيمنته على الكون ونحو هذا. وقد زل فيه أقوام وحادوا عن الصراط فلم يندفع الامام ابن تيمية الى إنكار هذا النوع من الفناء مطلقا بل وضح أن هناك من غلط فيه وأساء الفهم وشرح حقيقة هذا النوع فبين أن الفانى هنا هو الشهود لا المشهود كما يتوهم الغالطون.

وبين أخيرا النوع الثالث هو الفناء المستحيل عقلا وشرعا وأنه لا يقول به إلا الملاحدة وهو الفناء عن وجود سوى.

وأما الفصل الثامن فكان في الحلول والاتحاد فانتهينا فيه الى ما يلى :

أولا : استحالة كل صور الحلول والاتحاد عقلا.

ثانيا : أن من الصوفية من قال بهذه المذاهب الفاسدة مصرحا بذلك فى كتبه شعراً أو نثرا.

ثالثا : صدق ابن تيمية فى عبارته القائلة (ان فهم مذهب هؤلاء كاف في الرد عليهم).

رابعا : ان الامام ابن تيمية لم يرد على القائلين بالوحدة والاتحاد من الصوفية الا بعد أن فهم مذاهبهم جيدا بالتفاصيل الدقيقة التى ربما لا يعرفها كثير من اتباعهم .

وتناولت في الباب الثالث السلوك وما يتعلق به من موضوعات وخرجت من ذلك بنتائج عظيمة الفائدة والحمد لله في الفصول كلها على ما سيأتى تفصيله .

الفصل الأول : كان هذا الفصل في موضوع الولاية تعريفها وطرق الوصول إليها، ورأى ابن تيمية في ذلك . فانتبهنا أولاً إلى أن الولاية منها ولاية عامة تشمل جميع المؤمنين ومنها ولاية خاصة تخص المخلصين منهم . وإن الطرق اليها تقتصر على طريقتين الأولى لا اختيار للعبد فيها مطلقاً وهي الطريق التي اختار بها الله أنبياءه ورسله كما قدمنا والطريقة الثانية هي التي يسعى فيها العبد المؤمن لينال الدرجات العليا بإذن الله .

وظهر لنا أن لبعض المتصوفة منهجا خاطئاً يعتقدون أنه يوصلهم إلى ولاية الله من أقصر الطرق . وتبيننا الخطأ فيه بمساعدة الامام الجليل ابن تيمية بينما أيد هو الفريق الآخر من الصوفية الذين صرحوا بمعارضتهم لذلك المنهج الخاطئ .

الفصل الثاني : كان عن علاقة المريد بالشيخ عند الصوفية ورأى ابن تيمية في ذلك فانتبهنا الى أن حاجة المريد المبتدئ للشيخ حاجة طبيعية لا يختلف فيها اثنان أما المبالغة في ذلك على ما استعرضنا من صور لذلك عند الصوفية منقولة من كتبهم فإن هذا لا يقبله الشرع مطلقاً سواء كان ذلك بالنسبة لحاجة المريد للشيخ أو بالنسبة لدرجة الطاعة المطلوبة فيه تجاه شيخه .

والامام ابن تيمية يخصص علم السلوك بأنه أسهل في تعلمه واكتسابه من الكتاب والسنة من غيره من العلوم ولذلك فإن حاجة المريد فيه للشيخ تقل عن حاجته له في غير هذا العلم .

وظهر لنا أيضاً من كلام الشيخ ان السبب في ظهور شدة الحاجة من المريد للشيخ هو الاعراض عن الكتاب والسنة عند بعض الناس .

ومن أهم ما ظهر لنا في هذا الفصل ان سر انصواء المريدين تحت راية شيوخهم وإن كانوا فاسقاً أو فجاراً ونحو هذا هو العلاقة التي يرسمها بعض الصوفية بين المريد والشيخ وهي علاقة المحبة المطلقة والاعتقاد بالعصمة والفضل للمشائخ مطلقاً دون تصور أى احتمال للخطأ أو النقص فيهم . ولو كانت هذه المحبة إيمانية لما كان الأمر كذلك . وانتبهنا أخيراً بأن ما استدلوا به من قصة الخضر وموسى عليهما السلام لا دليل فيها على مدعاهم وانهم قد جرو الآيات إلى معانى غير مرادة منها إطلاقاً .

الفصل الثالث : كان هذا الفصل في الكرامات وقد ظهر لنا فيه أن الكرامات خوارق للعادات ممكنة الوقوع عقلا وشرعا واتضح لنا خطأ من منعها مطلقا وهم المعتزلة وبالمقارنة بينهما وبين المعجزات من جهة وبينها وبين السحر والشعوذة من جهة أخرى اتضح أن الكرامات من جنس المعجزات كما بين ذلك الامام ابن تيمية بالدلائل الشرعية الصحيحة . وانها ليست من جنس السحر والشعوذة ونحوها إذ هذه الأخيرة لا تخرج عما هو في مقدور المخلوقات من أنس أو جن أو حيوان .

وأخيرا عرفنا أن سبب ضلال كثير من الفرق واعتقادهم الفاسد في بعض الدجالين انهم كانوا يقيسون صلاح المرء بما يظهر على يديه من خوارق للعادات .

أما المنهج الاسلامي السليم فهو يعكس هذه المسألة فيقيس صدق وصحة الكرامة على صلاح الشخص الذي تجرى على يديه فان كان هو رجلا صالحا صدقنا أن ما جرى على يديه كرامة والا اعتبر ذلك من قبيل السحر والشعوذة ونحو ذلك ومع هذا لا يجب أن يكون حدوث الكرامة دليلا على العصمة مطلقا .

الفصل الرابع : كان هذا الفصل وهو آخر الفصول في دراسة ظاهرة المجذوبين الذين شاع عنهم خطأ أنهم من الأولياء الصالحين ، فاعتقد بعض الناس ان الله عز وجل يكرم أوليائه بسلب عقولهم وتركهم مضحكة للناس ، حاشاه عز وجل أن يفعل ذلك في أخص أوليائه . وبعد دراسة هذه الظاهرة كما مر في البحث انتهينا بعون الله وتوفيقه الى ان بعض الصوفية هم الذين أشاعوا هذه الأفكار الفاسدة في المجتمع الاسلامي وروجوا لها في كتبهم ومصنفاتهم العديدة .

والحقيقة أن الجذب إن وجد مع المرء في لحظة من لحظات التعمق في العبادة كما مر معنا في مسألة الفناء عن شهود السوى فإن هذا لا يدوم طويلا بل يذهب عنه إذا ما تذكر المرء ما هو مفروض عليه تجاه صاحب هذه الالاء والمخلوقات من واجب الشكر وأداء ما فرضه عليه .

فالجذب الحقيقي الشرعى لا يخرج بصاحبه عن العمل بالكتاب والسنة ولا ينسى صاحبه أداء الفرائض والنوافل ونحو ذلك .

فإن سها عنها أو نسيها فحكمه حكم الناسي والنائم ويجب عليه القضاء حال افاقة. أما إن استمر الحال معه طويلا فهذا يدل على أنه ممن زالت عقولهم فعلا فحكمهم حكم من زال عقله بمباح. فإن وصل به الأمر إلى الخلط بين النجاسة والطهارة ونحو ذلك فهذا لا يكون وليا لله عز وجل ولا يعتبر بذلك عدوا له. وإنما يكون حكمه مرتبط بما كان عليه حاله قبل زوال عقله والله أعلم.

هذه بعض النتائج التي توصلت إليها من البحث. ومع ذلك فأنني لا أدعي أنني قد احطت بالموضوع كله من جميع جوانبه. ذلك أن الموضوع واسع جدا وحساس جدا واسع لأن التصوف بحر لا ساحل له فمن خاض في موضوعاته وحاول استقراء شيء من آراء أصحابه فكأنما يطلب مستحيلا. وحساس لأنه ربما يفهم من مناصرة قول في التصوف ومعارضته أحد أمرين كل منهما أخطر من الآخر. ففي الحالة الأولى قد يفهم منها أن الكاتب يناصر التصوف مطلقا وينادي به على علاته أو هو من الصوفية فعلا، وهذا مالا صحة له اطلاقا وإلا فإن طرد هذا يعنى أن ابن تيمية وغيره من الأئمة الذين فندوا القول في موضوعات التصوف فصححوا بعضها وأظهروا خطأ البعض الآخر إن كل هؤلاء صوفية أو مروجون للتصوف.

وفي الحالة الثانية قد يفهم أن سبب معارضة أقوال الصوفية ناتج عن عداة مستحكم في نفوس اتباع ابن تيمية وتلاميذه للتصوف والصوفية مطلقا بل ربما ذهبوا إلى أن العداة لجميع أولياء الله الصالحين متمثل في صورة عداة للصوفية.

وهذا أيضا لا صحة له اطلاقا لأن كل رجل يؤخذ منه ويرد عليه إلا رسول الله ﷺ فليست معارضة رأي لأحد الأولياء دليلا على عداة مستحكم له، وإلا كان الفقهاء كلهم وهم من خيرة أولياء الله - أعداء لأولياء الله لما كان بينهم من معارضات ومناقشات. وبعد هذا فإننا نوضح أولا أن كل ما صدر منا من أحكام على الصوفية إنما أساسه الأول صحة نسية هذه النصوص والتصريحات التي نقلناها إليهم.

فحكمنا وموافقنا للإمام ابن يمية مبنى على هذا الأساس، فإن ثبت أن هذا أساس غير صحيح فلا حكم لنا عليهم إلا بما يصح عنهم فعلا. وهذا هو منهج الامام ابن تيمية رحمه الله.

ثانياً: ان موضوع رسالتنا هو إظهار موقف الامام ابن تيمية من التصوف وهل هو حق أم لا. وقد تبين لنا في الرسالة ان الامام ابن تيمية اتخذ ميزانا حقا صادقا في محاسبة هؤلاء ألا وهو الكتاب والسنة.

فمن سار على هذا المنهج دون أن ينحرف عنه قيد انملة فهو على الحق وعلى الصراط المستقيم، وجدير بالثناء والتقدير ومن انحرف منهم عن هذا الطريق السوى وحاد عن ذلك الساط المستقيم حكم الامام ابن تيمية ببطلان عمله ورأيه.

وقد وجدنا كما ظهر لكم - في التطبيق التزام الامام ابن تيمية بهذا المنهج فعلاً. نعم كان لنا معه نظر ومناقشة في بعض الأحيان ولكن هذا ولله الحمد نادر جداً. ثالثاً: وأخيراً هل كان من الخير للأمة الاسلامية أن تظهر فيها فئة تمتاز بمسلكتها الخاص ومنهجها المعين كثفة الصوفية المعتدلين أم كان من الخير أن لا يكون هذا الامتياز بل كل ما في الأمر أنهم مسلمون مستقيمون تمسكوا بمسلك السلف الصالح من الصحابة والتابعين دون أن تكون لهم ميزة وشخصية يظهرون بها كثفة خاصة بين المسلمين؟

أقول انه كان من الخير أن لاتتميز هذه الفئة من المسلمين هذا التمييز الخاص. فإن كثيراً من الناس اتخذوا سبيلهم للتجارة وسلب أموال الناس واصطناع المراكز المرموقة بين المسلمين فتاجروا باسم التصوف وجعلوه سبيلاً للنهب والسلب والتريع مع ذلك في مقامات عالية. ظنوا الناس مكانة الصديقين والصالحين وحرصاً منهم على هذه المكاسب الدنيوية الدنيئة اضطروا إلى اقناع الناس بمسالك وتصرفات تغضب الله عز وجل ورسوله وتصد عن سبيل الله.

فلو أن المتصوفين الحقيقيين لم تكن لهم هذه الشخصية وهذه الأسماء المميزة لهم عن غيرهم، لما وجد هؤلاء المنافقون سبيلاً إلى نفاقهم وتضليلهم. فان قيل: أن الاسلام في عصر النبي وعصر الصحابة والتابعين كان واضحاً ظاهراً ليس فيه إلا تعاليم الاسلام وأحكامه، ورغم هذا فقد كان يوجد منافقون. وقد سكنت النبي عنهم، فما بالناس نحكم بأنه كان من الخير للاسلام والمسلمين أن لا يكون للمتصوفة شخصية متميزة عن سائر المسلمين، ولهم لباس والقاب خاصة، وقيل: أولاً يكون

لنا أسوة حسنة برسول الله وقد ظهر في عهده منافقون كثيرون وسكت عنهم ولم يفضح أمرهم .

قلنا: فرق بين منافقي التصوف ومنافقي العصر الأول للإسلام فالمنافقون في العصر الأول للإسلام في عهد النبي وفي عهد الصحابة كان هدفهم من النفاق التقية من السيف واحكام الكافرين وليس منهم ضرر إيجابي على المسلمين . فكفى حكم النبي بالكف عنهم وعدم اظهارهم .

أما منافقوا الصوفية فكما هو ظاهر انهم فئات وطوائف مختلفة همهم سلب أموال الناس بالباطل ، وإشاعة بدع في الدين لايعرفها الدين الاسلامي ، وغير ذلك .

ومن هنا كانت نقمة الامام ابن تيمية على هذا الصنف من الصوفية فلو أن التصوف لم يظهر بصورته هذه الخاصة ومنهجه الخاص بل بقي المتصوفة في عداد المسلمين المستقيمين فحسب لما وجد هؤلاء المنافقون سبيلا إلى نفاقهم وتضليلاتهم .

ولما كان ظهور الصوفية أمرا قد فات أوان استدراكه فاني أقترح أن لا نقف مكتوفي الأيدي أمام هذا الواقع بل نغيره بخطة علمية حكيمة تتلخص فيما يلي :

أولا: تتعاون جميع الهيئات واللجأت العلمية على إظهار كل ماجاء به الدين الاسلامي الحنيف من معاني راقية عميقة سامية وتكلم فيها المحققون من الصوفية بطريقة رائعة مفيدة تحت اسم الاحسان ، والمحبة والتقوى بدلا من اسم التصوف .

ثانيا: يقدم رجال التصوف السليم الخالي عن الخرافات والاباطيل إلى العالم الاسلامي على انهم مسلمون حقيقيون لا على انهم صوفيه لأن كل من كان منهم موافقا للكتاب والسنة ومطبقا لمبادئ الاسلام الحنيف فإن شرفه بالانتساب إلى الاسلام أعظم بلا شك بأضعاف أضعاف شرفه بالانتساب إلى اسم الصوفية ، بل لاجابة له إلى اسم غير اسم الاسلام .

هذا وقد سبقني إلى مثل هذا الاقتراح كثير من أفاضل العلماء المعاصرين ومنهم الشيخ الفاضل أبو الحسن على الحسنی الندوي وذلك في أول كتابه (ربانية لارهبانية)(١)

(١) طبع هذا الكتاب بمطبعة دار الفتح - بيروت عام ١٣٨٨ هـ .

والشيخ الفاضل . محمد الغزالي - المعاصر - في أول كتابه (الجانب العاطفي من
الاسلام) (٢) . وغير هؤلاء .
والله نسأل أن يعيد الأمة الاسلامية إلى سابق عزها وأن يلهمنا رشدنا وهو حسبنا
ونعم الوكيل .

(٢) طبع هذا الكتاب الطبعة الثانية بمطبعة السعادة بمصر عام ١٣٨٢ هـ .

مراجع ومصادر البحث

مراجع أساسية

أ - القرآن الكريم

ب - كتب السنة

البخارى

أبو عبدالله محمد بن أبى الحسن

اسماعيل الجعفى ولد عام ١٩٤

وتوفى عام ٢٥٦

ج - التفاسير

١- ابن كثير

الحافظ عماد الدين اسماعيل بن

كثير القرشى الدمشقى توفى

عام ٧٧٤

٢- الجلالين

جلال الدين محمد بن أحمد

المحلى .

وجلال الدين عبد الرحمن بن

أبى بكر السيوطى

٣- الزمخشري

هو أبو القاسم جار الله محمد

بن عمر الزمخشري الخوارزمي

ولد عام ٤٦٧ وتوفى عام ٥٣٨ .

متن البخارى

طبع بمطبعة دار احياء الكتب بمصر .

تفسير القرآن العظيم

طبع بمطبعة المشهد الحسينى بمصر

تفسير الجلالين

طبع بهامش القرآن الكريم بشركة

مطبعة الجمالية بمصر

حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في

وجوه التأويل المسمى بالكشاف .

طبع بمطبعة مصطفى الحلبي .

القاهرة عام ٨٥هـ .

٤- صديق حسن خان

ولد عام ١٢٤٨ وألف التفسير

توفي عام ١٢٧٩ .

فتح البيان في مقاصد القرآن

طبع بمطبعة العاصمة .

القاهرة عام ١٩٦٥ م

٥- القاسمي

محمد جمال الدين القاسمي ولد

عام ١٢٨٣ وتوفي عام ١٣٣٢ هـ .

محاسن التأويل

طبع بمطبعة عيسى اليابى الحلبي

بمصر عام ١٣٧٦ هـ .

تراجم وسير

تراجم وسير

١- ابن الأثير

عزالدين بن الحسن على بن ابي الكرم المعروف بابن الاثير المتوفى عام ٦٣٠ (الكامل في التاريخ).

ط . دار صادر. بيروت عام ١٣٨٦هـ.

٢- ابن تغرى بردى

جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الاتابكى . المتوفى عام ٨٧٤هـ .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب - نشر وزارة الارشاد القومى بمصر.

٣- ابن حجر

أحمد بن على العسقلانى المتوفى عام ٨٥٢
(الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة)
ط . حيدر آباد الهند عام ١٣٤٨هـ

٤- ابن رجب

زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن رجب
زيل طبقات الحنابلة
ط . السنة المحمدية بالقاهرة . تحقيق محمد حامد الفقى عام ١٣٧٢هـ .

٥- ابن العماد

أبوالفلاح عبدالحى بن العماد المتوفى عام ١٣٨٩
شذرات الذهب في أخبار من ذهب ط المكتب التجارى - بيروت .

٦- ابن كثير

الحافظ عماد الدين بن كثير المتوفى عام ٧٧٤
البداية والنهاية

نسخة مصورة من الطبعة الأولى عام ١٩٦٦م عن مكتبة دار المعارف ببيروت ومكتبة النصر بالرياض .

٧- ابن الملحق

سراج الدين أبو حفص عمر بن علي المصري المتوفى عام ٨٠٤
طبقات الأولياء

ط . دار التأليف بتحقيق نورالدين شريعة الأولى عام ١٣٩٣هـ .

٨- ابن النديم

أبو الفرج محمد بن اسحاق النديم المعروف بالوراق المتوفى عام ٣٨٥
الفهرست

ط . المطبعة الرحمانية بمصر عام ١٣٤٨هـ .

٩- ابن هشام

أبو محمد عبدالله بن هشام المتوفى عام ٢١٣هـ .
السيرة النبوية

ط . مكتبة الأزهر تعليق طه عبدالرؤوف سعد

١٠- أبو الفيض

محمود أبو الفيض المتوفى

جمهرة الأولياء وأعلام التصوف

ط . الحلبي بمصر الأولى عام ١٣٨٧هـ .

١١- أبو نعيم

أحمد بن عبدالله الأصبهاني المتوفى عام ٤٣٠هـ .

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء

الطبعة الأولى بمطبعة السعادة عام ١٣٩١هـ القاهرة .

١٢- أبو يعلى

القاضي أبو الحسن محمد بن أبي يعلى

طبقات الحنابلة

ط . السنة المحمدية بتحقيق محمد حامد الفقى .

١٣ - البستى

محمد بن حبان البستى

(مشاهير علماء الأنصار)

ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٣٧٩ هـ القاهرة

١٤ - جرجي

جرجي زيدان

تاريخ آداب اللغة العربية

ط . دار الهلال عام ١٩٥٧ القاهرة تعليق شوقي ضيف .

١٥ - خير الدين

خير الدين الزركلي

الاعلام

ط . الثالثة عام ١٣٨٩ هـ .

١٦ - الذهبي

أبو عبد الله محمد الذهبي

المتوفى عام ٧٤٨ هـ

تذكرة الحفاظ

مصور عن ط . الثالثة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد .

الدكن الهند عام ١٣٧٦ هـ .

١٧ - السبكي

عبد الوهاب على السبكي المتوفى عام ٧٧١

طبقات الشافعية الكبرى

ط . الأولى عام ١٣٨٣ مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة

تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحى

١٨- السلمي

أبو عبد الرحمن السلمي المتوفى عام ٤١٢

طبقات الصوفية

ط . دار الكتاب العربي بمصر عام ١٣٧٢ هـ

١٩- السيوطي

جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

المتوفى عام ٩١١

طبقات الحفاظ

ط . الأولى عام ١٣٩٣ هـ مطبعة الاستقلال . القاهرة

تحقيق على محمد عمر

٢٠- الشعراني

عبد الوهاب بن أحمد الشعراني

المتوفى عام ٩٧٣

الطبقات الكبرى

المسمى (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار)

مكتبة محمد على صبيح . القاهرة .

٢١- الشوكاني

محمد بن علي الشوكاني المتوفى عام ١٢٥٠

البدر الطالع

بمحاسن من بعد القرن السابع

الطبعة الأولى عام ١٣٤٨ مطبعة السعادة بمصر

٢٢- كتيبى

محمد بن شاکر الکتبى

المتوفى عام ٧٦٤ هـ

وقيات الوفيات

مطبعة السعادة بمصر

المنأوى

عبدالرؤف بن على بن زين العابدين المنأوى

المتوفى عام ١٠٢٢

الكواكب الدرية

في تراجم السادة الصوفية .

ط . الأولى عام ١٣٥٧هـ . القاهرة

كتب عن الامام ابن تيمية

كتب عن الامام ابن تيمية

- ١- ابن عبد الهادي
محمد بن أحمد بن عبد الهادي المتوفى عام ٧٤٤هـ
١- العقود الدرية
مطبعة حجازى . القاهرة عام ١٣٥٦هـ بتحقيق محمد حامد الفقى
- ٢- الصارم المنكى
في الرد على السبكى
ط . مطبعة الامام . القاهرة
٢- أبوزهرة
محمد أبوزهرة
ابن تيمية
حياته وعصره - آراؤه وفقه
ط . دار الفكر العربى
٣- الالوس
نعمان خير الدين الشهير بابن الالوس توفى عام ١٣١٧هـ
(جلء العينين في محاكمة الاحدين)
ط . المدنى . عام ١٣٨١هـ .
- ٤- بهجة البيطار
الشيخ محمد بهجة البيطار
حياة شيخ الاسلام ابن تيمية
محاضر ومقالات ودراسات ط . المكتب الاسلامى عام ١٣٩٢هـ
- ٥- الحصينى
أوبكر الحصينى الدمشقى المتوفى عام ٨٢٩هـ

دفع شبهه من تشبهه وتغرد

ونسب ذلك إلى السيد الجليل الامام احمد .

ط . دار إحياء الكتب العربية لعيسى الحلبي عام ١٣٥٠هـ .

٦- سعد صادق

الأستاذ سعد صادق محمد

ابن تيمية أمام السيف والقلم

ط . المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة عام ١٣٩٣هـ .

٧- محمد خليل المراس

المتوفى عام ١٣٩٥هـ

ابن تيمية السلفي

ط . اليوسفيه بطنطا عام ١٩٥٢م

٨- محمد السيد

محمد السيد الجليل

الامام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل

ط . القاهرة عام ١٣٩٣هـ . مجمع البحوث الاسلامية

كتب وسائل الامام ابن تيمية

كتب ورسائل الامام ابن تيمية

- ١- إبطال وحدة الوجود. رسالة ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ط. محمد رشيد رضا الرسالة الرابعة.
- ٢- الارادة والأمر. رسالة ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ط. محمد على صبيح عام ١٣٨٥هـ. ج ١
- ٣- الاحتجاج بالقدر. ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ط. صبيح القاهرة عام ١٣٨٥ وأيضاً منفصلة ط أنصار السنة عام ١٣٨٢ القاهرة أيضاً.
- ٤- أقوم ما قيل في المشيئة والحكمة والقضاء والقدر وبطلان الجبر والتعطيل. ضمن المجموعة السابقة الرسالة الخامسة. الخامسة ج ٥.
- ٥- أهل الصفة والأباطيل فيهم وفي الأولياء. ضمن المجموعة السابقة الرسالة الثالثة.
- ٦- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية المسمى (السبعينية) ضمن مجموع الفتاوى الكبرى (المصرية) ج ٥.
- ٧- التحفة العراقية في الأعمال القلبية. ضمن مجموع الفتاوى جمع عبدالرحمن بن قاسم النجدى.
- ٨- تحقيق التوكل. رسالة ضمن جامع الرسائل مطبعة المدنى تحقيق محمد رشاد سالم الرسالة الخامسة.
- ٩- تحقيق الشكر رسالة ضمن جامع الرسائل المذكور سابقا الرسالة السادسة.
- ١٠- التسعينيه. ضمن مجموع الفتاوى الكبرى (المصرية) بالافست عن ط. كردستان بمصر عام ١٣٢٩هـ.
- ١١- التوبة. ضمن جامع الرسائل المذكور الرسالة الثالثة عشر.
- ١٢- التوسل والوسيلة. ضمن مجموع الفتاوى جمع عبدالرحمن بن قاسم النجدى. وأيضاً طبعة منفصلة عام ١٣٨٥هـ القدس.
- ١٣- الحسنة والسيئة. ضمن شذرات البلاتين ط. مطبعة السنة عام ١٣٧٥هـ ومنفصلة عام ١٩٧٢ بتحقيق محمد جميل غازى ط. المدنى بمصر.

- ١٤- حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود. ضمن مجموعة الرسائل والمسائل المذكورة سابقا ط. محمد رشيد رضا.
- ١٥- حكم السماع والرقص. ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ط محمد على صبيح عام ١٣٨٥هـ ج ٢ الرسالة الثالثة.
- ١٦- الحلاج وهل هو صديق أو زنديق. ضمن جامع الرسائل المذكور سابقا الرسالة الحادية عشر.
- ١٧- درجات اليقين. ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكور سابقا ج ٢ الرسالة السابعة. (الرد على الأقوام على ما في كتاب فصوص الحكم).
- ١٨- الرد على ابن عربي والصوفية. ضمن مجموعة الرسائل لشيخ الاسلام ط. مطبعة السنة الأولى عام ١٣٦٨هـ.
- ١٩- الرد على ابن عربي في دعوى إيمان فرعون. ضمن جامع الرسائل المذكور سابقا الرسالة الثانية عشرة.
- ٢٠- الاستغاثة. ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقا الرسالة الثانية عشرة.
- ٢١- شرح العقيدة الاصفهانية. ضمن الجزء الخامس من الفتاوى الكبرى (المصرية) المذكورة سابقا.
- ٢٢- الشفاعة الشرعية. ضمن مجموعة الرسائل والمسائل المذكورة سابقا الرسالة الثانية.
- ٢٣- الصوفية والفقراء. ضمن مجموع الفتاوى المذكور سابقا جمع عبدالرحمن بن قاسم النجدى.
- ٢٤ أ- العبادات الشرعية والفرق بينها وبين البدعية. ضمن مجموعة الرسائل والمسائل المذكورة سابقا الرسالة الثالثة.
- ٢٤ ب- البعودية منفصلة بعنوان (العبودية) ط. محمد الفقى عام ١٣١٦هـ القاهرة وضمن مجموع الفتاوى جمع عبدالرحمن النجدى ص ١٠.
- ٢٥ - فتاوى فقهية أخلاقية تصوفية. ضمن مجموعة الرسائل والمسائل المذكورة سابقا الرسالة التاسعة.

- ٢٦- الفتاوى المصرية . نسخة بالافست عن طبعة مطبعة كردستان العلمية بمصر عام ١٣٢٦هـ .
- ٢٧- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان . ضمن مجموع الفتاوى جمع عبدالرحمن بن قاسم النجدى . ومنفصلة ط عام ١٣٨٧ نشر قصى محب الدين الخطيب .
- ٢٨- الفرقان بين الحق والباطل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقا ج ١ الرسالة الأولى .
- ٢٩- قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات . ضمن مجموعة الرسائل والمسائل المذكورة سابقا ج ٥ الرسالة الأولى .
- ٣٠- القضاء والقدر . ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقا . ج ٢ الرسالة الخامسة .
- ٣١- قاعدة في جمع كلمة المسلمين . ضمن مجموعة الرسائل والمسائل المذكورة سابقا ج ٥ الرسالة السابعة .
- ٣٢- كتاب إلى شيخ الصوفية نصر المنبجى . ضمن مجموعة الرسائل والمسائل المذكورة . الرسالة السابعة .
- ٣٣- لباس الفتوة عند الصوفية . ضمن المجموعة السابقة الرسالة السادسة .
- ٣٤- محنة شيخ الاسلام ابن تيمية . ضمن مجموعة علمية ط . أنصار السنة عام ١٣٧٢هـ بتحقيق محمد حامد الفقى .
- ٣٥- مراتب الارادة . ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقا ج ٢ الرسالة الرابعة .
- ٣٦- المناظرة فى الواسطية . ضمن المجموعة السابقة . ج ١ الرسالة العاشرة .
- ٣٧- مناظرة لدجاجة البطائحية ضمن مجموعة الرسائل والمسائل المذكورة سابقا الرسالة الخامسة .
- ٣٨- النبوات . نشر مكتبة الرياض الحديثة .

٣٩- الهجر الجميل والصفح الجميل والصبر الجميل . ضمن مجموعة الرسائل والمسائل المذكورة سابقا . الرسالة الأولى .

٤٠- الوصية الكبرى . ضمن مجموعة الرسائل الكبرى المذكورة سابقا جـ ١ الرسالة السابعة .

كتب حول التصوف

كتب حول التصوف

- ١- إبراهيم إبراهيم هلال
ولاية الله والطريق إليها . ط المدنى . القاهرة
- ٢- ابن الجوزى . أبوالفرج عبدالرحمن بن الجوزى المتوفى عام ٥٩٦هـ .
تلبیس إبلیس . ط دار الوعى العربى . بيروت .
- ٣- أبوالحسن الندوى
ربانية لا رهبانية . ط . الثانية دار الفتح بيروت عام ١٣٨٨هـ .
- ٤- أبوالوفاء الغنيمى
ابن سبعين وفلسفته الصوفية . ط . الأولى عام ١٩٧٣م دار الكتاب اللبنانى بيروت .
- ٥- أحمد توفيق عاد
التصوف الاسلامى . مكتبة الأنجلو المصرية عام ١٩٧٠م القاهرة .
- ٦- البقاعى . برهان الدين . المتوفى عام ٨٠٩هـ .
تنبيه الغبى إلى تكفير ابن عربى . ط الأولى عام ١٣٧٢هـ السنة المحمدية
بالقاهرة . تحقيق د . عبدالرحمن الوكيل . وسماه «مصرع التصوف» .
- ٧- الجرجانى . الشريف على بن محمد الجرجانى المتوفى عام ٨١٦هـ
التعريفان . ط . الحبلى عام ١٣٥٧هـ القاهرة .
- ٨- زكى مبارك
أ- التصوف الاسلامى . ط . المكتبة العصرية . بيروت .
ب - الاخلاق عند الغزالى . ط . عام ١٣٩٠هـ الشعب بالقاهرة .
- ٩- سميح عاطف الزين
الصوفية في نظر الاسلام . دار الكتاب اللبنانى بيروت عام ١٩٦٩ .
- ١٠- الشيبى د . كامل الشيبى
الصلة بين التصوف والتشيع . مطبعة الزهراء . بغداد عام ١٣٨٣هـ .

- ١١- صلاح عزام
أقطاب التصوف الثلاثة . ط . الشعب . القاهرة عام ١٣٨٨هـ .
- ١٢- عبدالبارى الندوى
بين التصوف والحياة . مكتبة دار الفتح . دمشق عام ١٣٨٣هـ الطبعة الأولى .
- ١٣- عبدالحفيظ محمد هاشم
أخبار الحلاج ومعه الطواسين . ومجموعة من شعر الحلاج . مكتبة الجندى بمصر
عام ١٩٧٠ .
- ١٤- عبدالرحمن الوكيل
هذه هى الصوفية . ط . الثالثة عام ١٣٧٥هـ مطبعة السنة المحمدية بمصر
- ١٥- عبدالقادر محمود
الفلسفة الصوفية فى الاسلام . ط . دار الفكر العربى الطبعة الأولى عام ١٩٦٦ القاهرة
- ١٦- قاسم غنى
تاريخ التصوف الاسلامى . ط . النهضة المصرية عام ١٩٧٠ م . ترجمة د . أحمد
ناجى ود . محمد مصطفى حلمى .
- ١٧- محمد جلال شرف
التصوف الاسلامى فى مدرسة بغداد . ط . دار الطباعة الجامعية عام ١٩٧٢
الاسكندرية .
- ١٨- محمد الغزالى (المعاصر)
الجانب العاطفى فى الاسلام . دار الكتب الحديثة الطبعة الثانية عام ١٣٨٢هـ القاهرة .
- ١٩- محمد مصطفى حلمى
أ- الحياة الروحية فى الاسلام . ط . المطبعة الثقافية عام ١٩٧٠ م القاهرة
ب - ابن الفارض والحب الالهى . ط . دار المعارف بمصر عام ١٩٧١ م .
- ٢٠- نيكلسون
أ- الصوفية فى الاسلام . ط . الخانجى بمصر عام ١٣٧١هـ ترجمة نورالدين شريبه .
ب - فى التصوف الاسلامى وتاريخه . ط . لجنة التأليف والنشر القاهرة عام
١٣٦٦هـ ترجمة د . أبوالعلا عفيفى .

كتب فى التصوف

كتب في التصوف

ابن عربي

هو أبو بكر محمد بن علي الملقب بمحيي الدين ابن العربي الحاتمي المتوفى عام ٦٣٨هـ.

١- رسائل ابن العربي ^{ابن عربي} المتكر

نسخة مصورة بالآلوفست في دار احياء التراث العربي ببيروت عن طبعة عام ١٣٦١هـ بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن . الطبعة الأولى

٢- ^{مفردات} (فصوص) الحكم

ط دار لبنان بيروت بتعليق د. أبو العلا عفيفي .

٣- الفتوحات المكية

ط عام ١٣٩٢هـ بالقاهرة تحقيق د. عثمان يحيى ومراجعة د. إبراهيم مذكور ثلاثة مجلدات .

ابن الفارض

شرف الدين ابي حفص عمر بن الفارض المتوفى عام ٦٣٢هـ .

ديوان ابن الفارض

ط . مكتبة القاهرة لصاحبها على يوسف سليمان عام ١٩٧٢م . القاهرة

ابن القيم

أبو عبد الله محمد بن ابي بكر ابن قيم الجوزية المتوفى عام ٧٥١هـ .

مدارج السالكين

بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين بتحقيق محمد حامد الفقي ط . السنة المحمدية

عام ١٣٧٥هـ ثلاثة مجلدات

أبو طالب المكي

أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي المتوفى عام ٣٨٦هـ .

١- قوت القلوب

في معاملة المحبوب ط. مصطفى الحلبي عام ١٣٨١هـ القاهرة مجلدين

٢- علم القلوب

ط. الأولى عام ١٣٨٤هـ نشر مكتبة القاهرة. بمصر

أبو الفيض

السيد محمد أبو الفيض المتوفى الحسيني

١- التمكن في شرح منازل السائرين لشيخ الاسلام ابي إسماعيل الأنصاري الهروي

ط. دار نهضة مصر. القاهرة عام ١٩٦٩م.

٢- جمهرة الأولياء. الجزء الأول منه ط مؤسسة الحلبي بمصر عام ١٣٨٧هـ.

أبو القاسم القشيري

عبد الكريم بن هوزان القشيري المتوفى عام ٤٦٥هـ.

الرسالة القشيرية في علم التصوف ط ١. مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح. القاهرة

عام ١٩٧٢م.

أبو نصر السراج

عبد الله بن علي الطوس السراج توفي عام ٣٧٨هـ.

اللمع ط. دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المثني ببغداد عام ١٣٨٠هـ بتحقيق د.

عبد الحليم محمود طه عبد الباقي سرور.

الجيلاني

هو أبو محمد عبد القادر بن ابن صالح الجيل المتوفى عام ٥٦١هـ.

١- الفتوح الرباني والفيض الرحمانى ط. دار العلم للجميع عام ١٣٩٢هـ.

٢- الغنية لطالبي طريق الحق في الاخلاق والتصوف والآداب الاسلامية ط. مصطفى

الحلبى. الثالثة عام ١٣٧٥هـ القاهرة.

الجيلي

عبد الكريم بن ابراهيم الجيلي المتوفى عام ٨٠٥هـ.

الانسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل ط . الثانية عام ١٣٧٥هـ شركة مصطفى الحلبي بالقاهرة.

الحارث المحاسبى

أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبى المتوفى عام ٢٤٣هـ.

الرعاية لحقوق الله ط . دار الكتاب العربى بمصر . مراجعة وتقديم د . عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور.

السهروردى

عبد القادر عبد الله السهروردى

عوارف المعارف ط . دار الكتاب العربى بيروت عام ١٩٦٦م .

عبد الحليم محمود

المنقذ من الضلال للغزالي مع أبحاث في التصوف ودراسات عن الامام الغزالي ط . دار الكتب الحديثة الطبعة الثانية عام ١٣٩٤هـ بمصر.

الغزالي

أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى عام ٥٠٥

١- احياء علوم الدين ط . دار المعرفة بيروت بتخريج العلامة أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقى المتوفى عام ٨٠٦هـ .

٢- مكاشفة القلوب المقرب إلى حسرة علام الغيوب . في علم التصوف . ط . محمد على صبيح .

٣- منهاج العابدين ومعه الكشف والنبين ، وبداية الهداية ط . شركة الطباعة للفنية المتحدة . القاهرة عام ١٣٨٤هـ .

الكلاباذى

أبو بكر محمد بن اسحق البخارى الكلاباذى المتوفى عام ٣٨٠هـ .

التعرف لمذهب أهل التصوف ط . عام ١٣٥٢هـ مطبعة السعادة بمصر .

المقدسى

أبو الفضل بن طاهر المقدسى

صفوة التصوف

ط . مطبعة دار التأليف بمصر عام ١٣٧٠هـ .

الهجویری

أبو الحسن علی بن عثمان بن أبی علی الجلابی الهجویری الغزنوی . المتوفی عام ٤٦٥هـ .

كشف المحجوب ط . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر عام ١٣٩٤هـ .
دارسة وترجمة وتعليق د . اسعاد قنديل .

كتب أخرى

كتب أخرى

- ١- ابن خلدون
عبدالرحمن بن خلدون
المقدمة . لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر . ط . دار المصحف بالقاهرة .
- ٢- ابن القيم . المتوفى عام ٧٥١هـ .
أ- طريق الهجرتين وبابا السعادتين . دار الطباعة المثيرة عام ١٣٥٧هـ الطبعة الاولى القاهرة .
ب - إغائة اللهفان من مصاديد الشيطان . ط . الحلبي عام ١٣٨١هـ .
تحقيق محمد سيد كيلانى .
ج - حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح . ط . على صبيح المدنى عام ١٣٨٤هـ القاهرة .
د - الروح ط . الثالثة عام ١٣٨٦هـ محمد على صبيح القاهرة .
هـ - روضة المحيين ونزهة المشتاقين . ط . مكتبة الجامعة . بالقاهرة عام ١٩٧٣هـ .
- ٣- أحمد أمين
ظهر الاسلام ط . مكتبة النهضة عام ١٩٦٦ بمصر .
- ٤- أحمد بن حنبل
أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال المتوفى عام ٢٤١هـ ،
الزهد . مطبعة أم القرى .
- ٥- جولد تسيهر
أجناس جولد تسيهر (مستشرق)
العقيدة والشريعة . ط . الثانية تعريب د . محمد يوسف موسى ، د . على حسن
عبدالقادر نشر دار الكتب الحديثة بمصر .
- ٦- سعد الدين التفتازانى - شرح المقاصد

٧- الشاطبي

إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي . مطبعة السعادة .

٨- صديق حسن خان

الدين الخالص . ط . مكتبة دار العروبة عام ١٣٧٩هـ القاهرة

٩- علي محفوظ

الابداع في مضار الابتداع . المكتبة المحمودية التجارية بالقاهرة .

١٠- عياض

القاضي عياض من علماء القرن السادس الهجري .

الشقا بتعريف حقوق المصطفى . ط . الأولى عبد الحميد حنفى .

١١- محمد خليل هراس

دعوة التوحيد . أصولها وأدوارها . وشاهير علمائها . مطبعة عاطف بطنطا

١٢- محمد عبده

رسالة التوحيد . ط . الشعب عام ١٣٩٠هـ

١٣- الفقى

محمد الفقى

التوسل والزيارة . الطبعة الاولى ١٣٨٨هـ مطبعة الحلبي .

١٤- دائرة المعارف الاسلامية . ط . الشعب عام ١٣٨٨هـ .

الفهرست



فهرست

الموضوع	الصفحة
تمهيد	٧
تقريظ الكتاب	٩
الاهداء	١٣
ملخص الرسالة	١٥
المقدمة	١٧

(الباب الأول)

(ابن تيمية - والصوفية) ١٩ - ١٠١

الفصل الأول	٢١ - ٦٣
ترجمة الامام ابن تيمية	٢٣
مولده - لقبه	٢٤
أسرته	٢٥
نشأته وتعليمه	٢٦
جهاده	٢٩
حادثة قازان	٣٢
وقعة شقحب	٣٤
حرب الكسروانيين	٣٧
بداية النهاية	٤٢
أشهر تلاميذه	٤٦
مؤلفاته	٤٨
الفصل الثاني	٦٥ - ٧٠
في اشتقاق كلمة صوفي - النسبة إلى الصفة	٦٧

النسبة إلى الصفاء - النسبة إلى الصف	٦٨
الصوفية ولبس الصوف	٦٩
الفصل الثالث	٧٧ - ٧١
التصوف ومفهومه - (نماذج من تعريف الصوفية للتصوف)	٧٣
ملاحظات على هذه التعاريف	٧٤
كلام ابن خلدون في تعريف التصوف	٧٦
كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في تعريف التصوف	٧٦
الفصل الرابع	٧٩ - ٩٣
متى ظهرت كلمة صوفي ؟	٨١
أول من سمي بهذا الإسم عند المسلمين - (جابر بن حيان)	٨٥
أبوهاشم الصوفي	٨٧
عبدك الصوفي	٨٨
استنتاج	٨٩
التصوف بين الكوفة والبصرة (الكوفة)	٩١
البصرة	٩٢
تعقيب	٩٢
الفصل الخامس	٩٥ - ١٠١
أقسام الصوفية كما قسمهم الإمام ابن تيمية	٩٧
صوفية الحقائق	٩٨
صوفية الأرزاق	٩٨
صوفية الرسم	٩٩

(الباب الثاني)

(المقامات والأحوال) ١٠٣ - ١٩٠

١٠٩ - ١٠٧	الفصل الأول
١٠٧	تمهيد
١٠٧	المقام في اللغة - المقام عند الصوفية
١٠٨	الأحوال، تعدد المقامات والأحوال وتداخلها
١١٥ - ١١٣	الفصل الثاني
١١٣	الفقر والغنى
١٢١ - ١١٩	الفصل الثالث
١١٩	مسألة الزهد
١٢٠	رأى ابن تيمية في الزهد
١٢٠	تعقيب
١٣١ - ١٢٥	الفصل الرابع
١٢٥	تعريف التوكل - التوكل دلالة الكتاب والسنة عليه
١٢٦	المغالاة في التوكل عند بعض الصوفية
١٢٩	بحث في فائدة التوكل للمؤمنين
١٣١	الخلاصة
١٤٧ - ١٣٥	الفصل الخامس
١٣٥	مقام التوبة
١٣٩	هل التوبة تقتضي نسيان الذنب
١٤١	ما يجب التوبة عنه - التوبة من الغفلة
١٤٢	الخلاصة
١٤٣	التوبة من رؤية الحسنات

رأى الصوفية	١٤٤
تذييل	١٤٧
الفصل السادس	١٥١ - ١٥٢
مسألة الذكر - السماع	١٥١
الفصل السابع	١٥٥ - ١٦٤
تعريف الفناء للكلاباذي - شرح التعريف	١٥٥
قول ابن حازم	١٥٧
شواهد على مقام الفناء	١٥٧
درجات الفناء - مسألة في اثار الفناء	١٥٩
الفناء في نظر ابن تيمية	١٦١
تقسيم آخر للفناء عند ابن تيمية	١٦٣
الفصل الثامن من الباب الثاني	١٦٧ - ١٩٠
الحلول - والاتحاد - وحدة الوجود	١٦٧
إبطال كل صور الحلول والاتحاد عقلاً	١٦٨
القائلون بالحلول والاتحاد من الصوفية (ابن الفارض)	١٧١
رأى ابن تيمية في ابن الفارض	١٧٦
الحلاج	١٧٧
رأى الإمام ابن تيمية في الحلاج	١٧٩
ابن عربي	١٨٠
بعض تفسيرات ابن عربي المنحرفة	١٨٢
ممن لحق بهم عبدالكريم الجيلي	١٨٣
الجواب على هؤلاء والملاحدة	١٨٤
رد ابن تيمية عليهم جميعاً	١٨٥

توضيح ابن تيمية لمذاهب الصوفية في وحدة الوجود	١٨٦
وحدة الوجود عند ابن عربي	١٨٦
وحدة الوجود عند الصدر القنوي الرومي	١٨٧
وحدة الوجود عند التلساني كما يصورها ابن تيمية	١٨٨
خاتمة من كلام ابن تيمية	١٩٠

الباب الثالث ١٩١ - ٢٤٥

السلوك وما يتعلق به

الفصل الأول	١٩٥ - ٢٠٧
تمهيد	١٩٥
طرق الوصول إلى الولاية - شرح الطريقة الأولى	١٩٦
شرح الطريق الثاني	١٩٧
اختلاف الصوفية في طريق السلوك	١٩٨
رأى شيخ الإسلام ابن تيمية	٢٠١
الخلاصة	٢٠٤
تعقيب	٢٠٥
أمثلة على الخلوات البدعية	٢٠٦
الفصل الثاني	٢١١ - ٢٢٣
حاجة المريد إلى الشيخ عند الصوفية	٢١١
درجة الطاعة المطلوبة وشعارها	٢١٢
استدلالهم بقصة الخضر مع موسى عليهما السلام	٢١٤
شعار الطاعة - آراء شيخ الإسلام ابن تيمية	٢١٥
- حاجة المريد إلى الشيخ عند ابن تيمية	٢١٥
حدود الطاعة المشروعة للشيخ	٢١٧

حقيقة ما يستفاد من قصة الخضر وموسى عليهما السلام	٢١٩
لباس الخرقه في رأى الشيخ ابن تيمية	٢٢٣
الفصل الثالث	٢٢٧ - ٢٣٧
ماهية الكرامة	٢٢٧
أقسام الخوارق عند الأشاعرة - أقسامها عند المعتزلة	٢٢٨
نقاش واستنتاج	٢٢٩
رأى ابن تيمية في الموضوع	٢٣١
الفرق بين الكرامات وغيرها	٢٣٢
الفرق بين الولي الصادق والدعي الكاذب	٢٣٥
الفصل الرابع	٢٤١ - ٢٤٨
ظاهرة المجذوبين - رأى الصوفية فيهم	٢٤١
ماهو الجذب	٢٤٣
ما هو تأثير الجذب على النفس البشرية وهل يعذر صاحبه	٢٤٤
رأى الصوفية	٢٤٤
رأى الشيخ ابن تيمية في الجذب	٢٤٦
خاتمة الرسالة	٢٥١
مراجع ومصادر	٢٦١
مراجع أساسية	٢٦٣
تراجم وسير	٢٦٧
كتب عن الإمام ابن تيمية	٢٧٥
كتب ورسائل الإمام ابن تيمية	٢٧٩
كتب حول التصوف	٢٨٥
كتب في التصوف	٢٨٩
كتب أخرى	٢٩٥